ܡܪܝ ܐܦܪܝܡ
ܡܠܦܢܐ ܕܥܕܬܐ ܩܬܘܠܝܩܝܬܐ

مـار افرام السرياني

ملفان الكنيسة الجامعة

(٣٠٠ - ٣٧٣)

ܐܒܪܗܡ ܡܫܡܫܢܐ ܘܡܫܡܫ
ܡܠܐ̈ ܗܠܝܢ ܡܢ ܒܝܬ ܐܘܪܗܝ
ܕܡܠܦܢܐ ܐܒܪܗܡ ܢܘܪܐ ܒܝܬ ܐܠܗܐ
ܡܠܦܢ̈ܐ ܕܫܡܫ ܡܠܦܢܐ܀ ܡܕܡܐ ܡܠܦܢܐ
ܘܪܒܐ ܕܡܠܦܢ̈ܐ: ܐܪܡܝܐ ܕܝܢ ܐܠܦܝܗ ܡܠܦܢܐ ܕܐܬܬ̈ܐ:
ܘܐܠܗܝܐ ܡܫܝܚܝܐ ܕܣܘܪܝܝܐ܀ ܘܕܝܢ ܠܗܘܢ ܠܒܢܝ ܐܘܪܗܝ
ܕܒܝܬ ܡܪܕܘܬܐ܀܀܀

Beth Mardutho Library
Malphono Abrohom Nuro Collection

Syriac Literature: Ephraim
Beth Mardutho Library

ܡܪܝ ܐܦܪܝܡ
ܡܠܦܢܐ ܕܥܕܬܐ ܩܬܘܠܝܩܝܬܐ

سيرة

مار افرام السرياني

ملفان الكنيسة الجامعة

(٣٠٠ - ٣٧٣)

مار افرام السرياني

ملفان الكنيسة الجامعة

ܡܪܝ ܐܦܪܝܡ

ܡܠܦܢܐ ܕܥܕܬܐ ܩܬܘܠܝܩܝܬܐ

الى قداسة الحبر الاعظم

البابا بيوس الثاني عشر المالك سعيداً

خلف البابا بندكتس الخامس عشر الخالد الاثر

الذي اعلن مار افرام ملفانا للكنيسة الجامعة

ارفع هذا الكتاب

اقرارا بالجميل

وعربونا لخضوعي البنوي

الخورفسقفوس اسحق ارملة

السرياني

قداسة الحبر الاعظم البابا بيوس الثاني عشر
خليفة شمعون كيفا المالك سعيدا

جواب نيافة الكردينال اوجين تيسران السامي الوقار الى سيادة المطران باسيليوس افرام حيقاري الجليل

حضرة صاحب السيادة المطران باسيليوس افرام حيقاري

النائب البطريركي للسريان الكاثوليك في لبنان الجزيل الاحترام

جوابا على كتابيكم المؤرخين في ٥ آب وفي ٢٢ ايلول من هذه السنة بشأن اعتمادكم على نشر سيرة مار افرام الملفان تأليف الخورفسقفوس اسحق ارملة الموقر ، يسرني ان اعلمكم ان قداسة الحبر الاعظم قد رضي بعطف سامٍ ان يقدّم الكتاب لقداسته ملبيا بذلك رغبتكم وطلبتكم بهذا الشأن .

وأفيدكم في الوقت عينه بكل سرور أن قداسة الحبر الاعظم يمنح بركته الرسولية الخاصة لحضرة الخورفسقفوس اسحق ارملة مؤلف الكتاب . ويتمنى له صحة تامة ورواجاً لكتابه كيما ينال ما توخاه من نشره : اعني خير النفوس واتحاد اخوتنا المنفصلين وتعزيز الكنيسة السريانية .

وانتهز الفرصة لاعرب لسيادتكم عن عواطف الاحترام

اخوكم

الكردينال اوجين تيسران

امين سر مجمع الكنيسة الشرقية

المقدس

رومية ٧ تشرين الاول سنة ١٩٥٢

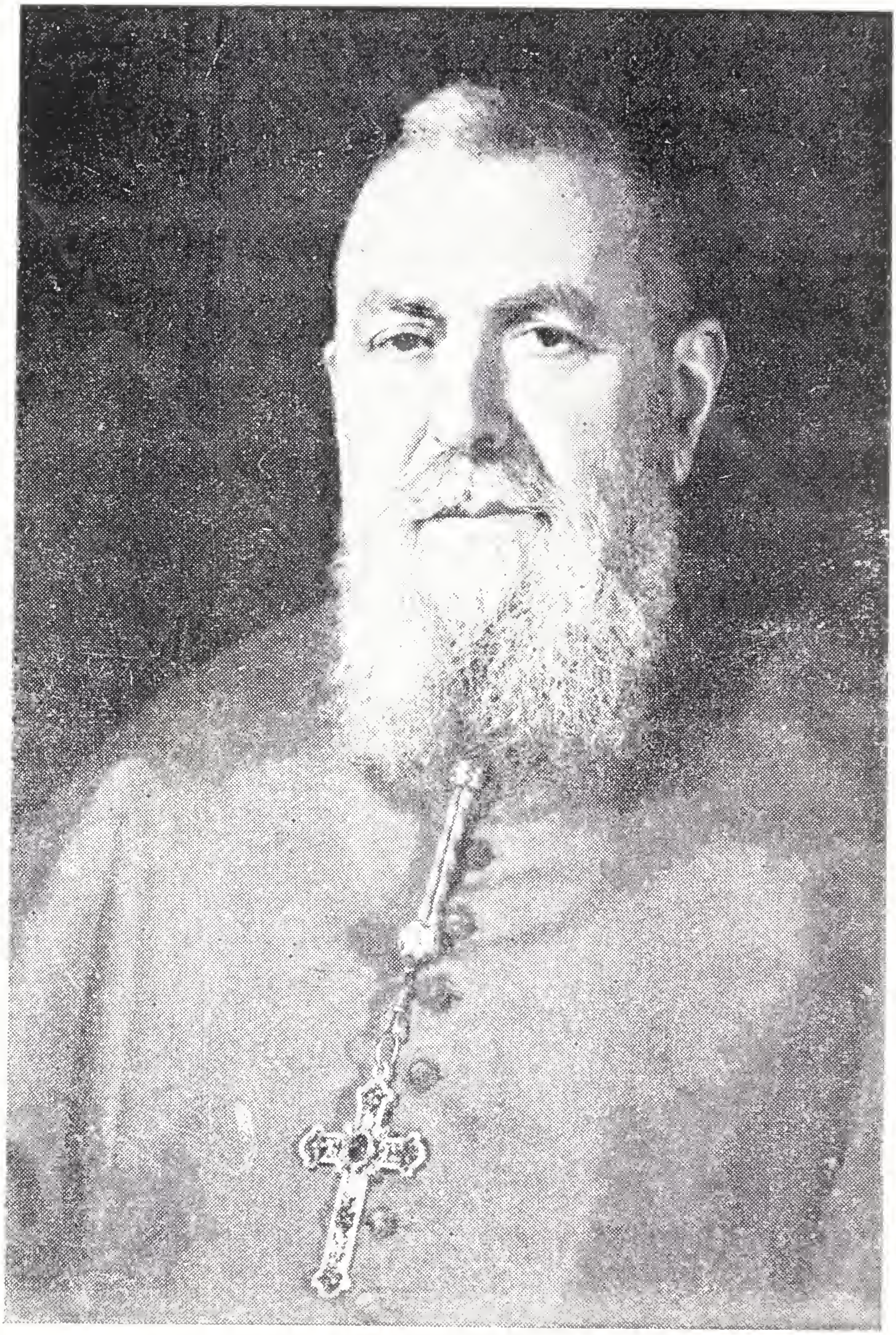

نيافة الكردينال اوجين تيسران

امين سر مجمع الكنيسة الشرقية المقدس السامي الوقار

رسالة نيافة الكردينال البطريرك اغناطيوس جبرائيل تبوني الى مؤلف الكتاب .

عن بيروت في ٢٥ آذار - ١٩٥٣

رقم — ل - ٢١٢٦

الكردينال اغناطيوس جبرائيل تبوني البطريرك الانطاكي

حضرة ولدنا العزيز الفاضل الخورفسقفوس اسحاق ارملة المحترم

نهدي اليكم البركة الرسولية والسلام والمحبة بالرب يسوع اما بعد فقد تصفحنا بعذوبة فائقة ، سيرة ابينا مار افرام السرياني ملفان الكنيسة الجامعة » واثنينا اطيب الثناء على ما بذلتموه من التعب والمشقة في تأليفها معتقدين ان اولادنا الاحباء وسواهم يقبلون على مطالعتها ويتبحرون في مضامينها ليجنوا منها الفوائد الآئلة لخيرهم الروحي .

اننا ندعو لكم ايها الابن الحبيب بالمكافاة المضاعفة سائلين الرب المنان بشفاعة صفيه مار افرام الملفان ان يخفف عنكم وطأة المرض ويمنحكم نعمة الصبر الجميل . ولا يسعنا في هذه الفرصة الا ان نسدي الثناء ايضا الى سيادة الاخ الجليل المطران باسيليوس افرام حيقاري نائبنا البطريركي في لبنان الجزيل الاحترام لانه سعى لنشر هذا الكتاب راصدا ريعه لتعزيز المدارس .

هذا وعربونا لعطفنا الخاص وادعيتنا الابوية نهدي اليكم تكرارا البركة الرسولية والسلام والمحبة بالرب يسوع .

نيافة ابينا الكردينال

مار اغناطيوس جبرائيل الاول تبوني

بطريرك السريان الانطاكي الجزيل الطوبى

سيرة

مار افرام السرياني

ملفان الكنيسة الجامعة

(٣٠٠ - ٣٧٣)

تأليف

الخوري اسحق ارملة السرياني

نشرها

سيادة المطران مار باسيليوس افرام حيقاري

النائب البطريركي في بيروت ولبنان

وأرصد ريعها لتعزيز المدارس

مطبعة النسر - بيروت - لبنان

١٩٥٢

مقدمة

طالعت مراراً جمة اخبار أبينا مار افرام ملفان الكنيسة الجامعة. وترنمت باناشيده العذبة ودرست تآليفه وشروحه البديعة فكنت كلما تبحّرت فيها ازددت اقبالا عليها وشغفاً بمؤلفها. واديت فروض الشكر للروح القدس الذي جاد على عبده بمثل هذه المواهب الفائقة. وتذكرت ما كتبه الحكيم يشوع بن سيراخ عن داود الملك والنبي اذ قال: انه «في جميع اعماله اعترف للقدوس العلي بكلام مجد. بكل قلبه سبح واحب صانعه. اقام المغنين امام المذبح ولقنهم الحاناً لذيذة السماع. جعل للاعياد رونقاً وللمواسم زينة الى الانقضاء. لكي يسبّح اسمه القدوس ويرنّم في قدسه منذ الصباح» (سيراخ ٤٧ : ٩ - ١٢)

فهذه الايات الكتابية الشريفة قد صحت كذلك في ابينا مار افرام قيثار الروح القدس لانه بذل كل جهده في كل عمره ليرضي

الرب العلي باعماله واقواله وكتاباته حتى غدت تآليفه واناشيده بمثابة جفنة فنواء في حديقة الكنيسة الكاثوليكية يتفيأ اولادها في ظلالها الوارفة. ويتلذذون بعناقيدها الحلوة. ويتغنون باناشيد الحمد لله تعالى ويمجدونه في مختاريه واصفيائه.

وقد افاض القديس غريغوريوس اسقف نيصص (+ ٣٩٥) في وصف مناقب مار افرام وتصانيفه معدداً وثيق ايمانه ورجائه وفرط محبته لله تعالى وللقريب مقرظاً اتضاعه وعفافه ووداعته وتعطفه على المحتاجين. ذاكراً اصوامه وصلواته واسهاره. ملمعاً بمكافحته اراتقة عصره ومثابرته على الدرس والتدريس والكتابة والتصنيف.

وتفرد مار يعقوب الملفان اسقف سروج (٤٥١ — ٥٢١) بتبسطه في وصف نبوغ مار افرام في مختلف العلوم فاطلق عليه نعوتاً ممتازة اذ سماه محامياً كبيراً ناضل عن حقائق الدين القويم. وفيلسوفاً الاهياً برهن عن كمالات الثالوث الاقدس. وعلاّمة قديراً اوضح اسرار الكنيسة بعبارات قصيرة حوت معاني كثيرة

حبكها بالفاظ فصيحة وجمل بليغة . الى غير ذلك من النعوت المتازة كما سيرد ذلك في محله .

واطلق السريان عموماً على ابيهم هذا المجيد اوصافاً فريدة فاسموه صناجة الروح القدس وامام الملافنة . ومعلم العلماء . وقطب دائرة الشعراء . وصاحب الحكم والافكار السامية والمعاني المبتكرة . وشمس المدارس . وفزاعة الملحدين وكوكب البرية وناسكاً زاهداً في الحطام الدنيا . وتاج الامة الآرامية السريانية ومنار الكنيسة الكاثوليكية .

وتفرغ فريق من تلامذة ابينا مار افرام فلخصوا اخباره خصوصاً من الناحية الزهدية واوصلوا الينا تآليف معلمهم في مخطوطات قديمة نفيسة محفوظة لهذا العهد في اشهر المكتبات ومدمجة في الصلوات القانونية منذ قديم الاعصار وما برحت الكنائس الشرقية تترنم بها في فروضها وطقوسها البيعية .

اطلع غير واحد من ايمة الكنيسة وملافنتها العظام على مآثر مار افرام وآثاره الدينية والتقوية والثقافية كالقديس باسيليوس

الكبير (٣٣١ - ٣٧٩) والقديس يوحنا فم الذهب (٣٤٤ - ٤٠٧) والقديس ايرونيمس (٣٤٠ - ٤٢٠) فقال الاول : « ان مار افرام جوهرة نادرة المثال غالية الأثمان اختفى بحجاب تواضع عميق عن اعين البشر مستتأثراً بدرس الفضيلة والحكمة السامية ليحوز القربى لدى الله تعالى العارف بمضمرات القلوب ومكنونات الصدور » . وقال الثاني : «ان مار افرام هو منبه الغافلين ومعزي الحزانى ومهذب الشبيبة وعضدها وقائدها . وهو مرآة للرهبان وقدوة للتائبين . وسلاح ذو حدين لردع الاراتقة . ومجموعة الفضائل . وهيكل يثويه الروح القدس » وقال الثالث : « ان منظومات مار افرام السرياني المنيفة على ثلاثة ملايين من الابيات الشعرية قد جرى استعمالها في الكنائس المسيحية مذ كان بعد في قيد الحياة » (١)

اما الانباء بلاديوس (٣٦٣ - ٤٣٠) السائح الشهير فقد ارتحل الى الرها في عهد ثئودوسيوس الكبير (٣٧٩- ٣٩٥) واطلع عن كثب على اخبار مار افرام وكتب خلاصة حياته في مؤلفه

---

(١) الكتبة الكنسيون : تأليف ايرونيمس : فصل ١١٥

البديع بعنوان « بستان الاباء » الرهبان .

وحفظت اخبار ابينا مار افرام في نسختين قديمتين نشر احداهما عام ١٧٤٣ المطران اسطفان عواد الماروني. ونظم ثانيتهما الاب مارتان نقلا عن مخطوطات باريس . ونشرها عام ١٨٩٢ الاب بولس بيجان المرسل اللعازري ثم المستشرق يوسف اوفربك عام ١٨٩٥ ثم نقلت الى العربية ونشرت عام ١٨٩٦ في الموصل وفي مروج الاخيار طبع المطبعة الكاثوليكية ببيروت وفي كتاب « الكنز الثمين » تأليف البطريرك مكسيمس الثالث مظلوم . وفي سنكسار السيد ميخائيل عساف مطران بترا وفيلدلفيا الجليل .

ونشر كذلك البطريرك اغناطيوس افرام الثاني رحماني مداريش البتولية ووصية مار افرام وبعض ميامره وشذرات من اخباره . واقتفى آثاره السيد ادي شير مطران سعرد الكلداني والمطران يعقوب اوجين منا والسيد ثئوفيلس يوسف رباني مطران حمص وحماة في مجلته « الحب والسلام ».

وغير خاف انه لم يتفرغ احد لنشر سيرة كاملة مستوفاة تنطوي على اخبار ابينا البار مار افرام الملفان . ذلك ما حداني على

جمع ما اثبته في هذا الصدد اساطين الكتبة وثقات المؤرخين شرقيين وغربيين في مختلف الاحقاب مستنداً في ما اكتبه الى اوثق المصادر وادق البينات . وقد جعلت الكتاب خمسة اقسام:
١ - سيرة القديس ٢ - خطبة مار غريغوريوس اسقف نيصص وقصيدة مار يعقوب اسقف سروج في تعداد مناقب مار افرام ٣ - كنائس المشرق ولا سيما الكنيسة السريانية ومار افرام ٤ - احبار رومية العظام وخصوصاً البابا بندكتس الخامس عشر وبراءته الرائعة التي اذاعها في ٥ تشرين الاول ١٩٢٠ معلناً مار افرام ملفاناً للكنيسة الجامعة ٥ - تركة مار افرام العلمية ومنتخبات من قصائده الخالدة في وصف الاسرار المقدسة والمواسم الكنسية

ويستخلص من ذلك كله ان القديس افرام السرياني كان فريداً في زهده وتقواه . فريداً في كتاباته واساليبه ومعانيه فريداً في جهاده وفي موسيقاه واغانيه . لان الروح القدس كان مرجعه في جميع اعماله الخفية والجلية. فبمعونته مارس ما مارس من الفضائل وبوحيه كتب ما كتب ونظم ما نظم فأجاد وافاد.

ولا بد لي من اسداء مفترض الامتنان لسيادة الحبر المفضال مار باسيليوس افرام حيقاري النائب البطريركي في لبنان لانه احب ان يتبرع بنفقات طبع الكتاب تكريماً لسميّه مار افرام وتنويهاً بذكر شفيعه في الاسقفية مار باسيليوس الكبير اسقف قيسارية قبدوقية . وقد حبس ريع الكتاب انعاشاً للمدارس الطائفية الفقيرة في لبنان . كافاه الرب السخي بافضل المكافأة .

اليكم اذن ايها القراء الاحبة كتاباً جميلا يذكركم باعمال قديس عظيم وملفان كبير . ويبعث في افئدتكم روح التقوى والعبادة . ويحضكم لتكتنزوا لنفوسكم ثروة من الاعمال الصالحة والمبرورة . وتبلغوا الغاية القصوى بحول الله تعالى وعونه

الخوري اسحق ارملة

السرياني

بيروت ١٨ حزيران عيد مار افرام الملفان ١٩٥٢

القسم الاول

سيرة مار افرام السرياني

الفصل الاول

نصيبين وطن مار افرام

نصيبين او صوبا مدينة قديمة في ما بين النهرين يحدّها شرقاً سنجار والموصل . وغرباً دارا وماردين . وشمالا جبل الازل وطور عبدين . وجنوباً الصحراء الواسعة الارجاء . ينساب في وسطها نهر يتفجر من جبل في شماليها يقال له نهر الهرماس او نهر مغدون او ماشاخ . ويكتنفها ثلاثة اسوار ضخمة تضعضعت على كرور الازمان واندثرت آثارها .

واجمع المؤرخون البيعيون على ان النصرانية انتشرت انوارها في نصيبين على يد ماري تلميذ اديّ رسول الرها . فهو الذي نصّر اهاليها وابتنى فيها الكنيسة الاولى. وفي نواحي السنة ١٧٠ زارها مار ابرقيوس اسقف هيرابوليس احدى مدن فروجيا . ولما عاد الى ابرشيته وقد بلغ الثانية والسبعين من سنه حفر على لوحة رخام ٢٢ بيتاً من الشعر في اليونانية ضمنها خلاصة اعماله. فذكر انه حج رومية ثم ارتحـــل الى سوريا وتعهد

كنائسها. وعبر الفرات حتى وصل الى نصيبين وشاهد فيها جماعة المسيحيين وشاركهم في الصلوات والحفلات الدينية . وهذا الاثر الرخامي النفيس الذي دعاه الاثريون « ملك الكتابات النصرانية » قد عثر عليه عام ١٨٨٣ الرحالة رمساي الانكليزي ونُقل الى الاستانة .ثم اهداه السلطان عبد الحميد الى الحبر الاعظم البابا لاون الثالث عشر في فرصة يوبيله الاسقفي (١)

وفي نصيبين تأسست مدرسة مسيحية ذاع صيتها في بلاد الشرق وبرز منها رهط صالح من مشاهير القديسين والشهداء والملافنة . نذكر منهم مار يعقوب اول اساقفتها (٣٠٩ - ٣٣٨) (٢) . ومـــار شمعون برصبّاعي جاثليق المشرق (٣٢٩ - ٣٤١) الشهيد . وافرهاط الحكيم الفارسيّ مؤلف كتاب (البراهين) في السريانية نحو السنة ٣٣٧ و٣٤٥ (٣) وغريغوريوس الراهب الاهوازي صاحب كتاب « السيرة الرهبانية » في اواخر القرن الرابع (٤) .

واشتهرت نصيبين بكنائسها الفخمة واديارها. نذكر منها « كنيسة الحكمة الالهية » (٥) . وكنيسة فبرونيا الشهيدة . وكنيسة مار يعقوب الباقية آثارها حتى اليوم . وكنيسة مار قرياقس الشهيد التي القى فيها مار

---

(١) المشرق ١٦ ، ١٩١٣ ، ٦٥١ و ٢٠ ، ١٩٢٢ ، ١٣٤ - ١٤٣

(٢) تاريخ مشيحا زخا ٣٠

(٣) نشره المستشرق غرافان الفرنسي عام ١٨٩٤ وهو ينطوي على ٢٤ مقالة مرتبة على الحروف الابجدية مختومة بمقالة عنوانها « العنقود »

(٤) من هذا الكتاب نسخة في المكتبة الواتكانية ونسخة ثانية في مكتبة البطريركية الكلدانية بالموصل . (٥) الليترجيات الشرقية والغربية : للبطريرك افرام رحماني صفحة ٦١

يعقوب السروجي (+ ٢٥١م) خطبة بديعة في وصــف انتقال العذراء المغبوطة الى السماء

اما الاديار فما عدا ما تأسس في ضواحيها فقد اشتهر في المدينة عينها دير للراهبات ضم زهاء خمسين راهبة تحت رئاسة الام بروانا . واحرزت الاستشهاد فبرونيا احدى اولئك الراهبات عام ٣٠٤ وابتنى المؤمنون كنيسة جميلة تيمّنا باسمها دشنها عام ٣١٠ مار يعقوب اسقف المدينة (١)

وقد تعدّدت الحروب بين قياصرة الروم واكاسرة الفرس فكانت نصيبين كوردة بين الاشواك تلاحظها عين الربّ ملك الملوك . واول من حاول انتزاعها من يد الروم كان اردشير الاوّل (٢٢٦ - ٢٤١) ثم شابور الاوّل (٢٤١ - ٢٧٢) ثم نرسي (٢٩٣- ٣٠٢) ولما ملك شابور الثاني (٣٠٩ - ٣٧٩) اغار عليها ثلاث مرّات عام ٣٣٧ و ٣٤٦ و ٣٥٠ واخيراً تمّ الاتفاق بين الدولتين عام ٣٦٣ لمدة ثلاثين سنة على ان تكون نصيبين والخابور حداً فاصلاً بينهما ولذلك دُعيت «مدينة الحدود» .

---

(١) هذا خبر جهاد الشهيدة فبرونيا قد كتبته الراهبة توما يس الشاهدة العيان ونقل الى اليونانية واللاتينية واعتبره البولنديون من اجلّ الآثار النصرانية وادقها واثمنها . وقد عربه المونسنيور يوحنا عزّو الفاضل ونشره عــام ١٩٣٨ تلبية لطلب السيد يعقوب يوحنا حبّي مطران الجزيرة الجليل . ونقيم الكنيسة تذكاراً للشهيدة فبرونيا في ٢٥ حزيران .

الفصل الثاني

حداثة مار افرام

ففي نصيبين مدينة الحدود الفاصلة بين دولتي الروم وفـارس أبصر النور مار افرام المغبوط عام ٣٠٠ للميلاد (١) وكان ابوه يوسف (٢) تقيّاً فاضلاً . وفاز غير واحد من اسرته باكاليل الاستشهاد . وأحرز افرام نصيباً وافراً من الجـاه والاعتبار نظراً الى اصله ووطنه ونبالة والديه وشرف اهله ونشأته وتربيته (٣) . وذكر في قصيدة نظمها في اواخر حياته ما يبرهن على اعماله التقوية منذ فتوّته اذ قــال : « حملتُ يا ربي نيرك منذ حداثتي حتى شيخوختي . واعتكفت على العمل مسروراً كلّ يوم دون انقطاع حتى النهاية » (٤). وكتب في وصيّته الاخيرة مصرحـاً بما سبق فرآه في حلمه حين فتوّته قال :

---

(٢) سيرة مار افرام طبع الموصل صفحة ٥ وذكر المستشرق روبنس دوفال ان ميلاد مار افرام حدث عام ٣٠٦ (الآداب السريانية ٣٣٠)

(٢) الكنز الثمين للاب جبرائيل قرداحي : صفحة ٩ والمروج النزهيّة بقلم الاب يعقوب اوجين منا الكلدانيّ ١ : ٣٤٠

(٣) خطبة مار غريغوريوس اسقف نيصص وسيرد تفصيلها .

(٤) فنقيث ٣ : ١٩١

« لما كنت فتىً صغيراً مضجعاً بالقرب مـــن امي رأيت في الحلم مشهداً لطيفاً . رأيت كرمةً نبتت في لساني ونمتْ وارتفَعتْ في الفضاء واينعت عناقيد جمّة واوراقاً بلغت حدّ الكثرة . وامتدت أفنانها وتبسطت حتى كادت تملأ الارض جميعها . واقبلت طيور السماء فجثمت فوقهـا وجعلت تلتقط العنب من عناقيدها . وكانت كلما التقطت منها ازدادت وكثرت » (١) .

على ان العناقيد اشارت الى منظومـــاته الشعريّة والاوراق الى محاوراته الجدليّة . اما مانحها فهو الرب الكريم السخيّ الذي يجود بمواهبه الفائضة على عبيده الاصفياء قدر ما يشاء .

واتّصفت حداثة مار افرام بتقوى عاديّة كسائر الفتيان المسيحيين . وكلف بمطالعة الكتاب المقدس فاقتبس من آياته الكريمة ميلاً الى العواطف التقية الرقيقة . وعاش عيشة اعتكاف على العمل فاق بها سائر اقرانه ومعارفه . وقد لاحظته العناية الربّانية منذ إذ واصطفته ليكون إناءً مختاراً في الكنيسة ونبراساً لامعاً يستنير اولادها باشعتِـه . وهيأت له حادثاً حمله على الزهد في الدنيا وملاهيهـا وعلى السير في سبيل القداسة والتفاني في خدمة القريب وتعزيز الدين المسيحيّ القويم :

ذلك انه طارد يومـاً بقرة رجل مسكين دخلت حقل يوسف والده

---

(١) وصية مار افرام الاخيرة . وكتاب بستان الرهبان ١٧٨ وخطبة مار غريغوريوس المشار اليها .

فتتبعها حتى انتهت الى غابة واختفت فيها . ثم اقبل صاحبها يفتش عنها فقابله افرام بالتوبيخ والاهانة. وما مرّ القليل على هذا الحادث حتى اتهمه احد الرعاة بسرقة بعض غنمه ورفع عليه الدعوى فالقي في السجن وهو بريء . فامتعض افرام مما عرض له وظلت الافكار تزعجه وتقلقه وهو يدعو الى الله ان يشفق عليه وينقذه من سجنه . واتفق ان سمع ذات ليلة في حلمه هاتفاً يقول له : اذا كنت يا افرام بريئاً من هذه التهمة فلست بريئاً من كلّ ذنب. فتذكر افرام ما جرى له مع البقرة ومع صاحبها وعول على التكفير عن زلته بالتوبة والصبر . وسأل الرب الرحيم ان ينقذه ووعده وعداً وثيقاً بان يهجر العالم وينقطع الى خدمته . وما عتم ان استجاب الله تعالى طلبته وأعلن القاضي براءة ساحته وأطلق سبيله . فعاد الى بيته شاكراً لله القدير نعمته .

ذكر مار افرام هذا الحادث في احدى كتاباته قال : لما حضرت امام القاضي وقلت له الحق كما جرى عرفني من اسمي وعرف والديّ كذلك . وما ان تجلت له الحقيقة حتى امر ان يصفع ذلك الراعي بالسياط ثم برّرني واطلقني بعد ما مكثت في السجن ثمانين يوماً . على ان والديّ اللذين ثقفاني في الايمان المسيحي وادباني بتقوى الله عز شأنه دافعا عني لدى القاضي مراراً وطالما سمعتهما يحدثاني عما سبق فكابده انسبائي من الاعذبة حباً للسيد المسيح وعن انتمائي الى اولئك الشهداء الابطال (١) .

---

(١) مخطوطة دير الشرفة ٧ — ١ الميمر الثامن من الميامر الافرامية العربية المنقولة عن اليونانية وعنوانه « توبيخ لنفسه واعتراف » .

الفصل الثالث

مار يعقوب ومار افرام

قرر افرام الشاب بعد نجاته من السجن ان ينجز وعده فتوجه الى الكنيسة وأدى الشكر للرب الذي خلصه . ثم قصد مار يعقوب اسقف المدينة (+٣٣٨) وافضى اليه بمكنونات صدره واطلعه على تفاصيل ما حدث له . وكان مار يعقوب ممتازاً بالصلاح يوحي اليه الروح القدس خفايا القلوب ويجري على يده كرامات وآيات عجيبة . فلما زاره افرام وقص عليه قصته من اولها الى آخرها رحب به ترحيب احن الاباء باعز الابناء وسر به كل السرور . وجعل يلاحظه بعين يقظى ويشجعه ليثبت في مقصده الصالح . وما مر القليل حتى ضمّه الى صفوف طلبة مدرسته العامرة . فاكب افرام على الدرس والمطالعة بكل قواه حتى بلغ في مدة وجيزة مبلغاً من الثقافة والحكمة ادهش الاكليرس والتلامذة وجماعة المؤمنين طراً . وجعلوا يمجّدون الله عز وجل بسببه . ولم يرَ مار يعقوب المغبوط الا ان يتخذ تلميذه هذا النشيط امينا لسرّه وشماسا لخدمته واستاذا في مدرسته .

نهض افرام بمهمّته الشريفة خير نهوض وانصرف وقت فراغه من التدريس الى التأليف والتصنيف . فازداد اعجاب راعيه الجليل بذكائه وحصافته وامانته . ولما سافر الى نيقية عام ٣٢٥ لحضور المجمع النيقاوي

المسكوني الاول المشهور بمجمع الثلاثمـائة والثمانية عشر اسقفاً اخـذه معه . وهناك شاهـد قسطنطين الملك وهيلاني امّه الرهاوية ونظم فيهـما بعض القصائد كما نذكره في الفصل التالي .

وبعد انتهاء المجمع وعودة كل من الاساقفة الى ابرشيته عاد كذلك مار يعقوب وتلميذه الى نصيبين واستأنف افرام عمله في المدرسة خاضعاً طائعاً لمعلمه القديس في كل ما يأمره به . وتفرّغ يومئذ لنظم احدى وعشرين قصيدة عنوانها « مداريش نصيبين » وهي باكورة منظوماته ضم اليها مع توالي الزمان ٥٦ قصيدة في شتّى المواضيـع فأصبحت ٧٧ قصيدة (١) سكبها باجمعها بالفاظ جزلة اقتبس اغلبها من آيات الكتاب المقدس . وكان في كتاباته كلها يسترشد الروح القدس ويكتب ما يكتب مستعيناً بوحيه والهامه .

الفصل الرابع

مار افرام يصف قسطنطين الملك وامه هيلاني

افاض المؤرخون في الحديث عن قسطنطين الملك المظفر (٣٠٦-٣٣٧) ووصفوا ظهور علامة الصليب له مدبجة بعبارة «بهذه العلامة تغلب». وقد شاهدها الملك عام ٣١٢ في كبد السماء في ضحى النهار فجاهر بالدين المسيحي واذاع منشوره الملكي مطلقاً الحرية لرعاياه في مسائل الدين .

---

(١) نشرها غستاف بيكل عام ١٨٦٦ واكمل نشرها عام ١٨٨٢ توما يوسف لامي

وفي ٢٨ تشرين ٣١٣ زحف القيصر في جنوده وقد توشحت راياتهم بالصليب الكريم ونازل خصمه مكسنطس فقهره وأتلفه في نهر التيبر مع الكثيرين من جنوده . وتفرّد منذ السنة ٣٢٣ بالعرش الروماني وأبدى حمايته للدين المسيحي وحرمته لاحبار الكنيسة الكاثوليكية خصوصاً في اثناء المجمع النيقاوي وشاهده مار افرام بام عينه يتصدر جلسات ذلك المجمع الكبير ويفاوض الآباء باحلى العبارات والطفها . ورأى كذلك الملكة هيلاني الرهاوية النبيلة فنظم القصائد الجميلة في وصف العاهلين المجيدين نذكر من ذلك قوله :

« هنيئاً لك ايها الملك قسطنطين يا أشهى الملوك والطفهم ! فقد سرت في محجة الدين المسيحي مذ تجلى لك صليب الانوار . مرحبا باكليلك مزداناً بعلامة الصليب ! مرحباً بتاجك مرصعاً باشعة الصليب ! فالصليب خوّلك القوة والظفر ومنحك العون والتغلب على خصومك .

« هنيئاً لكِ يا هيلاني امّ قسطنطين المختار . لانك اكتشفتِ صليب يسوع ابن الله المجيد بعدما طمره اليهود واخفوه . طوبى لقدميك تسارعان الى اكتشاف الثمرة التي عُلقت على خشبة ! فقد استقصيت البحث عن صليب فادي العالمين حتى ظفرت به وأحرزت الشرف على كرور الاحقاب (١)

«لاح الصليب على الارض حبا لخلاص البرايا . واعلن لهيلاني شكله ورمزه . وشاهده الملك فانتصر في كفاحه . وقوض الاصنام بقوة الصليب

---

(١) فنقيث ٦ : ٤٧٨

واستحوذ الهلع علـى جماعة الوثنيين عندمـا لمحوا رايته واختبروا قوته وغلبته .

«ارتحلت هيلاني محتفية بالصليب الحي من اورشليم الى رومية . ولما شاهده الملك خرّ وسجد له وسبح الرب متعجباً وهو يقول : تباركت راية الخلاص التي لاحت للعيان . وتعذر على الكفرة اخفاؤها .

« كتبت هيلاني رسالة الى ابنها ضمّنتها البشائر والافراح قائلة : عما قليل يصل الصليب فاخرج الى لقائه . فاستدعى الملك الاساقفة والكهنة الاجلاّء واقطاب دولته وبرز مبتهجاً ابتهاجاً عظيما معرباً عن اجلاله للصليب.

«وصل الصليب الحي الى رومة في حفاوة كبرى. وتقاطر الرومانيون ليرحبوا به . برز الشبان والفتيان والشيوخ والاطفـال قاطبة ليسجدوا لصليب ابن الله . وسألهم الملك ان يهتفوا بالدعـاء له ويزدادوا اجلالاً واحتراماً لصليب الرب » (١) .

ووصف مـار افرام حفلة معموذية قسطنطين الكبير على يد الحبر الروماني في قصيدة عنوانها « معموذية قسطنطين المظفر. نظم مـار افرام السرياني الملفان عمود الكنيسة الشرقية » هذه خلاصتها :

«أقبل حاجب قسطنطين الى الكنيسة مبتهجاً وسلم على الاسقف وأفاده ان الملك قادم ليعتمذ. فابتهج الاسقف وأمر الاكليرس ان يعدّوا لوازم العماذ . وطفق المنادون يعلنون البشرى في المدينة . ثم توجه الحاجب

---

(١) فنقيث ٥ : ٤٩٧ - ٤٩٨

وبشّر هيلاني أمّ العاهل كي تتوشح بحلتها الملكية وترافق القيصر نجلها الى الكنيسة .

« اما السدنة والسحرة فقد اعترتهم الكآبة وانزووا في بيوتهم حاردين ساخطين .

« وما كاد يصل العاهل الى الكنيسة حتى سارع الاسقف ولفيف الاكليرس ليرحبوا بجلالته . ثم تصافح الاسقف والملك وتعانقا . وتوسل القيصر الى الاسقف ليصلي لاجله كي يشفيه الله القدير من برصه . فطمأنه الاسقف قائلا : اني واثق بان الله عز وجل ينعم عليك بتطهير نفسك وجسدك معاً .

« ثم انطلق الاسقف والملك الى مصلّى العذراء مريم . وما كاد يلمح القيصر صورتها البديعة والملاكين المحدقين بها حتى شغف بها وقال للاسقف : من هي هذه المرأة الرائعة الجمال ؟ قال له الاسقف : هي أم ابن الله ملك الملوك . ثم استحضر زيت الموعوظين ودهن الملك فزال عنه البرص للحال . واندفع يسبح الله بصوت جهوري ويشكره اخلص الشكر لانه انقذه من رجاسة الوثن ومن قذارة البرص معاً .

« وتوجه الاسقف والقيصر معاً الى بيت المعمودية وهو يقول له : هلمّ لأريك أمّاً تلد اطفالاً جُدداً وتضمهم الى اولاد الله العلي . وعند ذلك ظهرت نار غريبة تلتهب فوق جرن العماذ . فسأل القيصر عنها فقال له الاسقف : ان هذه النار تقدس البشر وتكملهم . والآن فانزع التاج

عن هامتك وهلم اعمدك ثم اكتب اسمك في سجل المؤمنين . هكذا انضم الخروف الجديد المحبوب الى سائر خراف ابن الله الوحيـــد . وتقدمت هيلاني وهنأت ابنها وقلبها يرقص طرباً وحبوراً .

« وعلى اثر ذلك قـــال الاسقف للملك : بقي عليك الآن ان تتلذذ بمأدبة ابن الله القدوس . فهلم اناولك جسده الاقدس ودمه الزكي مثلما تناولهما اول بدء آباؤنا الرسل الاثناعشر . على هذا المنوال احتفل الاسقف بعماذ الملك وناوله القربان الاقدس وودعه الى بلاطه . وكان المسيحيون في غدوه ورواحه يهتفون له بالعز والانتصار شاكرين لله تعـــالى نعمته الفياضة » (١) .

الفصل الخامس

مـار افرام وقيم كنيسة نصيبين

قفل مار افرام عائداً الى وطنه مع مار يعقوب معلمه كما قلنا وجعل يواصل عمله في المدرسة . وكان المؤمنون قاطبة صغيرهم و كبيرهم يزدادون احتراماً لمقامه واعتباراً لفضائله . غير ان ابليس عـدوّ كل خير وصلاح عندما رأى ما تبديه العناية الالهية من الفوائد على يد صفيّها البار حاول ان يشوه سمعته ويذلـّه .

ذلك ان قيم الكنيسة — وكان اسمـه افرام كذلك — ساقه الغرور

(١) شذرات المستشرق يوسف اوفربك : طبع اكسفورد ٣٥٥ — ٣٦١

والهوى فخدع فتاة ثم لقنها ان تقول لوالديها ان الذي انتزع عفافها هو افرام تلميذ يعقوب اسقف المدينة . ولما شعر الوالدان بالامر حنقا كل الحنق على افرام الطاهر الذيل وقصدا مار يعقوب وبثاه السر . فاستغرب القديس دعواهما ولم يصدق كلامهما . وجعل يبتهل الى الله العالم بسرائر القلوب ان يطلعه على الحقيقة . ثم استدعى افرام تلميذه واستطلعه طلع المسئلة فسكت ولم يفه بكلمة . واخيراً اكتفى بان يقول للقديس نعم يا أبتِ اني رجل خاطئ ! فاطلقه الاسقف وهو مرتاب كل الارتياب في ذلك الحادث المزعج ولا سيما لانه كان ملمّاً باعمال تلميذه كلها مختبراً طهارة نفسه وجسده .

وضعت تلك الفتاة طفلاً وحمله ابواها الى مار يعقوب .فاستدعى افرام تلميذه ودفعه اليه وحكم عليه بنفقة ارضاعه وتربيته . وقد كابد افرام الطهور ما كابد من الهوان والاحتقار في تلك الغضون ساكتاً صابراً يطوف البيوت حاملاً ذلك الطفل يبحث عن مرضع ترضعه. وظل كذلك اياماً ريثما ألهمه روح القدس ان يبرئ نفسه . وذكره باية الانجيل الكريمة وهي «الويل لذلك الانسان الذي تقع الشكوك عن يده» (متى١٨ :٢٧)

وبناءً عليه انتهز الفرصة افرام البار ودخل الكنيسة يوم الاحد وهي مكتظة بجماعة المؤمنين واستأذن مار يعقوب المغبوط وارتقى المنبر حاملاً ذلك الطفل على ذراعيه . فشمل الهدؤ والخوف جميع الحاضرين . والتفت افرام نحو المذبح والطفل على ذراعيه ورفع صوته وقال : أقسم عليك ايها الطفل باسم ربنا يسوع المسيح فاطر السماء والارض قل الحق من هو

ابوك؟ فتح الطفل فمه للحال وقال بصوت جهوري رنّ في تلك الكنيسة: ان ابي هو افرام قيّم الكنيسة. وكرر هذه العبارة وثلثها ثم فاضت روحه.

دهش المؤمنون كافة وشمل قلوبهم خوف شديد. ثم احتشدوا في فناء الكنيسة وشرعوا يتوسلون الى افرام العفيف ان يغفرلهم سوء ظنهم به. وجاهرت الفتاة كذلك بحقيقة الامر الواقع وجثت هي ووالداها عند قدمي افرام البار يستغفرونه. وازداد اعتبار المؤمنين لعفاف افرام وطهارة ذيله. وجعلوا يلتمسون صلاته ودعاءه.

تلك التبرئة العلنية العجيبة الغريبة من تلك التهمة القبيحة الشنيعة اضحت ركناً متيناً راسخاً في بنيان حياتَي افرام الادبية والنسكية. اما مار يعقوب فقد أثنى الثناء الجزيل على صبر تلميذه الحبيب وعلى عفافه ووداعته. وكان كلما تقدم في العمر ازداد ثقة بفضيلته واعتباراً لنبوغه وحصافته.

الفصل السادس

نجاة نصيبين من يد الفرس بصلاة مار افرام

ظلت الحروب متواصلة والعلاقات متوترة بين قياصرة الروم واكاسرة فارس منذ عهد اسكندر سويرس (٢٢٢ – ٢٣٥) واردشير بن بابك (٢٢٦ – ٢٤١) . ولما ملك شابور الثاني (٣٠٩ – ٣٧٩) جعل منذ السنة ٣١٩ يبعث الجيوش تلو الجيوش مستنفداً الوسع في استرجاع المدن

التي انتزعها الروم من يد اسلافه وفي طليعتهـــا نصيبين مدينة الحدود الفاصلة بين كلتـــا الدولتين . وفي السنة ٣٣٧ كتّب قسطنطين الكبير (٣٠٦ - ٣٣٧) الكتائب وسأل بعض الاساقفة ليصحبوه الى ميدان القتال . غير انه ماوصل الى مدينة نيقومدية حتى ادركته المنون في ٢٢ ايار السنة عينها . وخلفه في بلاد الشرق قسطنس ثاني ابنائه الثلاثة (٣٣٧ - ٣٦١). فاغتنم شابور الفرصة وزحف الى نصيبين في خيله ورجله وأحدق بها من كل صوب . وسدّ مجرى نهرها وظلّ يحاصرها زهاء ٧٠ يوماً حتى طغت المياه وارتفعت فوق السور فزعزعته وضعضعته . وغلب على ظنه انه احتل المدينة او كاد يحتلها .

اما مار يعقوب المغبوط فحشد المؤمنين في الكنيسة واقاموا الصلوات الى الله ربّ الجنود لينقذهم من تلك الغائلة. ثم قرر مع اعيان البـلد ان يُبتنى سور ثانٍ جديد يدافع فيه الاهـالي عن ارواحهم وعن مدينتهم . فأقبلوا على العمل ليل نهار حتى انجزوا البناء . وتفرق المحاربون فيـــه ليناوشوا العدوّ .

ولشدّ ما كان ذهول شابور وارتعاشه حينما ترآى له شخص مهيب متوشح بحلة فاخرة وعلى هامته تاج ملكي خيل اليه أنه قيصر الروم بعينه . فاحتدم سخطاً على وزرائه وقواد جيشه فاكدوا له ان قسطنطين القيصر قد توفي . وعلى شعور شابور بالفشل وخيبوبة الامل أبى الا ان يواصل الحصـار مهما كلفه . وبعث في قـلوب عسكره النشاط ليشددوا العزائم ويستأنفوا القتال ويحتلوا المدينة ويتلفوا اهاليها كافة .

حين ذاك استأذن مار افرام العجيب مار يعقوب معلمه المغبوط وقصد احد ابراج السور الجديد ليشرف على العدو . وما ان لمح ربوات الجنود في خيلهم ورجلهم وأسلحتهم حتى جث على ركبتيه ورفع الى السماء عينيه وبسط ذراعيه مبتهلا الى الله القويّ الجبار ليهبط على اولئك الجنود وعلى معدّاتهم وخيلهم سُحُباً من صنوف البعوض والحشرات والبق . وما كاد ينهي ابتهاله هذا الحار حتى انصبّت الهوامّ انصباب الصاعقة وتشبثت باجسام الفِيلة الجرداء وعلقت بآذان الخيل ومناخيرها . وتلبست بثياب الجنود وعيونهم وآذانهم ووجوههم وايديهم . فحطمت الخيــــل لجمها وطرحت الفيلة ركّابها عن ظهورها . فتمزق الجنود شر ممزق وتشردوا في القفـار وهلكوا عن بكرة أبيهم ولم يتخلف منهم احـد . واستيقن شابور فشله وخيبوبة امله فنكص على عقبيه واركن الى الفرار في نفر من كبار رجاله .

هكذا نجت نصيبين واهاليها من تلك الغائلة الهائلة بأدعية ابينا مار افرام المغبوط وصلواته الحارة وثقته التامّة بعناية الله رب الارباب القدير

الفصل السابع

اساقفة نصيبين ومار افرام

على اثر هزيمة شابور الفارسي من نصيبين لبى مار يعقوب المغبوط دعوة ربّه عام ٣٣٨ متحليا بابهى المحاسن . وطارت نفسه النقية الى الاخدار

العلوية (١) . وخلف في قلب تلميذه افرام لوعات الحزن والكآبة فبكاه بكاء مراً وأبنه تابيناً مؤثراً معدداً مناقبه الشريفة ذاكراً اصوامه واسهاره المتواترة ومشاريعه الدينية الخطيرة . ومما قال عنه : « كان يعقوب حبراً نبيلاً احرز انتصاراً باهراً في جهاده . اذ ادمج المحبة بالغيرة في سبيل رعيته . وتدرع بسلاح التقوى . وامتاز بتعطفة على ابنائه »

وظل مار افرام بعد وفاة معلمه القديس يواظب على التدريس في جامعة نصيبين في عهد مار بابو الذي خلف مار يعقوب في الكرسي الاسقفي (٣٣٨ — ٣٤٣) . وقد زحف شابور في تلك الغضون مرتين عام ٣٤٠ و ٣٤١ الى نصيبين ونهب واخرب وسبى جمهوراً من الاهالي . فقصده الاسقف الجليل واستعطفه على رعيته . وأدى له مبلغاً من المال حتى تيسر له استرجاع الأسرى . وافرغ كل قواه في اغاثة المنكوبين وتضميد قلوب الحزانى والايتام والارامل .

بيد ان شابور الطاغية لم يكف عن البلوغ الى غايته في احتلال المدينة مهما كلفه ذلك من الخسائر فانقض عليها عام ٣٥٠ (٢) في عهد مار ولغش خلف مار بابو في الاسقفية (٣٤٣ — ٣٦١) واضطر الراعي الفضيل ان ينتزح عن المدينة في جمهور صالح من اعيانها وأدبائها واكليرسها وفي جملتهم مار افرام استاذ المدرسة .

ولم يرَ مار افرام حين اقامته في نصيبين وطنه الا ان يجاهر بولائه

---

(١) اخبار الشهداء والقديسين : طبع الاب بيجان ٤ : ٢٧٢

(٢) سنكسار كنيسة الروم الملكيين الكاثوليك : المطران ميخائل عساف .

ووفائه لاساقفتها الاجلاء المشار اليهم . وقـد قضى معهم سنّ الشباب والكهولة. واطلع عن كثب على اعمالهم ومساعيهم ومشاريعهم. وشاهد ما انتابهم وانتـاب اولاد ابرشيتهم المنكودة الحظ من الافات والخسائر والغوائل . فنظم احدى وعشرين قصيـدة في وصف احوالهم . وافتتح تلك المنظومات التي تعدّ باكورة منظوماته مشبهاً وطنه واهاليـه بفلك نوح وسكانه قال :

« تحنن الله الاه الرحمـات عـلى نوح لانه أرضى جلاله بقربانه وصلاته وبخوره. فقد أمست نصيبين كالفلك تتلاطمها امواج القتـــال والحرب. وراح اهاليها يثابرون على الصلوات . ولاذ ابطالهـا بالاسوار مستنجدين بالرحمة الالهية لتنقذهم هم ومدينتهم من الغوائل مثلما انقذت نوحاً واهله من الطوفان العرمرميّ »

وكتب في القصيدة الثانية : ان الرب القدير تجلّى نصيبين من العدو . وضجّ اهاليها كافة بتادية فروض الحمد والشكر لعزته تعالى وهم محتشدون في الكنيسة ...

وقال في القصيدة الرابعة : ان الغنم ما كادت تشاهد الذئاب ثائرين حتى هتفت بالدعاء الى المولى الرحيم ليكشفهم ويزحزحهم عنها . وتعالت اصوات الرجال والعملة في الابراج والأسوار يطلبون الغوث والنجاة . وانتصب اسقفهم ماريعقوب الطوباوي في المذبح مترديا المسح يصلي باخبات حتى انكسر العدو وانقلب خاسئاً خاسراً . وجعـــل الكبير والصغير

يسبحون الرب شاكوين محبورين ...

وصرح في القصيدة الخامسة : «بان شابور ملك فارس استنجد الملوك انصاره ظاناً انه يحرز الغلبة . ولكن الله القوي القدير اقلقه وأزعجه حتى افضى به الامر الى ان يمزق ثيابه ويهرول تائهاً في الصحـــارى . وتبعه جنوده وجحافله مأيوسين مقهورين ...

وذكر في القصيدة السادسة :ان الاعداء اقبلوا تكرارا واقبلوا الى نصيبين : ثم زحفوا زحفة ثالثة في مدة ١٥ يوماً . لكن يسوع المخلص أشفق على عبيده يوم صعوده المجيد . فاصبح العيد عيدين : احدهما احتفاءً بصعود الفادي الى السماء وثانيهما بذكرى الابطال عبيده الذين قضوا في ساحة الوغى ...

وقال في القصيدة السابعة : ان زحفات العدوّ الفـارسي استغرقت عشرين سنة متقطعة ...

وبعد هذا جعل الناظم يصف اساقفة نصيبين الاربعـة الاجلاء اعني يعقوب وبابو وولغش وابراهيم الذين قام وقعد معهم . فقال في القصيدة ١٣ : اندلعت سيوف الحرب في عهد مار يعقوب. وفُتحت ابواب المدينة لعقد الهدنة في عهد مار بابو . واجتمع الوفدان الرومي والفـارسي في عهد مار ولغش ...

وقال في القصيدة ١٤ : ان يعقوب اول الاساقفة هدأ جأش الرعية. وبابو جبر انكسارها . وولغش حلّى مرارتها . فالاول ارضعها الحليب

ببساطته وسذاجته . والثاني غذاها بحلمه وحنانه . والثالث سد جوعها بفضله وكماله . وانا تلميذ الثلاثة اتوسل الى الرب العطوف كي يوفّقني في التقاط ماينتاثر على مائدتهم من الفتات المفعم حياة وخلاصاً ...

وكتب في القصيدة ١٦ : اني تدرجت رويداً رويداً على يد رعاتي واساتذتي وآبائي الثلاثة . فأفادوني بمناقبهم وامثلتهم ومواعظهم. وعالجوني في صبائي وشبابي وزينوتي بفضائلهم ...

وصرح في القصيدة ١٩ : بان الاسقف يعقوب النبيل امتاز بحميته وغيرته . والاسقف بابو تفرد بصدقاته وإعتاقه الأسرى. واتصف الاسقف ولغش بعلم الكتاب المقدس والشرع . وقد احرز هولاء الاساقفة ارباحاً مضاعفة ...

وبعد هذا كله لم يغمض مار افرام الوفي عن وصف مار ابراهيم تلميذ الاساقفة الثلاثة وخلفهم في كرسي نصيبين . فعدد مناقبه وزهده وصلواته وأصوامه . مما برهن على اخلاصه لاولئك الاحبار الافاضل وعلى اختباره فضلهم وفضيلتهم واطلاعه التام على احوال المسيحيين في تلك الحقبة ولاسيما احوال ابناء وطنه الاعزاء

هذا وقد غادر مار افرام نصيبين في من غادرها عام ٣٥٠ كما قلنا . ومرّ في طريقه بقرية بيت غربية . ثم قصد دياربكر اي آمد واقام فيها مدة وجيزة عند انسبائه ومنها ارتحل الى الرها اذ كان يتوق منذ امد بعيد ان يزورها . وما كاد يشرف عليها ويلمح اديارها العامرة بالنساك

والزهاد حتى اضطرمت في قلبه لواعج الشوق الى الانزواء في احدها والانقطاع الى المطالعة والتأليف والعبادة هناك ما يقي من حياته.

الفصل الثامن

وصف دولة الرها وطن مار افرام الثاني

الرها مدينة قديمة شهيرة في بلاد مابين النهرين اتخذها الملوك الاباجرة حاضرة لهم مدة ٣٧٦ سنة. أسماها الغربيون « ادسّا » والمتأخرون « اورفا ». يكتنفها سوران ضخمان تتخللها عدة ابراج وقلعة حريزة. يحدها شرقاً راس العين ونصيبين. وغرباً سروج ونهر الفرات. وشمالاً جبال ارمينيا وديار بكر. وجنوباً حرّان والرقة والبرية. تحدق بضواحيها جنائن ومزارع شتى وقرى عامرة بالاهالي. وتسقيها ينابيع جمة اشهرها نهر ديصان ينبجس من شماليها الغربي ويمر ضمنها. ثم يتوجه نحو حرّان ويصب في نهر البليخ.

اما مؤسس الرها فهو على ما ذهب اغلب المؤرخين سلوقس نيقاطور الاول (٣١١ - ٢٨٠ ق . م) ثاني ملوك اليونان في المشرق (١). فقد مرّ بالرها واعجب بموقعها فجدد ابنيتها ورمم اخربتها وابتنى لها سوراً فتح فيه ستة ابواب وأنشأ فيه ابراجاً شاهقة ما برحت آثار احدها باقية

(١) لخصنا هذه الاخبار عما نشره العلامة يوسف السمعاني الشهير في المكتبة الشرقية (مجلد ١ صفحة ٣٩٢)

حتى اليوم شرقي المدينة فوق منبع الماء .

وابتنى سلوقس ضمن المدينة قصوراً باذخة وأسس في زواياها الاربع اربع قلاع حصينة . وشاد بلاطاً فخماً فوق منبع الماء غربي المدينة في لحف الجبل واضاف اليه هيكلا للوثن . ثم جلب المياه الى المدينة من ناحيتها الشمالية باقنية وقساطل محكمة ووزعها في دور الاعيان وفي الشوارع . واقام في قلب المدينة اسواقاً ومخازن وحوانيت ابتناها بحجار ضخمة . وغرس ظاهر المدينة حدائق و كروماً . واطلق على المدينة اسم «سلوقيا» باسم ابنته البكر . وظل ولاة الرها عمالاً امناء لسلوقس وخلفائه حتى السنة ١٣٢ ق . م .

ولما تولى الرها اريو (الاسد) (١٣٢ – ١٢٧ ق . م) انتقض على المقدونيين وأنشأ دولة مستقلة عُرفت بالدولة الابجرية . وتولى سياستها ٢٧ ملكاً الواحد تلو الآخر حتى السنة ٢٤٤ م . وحالفوا قياصرة رومية وعضدوهم في حروبهم . واصبحت عاصمتهم من أمنع المدن وأبدعها .

ولما تولى ابجر الخامس (٤ ق . م – ٥٠ م) المعروف بالاسود استنفد الوسع في تعزيز عاصمته وتزيينها واقام فيها نصباً حفر فيه عبارة سريانية تعريبها : « شلمو الملكة ابنة معنو » . وحوّل هيكل الوثن الى كنيسة مسيحية كما سترى في الفصل التالي . واسس ابجر الثامن (١٦٣ – ١٦٦ م)ضمن القلعة قصراً فخماً لسكناه في فصل الشتاء . واقام ابجر التاسع (١٧٩ - ٢١٤ م) بعد عودته من رومية ميداناً فسيحاً شمالي المدينة جعله ملعبا لمحاضير الخيل . وقد صبر على كوارث الدهر حتى اليوم

اسطوانتان قرب القلعة قديمتا العهد .

تلك خلاصة اخبار الدولة الرهاوية السريانية التي استغرقت مدتها ٣٧٦ سنة كما قلنا .

الفصل التاسع

الرها النصرانية

سبق الرهاويون فجاهروا بالدين المسيحي على يد ادّي احد السبعين تلميذاً . وتم ذلك في عهد ملكهم ابجر الخامس المشار اليه وهو الذي راسل سيدنا يسوع المسيح عز شانهُ طبقاً لما اثبته ايمّة المؤرخين الاقدمين وفي طليعتهم اوسابيوس القيصري (١) (٢٦٥ - ٣٤٠) . فقد زار هذا المؤرخ المدقق مدينة الرها وشاهد بأم عينه في مكتبتها الشهيرة نسخة رسالة ابجر المومأ اليه وجواب السيد المسيح له . وحذت حذوه السائحة ايثريا الشهيرة في اواخر القرن الرابع فشاهدت ما شاهده اوسابيوس واثبتت ذلك في كتاب رحلتها.

وتسلسل المطارنة في كرسي الرها منذ أدي الرسول اوّلهم. وقد خلفه تلميذه اجاي ثم فالوط وعبشلاما وبرسميا وتيريديت وبوزناي وشالولا وعبدا الاول وغوريا وعبدا الثاني وايزني واوشتسب وعاقي (٢)

(١) تاريخ اوسابيوس ١ : ١٣ صفحه ٦٧ - ٧٥

(٢) تاريخ ميخائيل الكبير صفحة ١٨٣ و١٨٥

وبعد هؤلاء المطارنة الاربعة عشر تولى كرسي الرها قونا(٢٨٩-٣١٣) ثم سعاد (٣١٣ - ٣٢٤) ثم ايثالاها (٣٢٤ - ٣٤٦) الذي حضر المجمع النيقاوي الاول عام ٣٢٥ ثم ابرهيم (٣٤٦ - ٣٦١) ثم برسا (٣٦١ - ٣٧٨) الخ .

وأُحصيت الرها ثالثة المطروبوليتيات الاثنتي عشرة الخاضعة للكرسي الانطاكي . وكان يخضع لمطرانها ١٢ اسقفاً يقيمون في البيرة وحرّان وتل موزل وسروج والرقّة وتل محرين الخ .

وفي الرها عُقد مجمعان اقليميان : اوّلهما عام ١٥١ بحضور ١٩ اسقفاً لاجل تعيين عيد الفصح . وثانيهما نحو السنة ١٩٦ حضره ١٤ اسقفاً للنظر في مزاعم بعض المبتدعين الملحدين .

وتكلل في الرها القديس شربل واخته بابي نحو السنة ١١٥ . وغوريا وشمونا عام ٣٠٣ وحبيب عام ٣٠٩ وضمّ رفات هؤلاء الثلاثة في ضريح واحد وابتنى الرهاويون كنيستين تيمناً باسمهم.

وفي الرها نشأت آداب اللغة السريانية الفصحى .وذاع صيت مدرستها الكبرى في الاقطار . وتخرج على اساتذتها جمّ غفير من الكهنة والعلماء. نذكر منهم ططيان الذي تلقى العلوم اول بدء في رومية ثم يمّم الرها وانصرف الى سبك الاناجيل الاربعة في رواية واحدة عام ١٥٢ واسماها السريان المدمجة او المختلطة .ونقلها اليونان عن اصلها السرياني الى لغتهم واسموها « الدياطسرون » وشرحها مار افرام الملفان . الا ان شرحه هذا السرياني الاصلي فُقِد وحفظ في ترجمة ارمنية .

وفي الرها عينها وُلد برديصان نحو السنة ١٣٤ وقيل عام ١٥٤ وكان في اول امره نصرانيا يدافع عن ايمانه ثم قلب له ظهر المجن وامسى صاحب بدعة عرفت باسمه (١) . وحلت وفاته نحو السنة ٢٢٢ على الاصح . وظلت بدعته هذه معروفة باسمه وراجت اسواقها على يد اولاده وحفدته حتى برز مار افرام المجاهد الكبير فشحذ قريحته الوقادة وناصبها بكل قواه وفنّد سفسطاتها بما نظمه من القصائد الخالدة التي تعد من الخرائد النادرة المثال بحيث ان سطراً واحداً منظوماً ام منثوراً من تآليفه عُدّ اثمن ما صنفه أبرع كتبة بني آرام وأشعر شعراء السريان على الاطلاق .

وامتازت الرها بكنائسها الملكية الفخمة نذكر في طليعتها كنيسة « فاروقان » اعني مخلصنا . ابتناها ابجر الخامس على انقاض هيكل الوثن غربي المدينة . وكان يشتمل على اعمدة من الرخام ضخمة . فحوّله ادّي الرسول الى كنيسة نصب فيها مذبحاً وقرب عليه الذبيحة السرية بحضور ابجر الملك واقطاب دولته ولفيف من تنصر معه . ومنها كنيسة « آجيا صوفيا » التي شادها ايثالاها مطران الرها (٣٢٤ - ٣٤٦) وكانت كنيسة عجيبة دُبجت جدرانها بالذهب والزجاج والرخام الابيض . ومنها كنيسة الصليب المقدس . وكنيسة مار توما الرسول . وكنيسة والدة الله

(١) انطوت بدعة برديصان على الزعم بالقضاء والقدر وعلى وجود آلهة كثيرة . وانكر قيامة الاجساد . وشايع مرقيون والنطيان في مزاعمها . وذكر له مار افرام ١٥٠ انشودة . ولف لفه في مزاعمه ابنه هرمونيس وسيأتي ذكره (روبنس دوفال : كاالآداب السريانية (٢٣٠ - ٢٤٠) ونشر كتاب برديصان في« شرائع البلدان » المستشرق ورتون عام ١٨٥٥ والمستشرق شابو عام ١٨٩٩ .

وكنيسة الرسل الكبرى شرقي المدينة وكانت كنيسة فخمة ضخمة لانظير لها . وكنيستان باسماء غوريا وشمونا وحبيب شهداء الرها أُطلق على احداهما اسم « بازيليكا » . ومنها كنيسة مار يوحنا المعمذان غربي المدينة احتلها الفرنج الصليبيون في القرن الحادي عشر ودبجوها باثمن زينة وألطفها . وكانت تنطوي على زهاء مائة نافذة مشبكة بقضبان حديدية يدخلها نور الشمس ولا يدخلها الطير . وكانت تضم اضرحة مطارنة الرها والاباء الاولين منذادي الرسول حتى المطرانين مبارك وبيوس الصليبيين (١)

وما عدا هذه الكنائس الفخمة القديمة العهد فقد اشتملت ضواحي الرها على اثني عشر ديراً للرهبان والراهبات . نذكر منها ديراً باسم والدة الله العذراء مريم وديراً باسم مار توماوديرين باسم بربارة الشهيدة الخ .

اما مدارس الرها فاشهرها المدرسة الوطنية القديمة والمدرسة التي أُطلق عليها اسم « مدرسة الفرس » . وقس عليهما مدارس ثانوية في قلب المدينة كان الطلبة يتلقنون فيها اول بدءٍ علم الكتاب المقدس ثم سائر العلوم الدينية والتاريخية والادبية . وقد خرج من تلك المدارس العامرة ملافنة عظام كانوا في عهدهم مصابيح الدجى واعلام الحجى . انشاوا المؤلفات في مختلف المواضيع وورّثوها لشعبهم السرياني فحبوه مننا وافرة جسيمة وخلدوا لهم ذكرى جميلة على توالي العصور .

---

(١) احصى ميخائيل الكبير صفحة ٧٣٠ والمؤرخ الرهاوي صفحة ٤٣ و ٤٤ خمساً عشرين كنيسة ابتناها المسيحيون في الرها على كرور الاحقاب .

الفصل العاشر

وصول مار افرام الى الرها

الى الرها المدينة العامرة بالمسيحيين الحافلة بالكنائس والاديار وصل مار افرام عام ٣٥٠ وجلس هنيهة عند نهر ديصان وطفق يتوسل الى الرب عز شانه كي يهيء له شخصاً يسمعه كلام حكمة يفيده . وهو كذلك اذا بنساء يقصرن اثوابا على شاطىء النهر فتلقته احداهن وحددت اليه نظرها وجعلت تتفرس فيه دون حياء وخجل. فارتاع القديس لمنظرها وانتهرها وقال لها: ما بالكِ تحدقين اليّ هكذا دون احتشام ؟ اخفضي نظرك الى الارض . فقالت له تلك المرأة فوراً : عـليّ ان انظر اليك لاني منك أخذت . وعليك انت ان تنظر في الارض لانك منها جبلت !

اتعظ مار افرام من هذه العبارة السديدة وفهم ان الله سبحانه وتعالى قـد استجاب طلبته على يد امراة لسناء وقـال : اذا كانت نساء الرها حكيمات نجيبات هكذا فما عسى ان تكون حكمة رجالها ونجابتهم ؟

اقام مار افرام بضعه ايام في المدينة يسأل الروح القدوس ان يلهمه مايعود الى خلاص نفسه . واتفق انه شاهد يوما في الشارع فريقا من المتطرفين المناهضين للعقائد الدينية الصحيحة فجعل يحاورهم ويبرهن لهم عن حقائق الايمان المقدس .وفيما كان يخاطبهم مرّ به شيخ جليل من مشاهير النساك يقال له يوليان (١) الشيخ انتهى على يده أمر انقطاعه الى الزهد والرهبانية .

---

(١) سنكسار الروم الملكيين الكاثوليك .

الفصل الحادي عشر

مار يوليان الشيخ ومار افرام

أصغى مار يوليان الشيخ هنيهة الى حديث مـــار افرام مع اولئك المتطرفين فاعجبته نجابته وقوة حجته وشجاعته ولا سيما تفانيـه في تعزيز الحقائق الدينية الراهنة . ثم انفرد به وطرح عليه بعض الاسئلة وقال له : من انت يااخي ? ومن اين اقبلت ? وما هي نيتك وغايتك? فقصّ عليه افرام خبره من فاتحته الى خاتمته. فقال له الشيخ: أشير عليك اذاً ان تقصد احد ديورة هذا الجبل المقدس وتتفرغ للعبادة والمطالعة .

امتثل افرام نصيحة يوليان الشيخ وفاضت عواطف امتنانه له وقرر ان يتبعه . وسارا كلاهما معاً الى الجبل وانزوى افرام في مغارة مجاورة لمغارة مار يوليان الشيخ وانقطع الى الصلاة والتأمل ومطالعة الكتـاب المقدس . وما مر القليل حتى وشحه ذلك الشيخ عينه بالاسكيم الرهباني وحثه على الثبات في دعوته المقدسة . ولما كان مار يوليان يرتل ذات ليلة ضمن مغارته شعر بدافع قوي يدفعه ليغادرها . فخرج وجعل يحدق في الفلك فتراآى له طغمة من الملائكة السماويين بيد احدهم صحيفة مكتوبة في جهتيها كلتيهما . واخذ يسأل الملائكة الذين معه ويقول لهم : الى من ينبغي ان ادفع هذه الصحيفة التي بيدي ? فقال احدهم :ادفعها الى اوجين الناسك في برية مصر . فقال له الملاك : لم يأمرني الرب بذلك . ثم كرّر السؤال وقال : قولوا لي من يستحق الحصول على هذه الصحيفة ? فقالوا

باجمعهم : يستحقها يوليوس المتوحد . ثم ذكروا له اسماء غير هـــذين من مشاهير الاباء والنساك في ذلك العصر . فقال لهم الملاك : اني عارف ان هولاء الآباء الذين ذكرتموهم هم ابرار قديسون ولكنهم ليسوا اهلاً لهذه الصحيفة . فالذي يستاهلها في هذا العصر انما هو افرام السرياني المقيم في جبل الرها (١) .

رأى مار يوليان هذا المشهد السماوي العجيب وسمع ذلك الحديث الجميل ولكنه اعتبر ذلك تخيلات وهمية فعاد الى منسكه دون ان يكترث لما سمع وشاهد . ولما اصبح شعر بهاتف يخافته ويقول : هوذا افرام مكب على الكتابة والتأليف تتفجر العلوم من عقله تفجر المياه الصافية فتنعش القلوب وتثلج الصدور . فتوجه فوراً الى مغارة افرام وحياه بالسلام وشاهده يكتب شرح سفر التكوين . فاخذ الكتـــاب وقلّب اوراقه وأمعن في قراءته وأدرك ان الرؤيا التي تجلت له امس حقيقيّة لا وهمية . فازداد حبه واعتباره لصديقه النجيب . ثم اخذ ذلك الكتاب وانحدر الى المدينة وقصد مدرستها الكبرى وعرضه على الاساتذة والكهنة والعلماء فلما طالعوه وتبصروا فيه غلب على ظنهم ان مؤلفه هو يوليان الشيخ لا غيره . بيد ان الشيخ صرح لهم بان المؤلف هو افرام النصيبيني المنزوي في مغارة مجاورة لمغارته . ثم قص عليهم خبر الرؤيا التي شاهدها فوثقوا بكلامه واعتمدوا ان يزوروا افرام ويتعرفوا به .

بلغ مار افرام ماصار فترك مغارته تملصاً من المجد الباطل وانحدر الى

---

(١) بستان الاباء : طبع الاب بيجان ١٧٥

وادٍ قريب يريد الاختفاء عن اعين الناس . فتراءى له ملاك سماوي وقال له: الى اين انت هارب يا افرام؟ قال افرام: الى الخلوة والابتعاد عن الناس قال الملاك: اذكر يا افرام آية النبي القائل: «ان افرام عِجلة مروضة تحب الدياس» (هوشع ١٠ : ١١) وتحاول الافلات من النير . بكى افرام كمألوف عادته وقال للملاك: اني ضعيف حقير يا مولاي ولست استحق شيئاً . قال له الملاك: اذكر يا افرام قول يسوع المخلص: «لا يمكن ان تخفى مدينة مبنية على جبل . ولا يوقد سراج ويوضع تحت المكيال لكن على المنارة لينير على كل من في البيت» (متى ٥ : ١٤ - ١٥) . ثم تبسّط الملاك في مفاوضة افرام هنيهة من الزمان وغاب عنه .

فقفل مار افرام راجعاً الى مغارته وجعل يعمل الروّية في ما أوحي اليه وما سمعه . وبعد ايام معدودة اقبل اليه وفدٌ من كبار الاباء والاساتذة وعرضوا عليه امر المدرسة وحاجتها الى من يتولى رئاستها ويواصل القاء الدروس على طلبتها . فلم يرَ الا الخضوع والانقياد لوحي الروح القدوس . وما عتم ان انحدر الى المدينة وقصد المدرسة وتعرف باساتذتها وكهنتها واشرف على طلبتها . وقرر ان يرصد حصة من اوقاته ليدرّس فيها ويلقن طلبتها خصوصاً حقائق الدين المسيحي القويم ويجنبهم معاشرَة الملحدين . وثابر على خطته هذه مدة حتى اصبح ممن يشار اليه بالبنان في كل مايعلمه ويقرّره .

وعلى ممارسته التعليم والتفقيه في المواضيع الدينية والعلمية لم يترك مغارته العزيزة على قلبه . بل كان يعود اليها مثابراً على الصلاة والمطالعة .

واتفق ان مار بوليان الشيخ زاره كعادته وشاهده يكتب شرح سفر الخروج فنشطه ليتابع عمله وادّى الشكر لله تعالى عـــلى ما منح صفيّه المختار من موهبة الحكمة والذكاء .

وكتب مار افرام عن مار بوليان الشيخ يصف آنئذ ما امتاز به من اعمال التقوى والصلاح والزهد قال : كانت مغارتي مجاورة لمغارة الشيخ . واتفق اني زرته يوما ولاحظت عنده بعض مخطوطات مبعثرة فانتقيت احداها وجعلت اقلب اوراقها . فلمحت اسم يسوع المخلص يكاد يكون ممحوّاً في اغلبها . وما تمالكت ان قلت للشيخ : ما بالي الاحظ يا ابت اسم يسوع الكريم هكذا ممحوّاً؟ قل لي من الذي محاه ؟ اطرق بوليان الشيخ هنيهة ثم رفع راسه واندفع يقول لافرام : لست أخفي عنك مكنونات قلبي فاعلم : انه ما من اسم أشهى وأحلى على قلبي من اسم يسوع مخلصي فعندما اصل الى قراءته والفظه تخالجني الافكار في محبته المفرطة للبشر وفي ما اقترفته من الزلات والنقائص . ويخطر ببالي اذ ذاك حادث مريم المجدلية الخاطئة وما سكبته من الدموع على قدميه المقدستين فتنحدر دمعتي على اسمه الحلو. هذا هو سبب محوه ! تاثر مار افرام لهذا الجواب الصريح وقال للشيخ الجليل: أني اتوسل الى يسوع مخلصنا ان يجزل المكافاة لتقواك ومحبتك ويبدّل دموعك ببحر من مراحمه ويوليك السعادة الابدية (١) .

ولقد راعى مار افرام حقوق الولاء لمرشده الشيخ الوقور الذي قضى

(١) اخبار في شرح التعليم المسيحي تأليف لويجي روزاني ٨٠ - ١٨٦ وسير القديسين طبع الموصل ١٠٧

بجواره اعواماً مباركة . وعلى اثر انتقاله الى الاخدار العلويّة في ٩ ايلول ٣٦٧ نظم ٢٤ قصيدة (١) عدّد فيهافضائله ومناقبه واعماله . فكتب من الجملة في القصيدة الاولى يقول : « ان يوليان يحاكي شجرة حفلت بثمارها واوراقها. لذّذت الفم بحلو مذاقها والشم بعبير اريجها والعين ببهاء رونقها. وغدا ما ابداه الرب القدير من المكرمات الوافرة على يده برهاناً على وثيق ايمانه . فتغلّب على المماحكين وعلى مناهضي الدين القويم. فيوليان الشيخ كنز ثمين ادهشتني ثروة صلواته الوافرة المتواصلة وذخائر اصوامه وأسهاره المتواترة ولآلىء فضائله الثمينة . تفرّد يوليان الشيخ بسذاجة امتزجت بالعلم والذكاء . وامتاز بوداعة ازدانت بالفطنة والحكمة . تلك ثروة احرزها شيخناً في جهاده واغتنى بها... »

وكتب في القصيدة الثانية يقول : « ان يوليان الشيخ لم يستحوذ عليه التواني والفتور جرثومة الشرور . ولا الكبرياء اصل الرذائل. ولا الغضب والسخط والحقد والحسد . بل كان شيخاً وقوراً نقي القلب طاهر السيرة والسريرة . كان رئيساً جليلا نبيلا عامل هفواتنا بالرفق والمجاملة . وعالج عيوبنا ونقائصنا بالتؤدة وثابر على الصلوات لاجلنا... »

وكتب في القصيدة ٢٢ يقول: أمسينا بعد وفاة رئيسنا يوليان الشيخ كسفينة تتقاذفها الامواج في بحر هائج . فأحرزنا النجاة بكلماته. وظفرنا بالكنوز في سفينته . ونلنا الطمأنينة بقربه . كنا قليلين فكثّرنا . كنّا

---

(١) هذه القصائد نشرها توما يوسف لامي عام ١٨٨٩

متفرقين فجمعنا . اننا واثقون بان ادعيته تزيدنا عفافاً ومحبة . وتقصي عنا العدوّ اللدود وتصدّه عن دخول اديارنا لئلاّ يعبث في الغنم بعد غيبوبة راعيها ... »

وكتب في القصيدة ٢٣ يقول : « ان يوليان شيخنا ومنار اديارنا ونبراس رهباننا قد درّعنا باسلحة قوية ولقّننا عادات حميدة . استدعانا الى الصوامع والقفار وعني بامرنا. لله ما كان الطف محيّاه متلالئاً بالعفاف. ما كان اصفى قلبه مزداناً بالطهر والنقاء ! ما اروع هيأته الخارجيّة ! ما أقدس خواطره الباطنية ! انىّ لنا معلّم يضارعه في نصحه وفي توبيخه ؟ ما احبّ نصحه ! وما ارق توبيخه ! فقد كان نصحه لنا منّة وتوبيخه ايّانا منحةً . فاغتبطنا بكليهما واستفدنا منهما ...»

على ان مار يوليان الشيخ الجليل سبق فاوصى الرهبان تلامذته ان ينقلوا عظامه من الرها الى حيث تشأ العناية الالهيّة . وقد نهضوا بوصيته وجعلوا نعشه على عجَلة وساروا مسافة ثلاثين مرحلة حتى بلغوا ضواحي القريتين باطراف حمص . وهناك توقفت الدواب وعرف الرهبان انه هو المكان المقصود . فابتنوا له ضريحاً وضمّوه اليه . وقد اشار مار افرام الى هذا النقل في قصيدته الثانية عشرة من القصائد المذكورة آنفاً قال :

« اصبح تواضع يوليان الشيخ قدوة للرهبان . فــاذاعوا اسمه في رحلاتهم. وابتهجت الارض بهم لانهم زينوها بخطواتهم . فايليا النبي كافأه الرب الاله على خطواته اذ سخّر له عجلةً رقّته الى العلاء . ويسوع فادينا احتفت بخطواته سحابة منيرة (متى ١٧ : ٥) . اما يوليان الشيخ

فقد احتفى الرهبان بخطواته الوضيعة وحملوه على اكتافهم وطافوا به مسافة ثلاثين مرحلة . ثم حملوه على راحاتهم ودفنوه بمجالي التكريم» .

وغير خافٍ ان السريان اهالي القريتين وجوارها يتغنون حتى يومنا بارجوزة وطنية نظمها عام ١٥٨٠ يوسف بن الاسقف فيقولون :

ساروا الى حلب جابوا لقبره حجر اخضر شروه بخمسماية

واقاموا بذا المكان كما تروه ديراً معظماً فوق القرية (القريتين)

ومن بعد الوفاة اظهر عجائب لم تضبط وليس لها حصيّة

وما برح المؤمنون يحجون ضريح مار يوليان المبـــارك في نذورهم وتقادمهم ويستنجدونه في ملمّاتهم ومصائبهم . فيفوزون برغباتهم الصالحة . اما السيد ثاوفيلس يوسف ربّاني مطران الابرشية الجليل فقد بذل الجهود المقدسة في تجديد مصلّى الضريح وزيّنه باجمل الحلل والطف الصور معتبراً رفات مار يوليان من اقدس الآثار وأنفسها وأثمنهـا . وهو يقرّب فيه الذبيحة السريّة يوم عيده المبارك في ٩ ايلول بحضور جمـاهير المؤمنين المتقاطرين من القريتين ومن اطراف ابرشيّة حمص وحماة للتبرّك منه . شاكرين لله عزّ وجلّ ما يجريه على يد وليّه من الكرامات والاشفية الجمّة .

الفصل الثاني عشر

مار افرام ومار ابرهيم القيدونيّ

وما عدا مار يوليان الشيخ فقد تعارف مـار افرام منذ وصوله عام

٣٥٠ الى الرها مع فئة صالحة من مشاهير الآباء . نذكر منهم مار ابرهيم القيدوني الناسك (٢٩٦-٣٦٦) فقد صاحبه مار افرام ١٦ سنة واطلع على اخباره و كتب سيرة حياته وختمها بقوله : «هذه خلاصة جهاد ابرهيم الطوباوي . كتبتُها تنشيطاً لمن يرغب السلوك في سبيل الصلاح وتمجيداً وتعظيماً لله تعالى مانح جميع الخيرات . اما مزاياه فقد اثبتها في كتاب آخر» (١) يشير بذلك الى خمس عشرة قصيدة (٢) نظمها معدّداً اوصاف صديقه البار . والى القارىء خلاصة تلك السيرة :

وُلد ابرهيم عام ٢٩٦ في الرها وهجر عروسه ليلة الزفاف وكان قد بلغ يومئذ العشرين من سنه . ورقاه ايثالاها مطران الرها (٣٢٤-٣٤٦) الى الرتبة الكهنوتية ووجهه الى قرية قيدونا التي كان اهاليها وثنيين . فقضى لديهم اربعة اعوام مصطبراً مكابداً اعذبة وافرة حتى نصّرهم جميعاً وابتنى لهم كنيسة وخرهم في الايمان المسيحيّ المقدس . ثم عاد الى منسكه وظل منزوياً فيه معتكفاً على اعمال القشف كعادته السابقة . وخلف له والده ثروة طائلة وزعها برمتها على المساكين .

وفي تلك الغضون وصل مــار افرام الى الرها وعرف مار ابرهيم ومريم ابنة اخيه التي ترهبت عام ٣٣٤ على اثر وفاة والديها . ومكثت عشرين سنة مواظبة على اعمال النسك . ثم اطغاها ابليس الرجيم عام ٣٥٤ وجعلت تنتحب وتندب نفسها وتقول : «واويلي ماذا جرى لي ؟ كيف

(١) اخبار الشهداء والقديسين : طبع الاب بولس بيجان مجلد ٦ صفحة ٤٩٦

(٢) هذه القصائد نشرها عام ١٨٨٩ المستشرق لامي مجلد ٣

سقطت وتدنست؟ الى اين اذهب واين اختفي؟ وفي اي هاوية ازج بنفسي؟ يا لتعاستي لاني ما استفدت من ارشاد عمي القديس ومن نصائح افرام الحكيم اذ كانا ينبهاني ويقولان لي: حافظي على بتوليتك دون عيب اكراماً لعريسك السماوي القدوس الغيور ... »

قطعت مريم رجاءها وغادرت صومعتها على غير علم من عمها. وظل هذا الجليل يبحث عنها مدة سنتين كاملتين حتى اهتدى الى مكانها وجعل يحادثها بخطاب مفعم حلاوة ورقة وعذوبة ورجاء. ومما قاله لها: « علام لم تخبريني بما عرض لك قبلما تغادرين منسكك فكنت انا وافرام صديقي الحبيب نتوب عوضاً عنك ونستغفر الله الرحيم عن جريمتك. والآن ثقي برحمة الله تعالى وهلمي نعود معاً الى مكاننا. واعلمي ان افرام صديقي الحبيب متأثر نظيري بما اصابك وهو يصلي لاجلك لترعوي وتعودي الى عبادتك السالفة».

اقتنعت اخيراً مريم وعادت الى منسكها وابتهج افرام بظفر صديقه ابرهيم بالنعجة الضالة. وعاش ابرهيم بعد توبة مريم عشر سنوات وتوفي عام ٣٦٦ بالغاً السبعين. وشيعه الرهاويون بمجالي التكريم وابّنه مار افرام معدداً مناقبه. وتقيم الكنيسة تذكاراً لمار ابرهيم القيدوني في ١٦ اذار. امّا السريان والكلدان ففي ١٤ كانون الاول (١).

انبتنا هذه التفاصيل السديدة نقلاً عن اوثق المصادر كي يطلع القراء

---

(١) راجع الكنز الثمين تأليف البطريرك مكسيمس مظلوم. واخبار القديسين طبع الموصل في ١٦ اذار.

على اخبار ابينا مار افرام الصحيحة ويستنتج منها ان قدومه الى الرها قد تم عام ٣٥٠ وليس عام ٣٦٣ كما زعم بعضهم .

اما القصائد الافرامية في تقريظ مزايا مار ابرهيم فهذه خلاصتها :

« خطف الموت من بيننا مرآة وضيئة كنا نزدان بها كلما تفرسنا فيها . ونجتهد كي نقتدي به في صومه وسهره وجده وعفافه . لانه ماثل سموئيل وايليا واليشاع والانبياء والرسل . فمن كانت هذه صفاته كيف لا يحزن على فراقه احباؤه ? ومن كانت هذه ثروته كيف لا يبكيه اخوته ويندبه ابناؤه وتلامذته ?

«احرز ابرهيم ارباحاً طائلة استفاد منها هو والرهبان ابناؤه والراهبات بناته : مثلما استفاد اليشاع من ايليا معلمه . زين رعيته بصنوف الفضائل مثلما ازدانت خراف يعقوب بشتى الالوان . وظلت ذكرى مآثره تعبق في الكنائس وفي النفوس . واستفاد الجميع من ثروته .

«تفرد ابرهيم بصدقاته وصلواته واصوامه ودموعه . وكان يرحب بزائريه القادمين اليه من مختلف الانحاء . فاستفاد من نصائحه القريب والبعيد والكبير والصغير والبار والاثيم لانه اصبح كلاً للكل حسب تعليم الرسول .

« اقتدى ابرهيم بشمعون بطرس راعي الخراف والكباش والنعاج . فرعى الخراف بمحبته والنعاج بعفافه . وطابقت اقواله اعماله . كان يطلب الخير للبشر اجمع . ويشعر بالآم رهبانه اكثر من شعوره بالآمه . أعدّ له

يسوع المخلص في السماء مكافاة مضاعفة . وطالما حمل الخطأة على التوبة بوصفه لهم مناقب الابرار الصالحين .

« استفاد الكثيرون من مثله الصالح واستنشقوا من حديثه عبير الفضائل الذكي . كان زاهداً في كسوته وفي أكله وشربه . متجنباً المزاح والضحك في حديثه . حريصاً في كلامه ومنظره وسمعه . غدت نفسه النقية مثوى لروح القدس . وضارع الملائكة بانتباهه في صلواته واعماله .

«انتقل ابرهيم الى حضن ابرهيم لانه ماثله في اسمه وعمله . ابتنى كنيسة (في قيدونيا) زينها باجمل الحلل وزفها كعروس ملكية الى يسوع ابن الملك . كابد المشقات في تنصير الوثنيين وانشأ من ابناء كهنتهم كهنة لله عزّ وجلّ . شتمه الوثنيون اول بدء فبار كهم . ابغضوه فاحبهم . احتقروه واهانوه فغفر لهم وسامحهم . وبعدما اختبروا فضيلته مراراً استيقنوا انه وليّ الله الاله الحيّ فتبعوه وتنصروا . هكذا خرج من تلك المعمعة ظافراً .

« تلألأ له مجد الملكوت السماوي في عنفوان شبابه وأصاب قلبه وهو في خدر عرسه . هجر الدنيا وتبع يسوع . نزع عنه حلة العرس وتردى المسح . هجر عروسه طمعاً بالعرس السماوي . استحقر حديث العروس التافه واستأثر بحديث روح القدس العذب . ونذر نفسه للرب وانتصر في كفاحه .

« امتاز ابرهيم بمطالعة الكتب المنزلة . وسار طبقاً للوصايا الالهية

وأرضى الجميع باعماله. عزّى الحزانى . وفك المأسورين . واعتق العبيد . اغاث المساكين. وربى اغراساً اثمرت ثماراً وافرة ، أحرز اكليل المجد الوسيم ، ورحّب به ابوه ابرهيم واخوه لعازر في جنات النعيم » .

وختم مار افرام تقريظه بقوله : « لما كنت افضي الى ابرهيم الكاهن بخطاياي كان يسكب الدموع ويصلي لاجلي . والآن يطيب لي ان اسأله ليتضرع لاجلي في شفاء اسقامي ومعالجة امراضي . اذكر يا ابت ابنك افرام ليفوز بالغفران . ولاتنسَني نسيَ السجين ليوسف الصديق (تكوين ٤٠ : ٢٢٣). تشفع فيّ بصلاتك المقبولة لدى الله تعالى لينعم عليّ بالملكوت السماوي » .

الفصل الثالث عشر

مار افرام ويوليانس الجاحد

في السنة ٣٦٣ زحف يوليانس الجاحد ملك الروم في ٣٩٥ الفاً يريد مناوشة الفرس . ولما وصل الى حران عش الوثنية كتب الى الرهاويين يخرجوا الى استقباله فرفضوا . فاحتدم غيظاً وسير الى يوبنيان قائد الجيش الكبير – وكان يومئذ في نصيبين – كي يقبل الى الرها وينتقم من اهاليها. فاستشار يوبنيان بابرهيم اسقف المدينة وصليا معاً الى الله عز شانه ليلهمهما ما يصنعان . ثم وافى يوبنيان الى الرها وقضى ليلة ساهداً في كنيسة العذراء والدة الله فأوحي اليه ان يوليانس يُقتل قريباً .

اما الرهاويّون فقد شملهم الهلع والجزع واعتكفوا على الصلاة سائلين الرب القدير ان ينقذهم من ذلك الملك الطاغية . ونظم مار افرام آنئذ بعض القصائد مقبّحاً يوليانس الجاحد ومثنياً على بسالة الرهاويين وجهادهم في سبيل ايمانهم قال :

«تركت الرها ابواب دورها مفتوحة وخرجت مع راعيها (برسا ٣٦١-٣٧٨) الى ظاهر المدينة مزدرية بالموت ومعتصمة بايمانها وهي تقول :

اني اتخلى الملك عن المدينة وعن سورها وابنيتها وبيوتها . واترك له اموالي وفضتي وذهبي ولست ابدّل ايماني البتّة .

«لله مدينة تلألأت بتقواها وامتازت بحزمها وعزمها وتفرّدت بذكائها وحصافتها ! ايمانها درعها . عقيدتها سلاحها . ومحبتها الممتازة اكليلها . يا مدينة الرها بارك السيد المسيح اهـــاليك ! ان اسمك ِ فخر لك ِ واسم رسولك شرف ومجد لايمانك . واسم راعيك زينة لك ! انك عاصمة المدن المجاورة لك . انك مثال لاورشليم السماوية » (١)

وقد طالعنا اربع قصائد (٢) نظمها مار افرام الملفان معدداً قبائح يوليانس الجاحد نلخص منها ما يلي :

« ابتهج السحرة والرقاة الوثنيون بيوليانس لكونه ساحراً وراقياً مثلهم . تبجحوا وتفـاخروا لكونه ملكا وحبراً معاً . تباهوا به لانه سد مسدّ الكثيرين من الملوك والملكات زملائه كـآحاب ويربعام ويوتام

---

(١) لامي ٢ : ٥٨ (٢) نشرها المستشرق اوفربك عام ١٨٦٥

ومنسّى وايزابيل وعتليـــا جرائيم الوثن . أمسى لاصنامه بمثابة تيس وحبر معاً فنذر لها لحيته الطويلة تكملة لمخازيه . وعفر جبينه امامهـــا ليتغلغل فيها دخان الضحايا . استحسن العهارة والنجاسة واسترذل مواسم العفاف والقداسة .

« فالدين الحقّ اذا تغلب على الافراد كانت غلبتـــه ناقصة . ولذا حشر السحرة والرقاة جميعـــاً في ملك واحد . وافسح لهم ليتدرعوا ويتسلحوا ثم حمل عليهم وبطش بهم . فاعتراهم الخجل والعار وظهر كذبهم في كل شيء .

« استخير يوليانس سحرته وكـّهانه ثم كتب الى الاهالي يتوعدهم ويتهددهم ويقول : اني زاحف الى نصيبين مدينة الحدود لانتزعها من يد شابور الفارسي . ولقد مسه يومئذ ضرب من الجنون فاحرق سفنه التي كانت في نهر دجلة امتثالا لمشورة سحرته اصحاب اللحى زملائه .

« لما دخل شابور بلادنا ازدرى بهيكل النار مقر اصنامه واكرم مقادسنا . استحقر هيـــاكل الوثن معتقداً ان الرحمة الالهية قد تجلت في الكنيسة الواحدة وانقذت المسيحيين من يده ثلاث دفعات .

« ظل شابور يحارب الروم ثلاثين حولاً ولم يتمكن من احتـــلال نصيبين . ذلك لان يسوع المصلوب انحدر وخلصها . وما تم ان ظهرت راية يوليانس القبيحة فوق البرج مثلما ظهرت جثته القذرة ملقـــاة في التابوت .

« لما شاهد يوليانس افتضاح آلهته وانكسارها . وامسى انتصاره وانهزامه مستحيلا. دبّ الرعب في قلبه فالقى عنه السلاح مخادعاً واستأثر بالموت على ان يشاهد الجليليون عاره وانكساره .

« وبما انه سخر بالاخوة المسيحيين واطلق عليهم لقب « جليليين » . لاحت بغتة في كبد السماء مركبة الملك الجليلي تحملها اجواق الكواريب. وسمع صيحة هائلة شردت جيوشه ودفعتهم فريسة لذئاب القفر فالتقمتهم عن بكرة ابيهم . اما القطيع الجليلي فقد انتشر في المسكونة وازداد ازدياداً عظيما جداً ! » .

الفصل الرابع عشر

مثابرة مار افرام على التعليم ومناهضته البدع

لبّى مارافرام طلب اساتذة مدرسة الرها كما قلنا وجعل يختلف اليها يوماً فيوماً يلقي على طلبتها الدروس ينشطه مار برسا راعي الابرشية (٣٦١ — ٣٧٨) ليواصـــل التعليم والتثقيف كي يدرا عن جمهور السامعين ما يعلق باذهانهم من شقشقات المبتدعين الملحدين . وقد نهض الملفان بهمته نهوض البطل المجاهد يعلم ويهذب ويشرح اصول الدين القويم . ويحذر التلامذة معاشرة الهراطقة المشاغبين المفسدين . ويضرم في قلوبهم جذوات التقى والاعمال الصالحة . وكانوا يقبلون الى المدرسة كل يوم اقبال العطاش الى ارتشاف مناهل العلوم الصافية . ويعودون مساء

مغمورين بعواطف الامتنان لاستاذهم والثناء على غيرته ونبوغه .

وكان المعلم افرام عند فراغه من التدريس يعود الى منسكه ويعتكف على تصنيف الكتب وتحبير القصائد وشرح الآيات الكتابيّة العويصة نثراً ونظماً . وتتلمذ له آنئذ فريق صالح ممّن اخذوا عنه ودافعوا نظيره عن الحقائق الكاثوليكية وصنفوا بعض الكتب والقصائد . نذكر منهم زينوب الشجاع واسحق الآمديّ ومـــارا وابرهيم وشمعون واسونا وعبسميا وغيرهم كثيرين .

واتفق ان راهباً مشهوراً بالصلاح والرؤى السماويّة غادر يومـــاً صومعته وانحدر الى المدينة ولمح افرام المغبوط من بعيد فجعل ينادي باعلى صوته ويقول : ان افرام يحاكي مذراة بيد الرب ينقي بها زوان الهرطقات . افرام نار قال عنها يسوع ربنا : « جئت لالقي ناراً على الارض وما اريد الا اضطرامها » (لو ١٢ : ٤٩) . وما ان سمعه بعض السفهـــاء حتى ثار ثائرهم وسارعوا نحو القديس واخرجوه ظاهر المدينة وجعلوا يقذفونه بالحجارة ويتهدّدونـه بالقتـل إلم يكف عن مناهضتهم ومنافستهم . اما القديس فاستجمع قواه وانهزم الى مغارته وهو يسأل الله القدير ان ينير بصائرهم ويردّ اليهم رشدهم .

ويحكى عن ارمونيس بن برديصان الملحد انه سبق فصنف كتـابين حشاهما آراءه الفاسدة وتركهما عنـد امرأة لتحتفظ بهما . ولما انتهى الامر الى مار افرام عمد الى طريقة لطيفة . فقصد تلك المرأة وسألها ان تعيره

الكتابين ليطالعهما . فلبثت طلبه على ان يعيدهما اليها . ولما فاز القديس بامنيته عاد الى مغارته وجعل يلزق اوراق الكتابين بالغراء حتى امسى كل منهما بمثابة دفة واحدة ثم ردهما الى تلك المرأة فوضعتهما في مكانهما دون ان تنظر باطنهما .

مضى على ذلك ايام معدودة فحاول ارمونيس ان يثبت اضاليله في محفل يضم المسيحيين الاقحاح واصحابه ظاناً انه سيفحم مار افرام ويتغلب عليه . وبعد اخذ ورد كثير أسقط في يد الملحد ونهض حانقاً واستحضر الكتابين وحاول ان يقلب اوراقهما ولكنه لما رأى ما رأى من التلزيق امتقع لونه وارتعشت فرائصه ونفض عرق الغضب بين عينيه ثم تأبط الكتابين وانصرف خاسئاً خائباً (١) . حدث اذاً ولا حرج عما اصاب زملاء الملحد من الخجل والفضيحة وعما جرى لسائر الحضور من الشده والتحير والذهول في مهمة دينية غريبة سبق مارافرام البطل فاستدرك عاقبتها تعزيزاً للدين المقدس وردعاً لكل من يناهضه ويناقضه .

وسبق ارمونيس المذكور فنظم عدة قصائد واغاني شعبية حشاها غوايات ابيه واضاليله ونشم يلقنها الاحداث حتى دب سمها في اذهانهم وقلوبهم . وامسى موقفهم من احرج المواقف ومسلكهم من اضل المسالك . فتجرد الملفان افرام الباسل لمناهضته وتزييف سفاهته . ونظم اشعاراً وقصائد دينية وزجليات تقويّة قريبة المأخذ وافضى بها الى فئة

---

(١) هذا الخبر رواه كذلك القديس غريغوريوس اسقف نيصص وسيأتي ذكره

من العذارى والعابدات والنساء الورعات . ثم انحدر بهن الى مضمار الجهاد حتى تغلب بتلك الواسطة المبتكرة على خصمه وسحقه سحقاً . وكان افرام البطل الشجاع ينتصب وسط صفوفهن انتصاب الشيخ الوقور وينشد ما سبق فنظمه بيتاً بيتاً وهن يرددن « اللازمة » وينصتن لما يقول ويطبعنه في اذهانهن ويتغنين به في بيوتهن ويشربنه الاطفال مع الحليب في مهدهم .

واستصوب ايمة الكنيسة الرهاوية هذا الاستنباط المبتكر فافسحوا المجال لاولئك الفتيات والعذارى الورعات ان ينشدن تلك الترانيم الافرامية السديدة ضمن الكنائس ايضا وقت الاحتفالات الدينية . هكذا اصبح مار افرام اول موسيقار كنسي . وخلف للاحقاب التالية تركة ثمينة انطوت على معظم الحقائق المقدسة واصبحت بمثابة ثروة نفيسة للنفوس وتعزية شهية حلوة للقلوب .

الفصل الخامس عشر

رحلة مار افرام الى صعيد مصر ومقابلته الانبا بيشواي

ذكر غير واحد من ايمة الكتبة البيعيين ان مار افرام كان يطابق اعماله على ما يطالعه من آيات الكتاب الكريم والمؤلفات التقوية . ولما وصل ذات يوم الى تفسير المزمور ٨٣ جعل يعمل الروية في هذه الآية

وهي : « فينطلقون من قوة الى قوة الى ان يتجلى لهم الاه الآلهة في صهيون » (مز ٨٣ : ٨) فيقول : هل يتيسر لي بعونه تعالى ان اماثل احد الآباء القديسين واسابقه في سلوكه وزهده كيما افوز بالحياة الابدية السعيدة ؟ وفيما كان يردد هذه العبارة سمع هاتفاً روحانياً يقول له : ان في برية الصعيد رجلا شيخاً اسمه بيشواي مثابراً على خدمة الله عز وجل . ففي وسعك ان تنهج منهاجه لتحوز الغاية القصوى .

اغتبط افرام بهذا الهاتف السماوي وتهيأ للسفر مستصحباً احدتلامذته ولما وصل الى شاطىء البحر ركب مع بعض المسافرين سفينة متوجهة الى الاسكندرية . الا انها ما كادت تسير مسافة غير بعيدة حتى ثارت عاصفة شديدة وغمرت الامواج تلك السفينة وكادت تغرقها . فخاف الملاحون والركاب وأيسوا من النجاة . أما القديس فشجعهم وقال لهم : صلوا ولا تخافوا فان الله القدير الذي انقذ بولس الرسول ومن معه من اخطار البحر قادر ان ينقذنا نحن ايضاً . غير انهم لم يعبأوا بكلام القديس واستيقنوا انهم يهلكون لا محالة . فتعجب وليّ الله تعالى من قلة ايمانهم وجثا على ركبتيه وبسط ذراعيه وصلى هنيهة . ثم التفت نحو البحر وانتهر الرياح وقال : باسم ربنا يسوع المسيح اسكني واهدإي . فسكنت الريح حالا وحدث هدوء عظيم . وبادر الملاحون والركاب فجثوا امام القديس يشكرونه ويمجدون الله سبحانه لانه انقذهم من الخطر بصلاته .

ثم استأنفت السفينة سيرها فاعترضها حوت ضخم هائل جدّد منظره الفزع والهلع في قلوب الركاب . فنهض القديس وصنع اشارة الصليب

فانشق ذلك الحوت وتفسخ قطعاً قطعاً عامت على وجه المياه . فازداد المسافرون ذهولا وعجباً وسبحوا الله تعالى في اصفيائه .

بعد هذا وصل مار افرام الى الاسكندرية واستخبر عن مقام مار بيشواي فدلوه عليه وسار في طريقه حتى وصل الى دير القديس وحياه تحية السلام . فرحب مار بيشواي بزائره وعانقه وانطلق به الى مغارته وصليا برهة من الزمن ثم جلسا يتحدثان . وكان مار افرام يتكلم السريانية والانبا بيشواي لايفهم مايقوله. وعندئذ ابتهل الانبا الى الروح القدوس ليمن عليه بمعرفة اللغة السريانية ثم اندفع يخاطب بها زائره الجليل وجعلا يتحدثان كلاهما عن عظمة الله عزّ شأنه وعن رحمته الفائضة . واديا الشكر الحميم للروح القدوس على موهبته الالهية .

قضى مار افرام اياماً وجيزة (١) لدى القديس بيشواي واطلع على مناقبه وفضائله الممتازة واستيقن ماأوحاه اليه ملاك الرب بشأنه فاستفاد وشكر لله تعالى منته. ثم توسل افرام الى الانبا بيشواي كي يطلعه على بعض اخبار القديس مقاريس ابي الرهبان الشهير فقال له الانبا : ان مقاريس هو اول من انقطع الى العبادة والنسك في هذه البرية واول من انشأ القوانين والضوابط للرهبان والسياح. واول من لقنهم طريقة الزهد والنسك . ثم اندفع يفيض في وصف اعماله الروحانية ويخبر زائره عن العجائب والمعجزات الباهرة التي يصنعها الله القدير على يده . فدهش مار

---

(١) روى بعضهم ان مار افرام اقام في برية الاسقيط ثمانية اعوام . وهي رواية مشوهة يجب استدراكها وتصحيحها . على ان الاقامة هنالك لم تستغرق اكثر من بضعة اسابيع

افرام بما سمعه وقال : لله ما اعظم قوة الله العلي الحالّة في الاب مقاريس انه في الحقيقة كامل الصفات . انه قديس عظيم ومعلم كبير ! .

واطلع الانبا بيشواي على اعمال مار افرام وعلى سمو فضائله فصرح لرهبانه بانه مفعمٌ من النعمة الالهية ومتلألىء بانوار روح القدس . ولما ازمع مار افرام الرحيل التمس من الانبا بيشواي الجليل ان يزوّده بأدعيته وصلواته . ثم عانقه وعانق رهبانه وودّعهم عائداً الى وطنه (١)

واتفق لمار افرام حين اقامته في بريّة الصعيد ان لقي يوماً في طريقه راهباً كان متشبثاً بزعم اريوس الملحد . فجعل القديس يخاطبه بواسطة الترجمان ويوضح له حقائق الايمان الكاثوليكيّ المقدس التي قرّرها آباء المجمع النيقاوي المسكوني الاول عن يسوع ابن الله المولود منذ الازل ملخصاً له آيات الكتاب المقدس المصرّحة بتلك الحقيقة الدينيّة الصادعة وفيما كان ينثر مار افرام على ذلك الراهب الاريوسي براهينة الجليلة الواضحة اعترضه شيخ من الرهبان الاريوسيين كذلك كان يتظاهر بالتقوى وكان الناس يجلونه اكراماً لشيخوخته. فجعل يعنف مار افرام ويردعه ليكف عن حديثه ونشم يشتمه ويصفعه . فاصطبر القديس واطرق صامتاً حتى خمدت فورة الغضب في ذلك الشيخ . ثم طفق يحدثه حديثاً مفعماً حلاوة ورقة ممزوجاً ببراهين مقنعة تصرح بضلالة اريوس وتؤيد صحة العقيدة الكاثوليكية . فاتعظ الشيخ واقر بالحقيقة وجعل

اخبار الشهداء والقديسين : طبع الاب بولس بيجان ٣ : ٥٩٣

يشكر للقديس نصيحته وتعليمه ويستغفره عن قحته وجسارته . مبدياً عجبه من وداعة القديس وحلمه فضلاً عن حلاوة كلامه وسداد حجته .

وما برح الرهبان الاقباط يحفظون لمار افرام السرياني ذكرى جميلة يتناقلونها ويتحدثون بها حتى اليوم . ذلك ان دير والدة الله الشهير في بريّة الصعيد يضم في فنائه شجرة ضخمة يسمونها « شجرة مـــار افرام السرياني »وهي تحاكي شجرة التمر الهنديّ لها اغصان فنواء تظلل بنيان الدير وكنيسته اجمع . وتتخلل اوراقها الخضراء عناقيد زهور جميلة وهم يقولون : ان مار افرام لمـــا دخل ليصلي في تلك الكنيسة ترك عصاه خارجاً . ولما انهى صلاته وخرج رأى العصا قد نبتت واخضرّت فتركها وانصرف . وجعل الرهبان منذ اذ يسقونهـا حتى اصبحت شجرة عظيمة وارفة الاظلال . ومـــا برح الرهبان الاقباط لهذا العهد يتلون صلاتهم القانونية عند غروب الشمس تحت تلك الشجرة الافرامية (١)

الفصل السادس عشر

القديس باسيليوس ومار افرام

وكانت اخبار القديس باسيليوس الكبير (٣١٦ - ٣٧٩) اسقف قيسارية قبدوقية قد انتشرت يومئذ في الاقطـــار الشرقية والغربية .

---

(١) رحلة الاب ميشيل جوليان اليسوعيّ الى الصعيد عام ١٨٨٢ صفحة ٣٠ عدد ١٠ ومجلة المشرق ٢٣ : ١٩٢٥ : ٥٨٢

فتأججت في قلب ابينا مار افرام لواعج الشوق الى زيارته والتبرك برؤيته. ولا سيما لانه ترآى له ذات يوم قدام المذبح المقدس شكل عمود ناري ممتد من الارض الى السماء وسمع صوتاً يخافته ويقول: ان باسيليوس يشبه هذا العمود الناري!

بناء عليه بعدما قضى مار افرام زيارته للانبا بيشواي عــاد الى الاسكندرية وركب سفينة مع تلميذه وتوجها الى قيسارية فوصلا اليها ليلة عيد الانوار اعني عيد الدنح ٦ كانون الثاني. وسأل مار افرام عن القديس باسيليوس فقيل له: انك ستشاهده صباح الغد في الكنيسة. فبات افرام وتلميذه تلك الليلة ساهرين حتى لاح الصباح فانطلقا الى الكنيسة واقاما في احدى زواياها. وشاهدا الحبر القديس متوشحاً بحلة بيضاء ناصعة وعلى هــامته تاج ذهبي ثمين وبيده عكّاز فضيّ مذهّب يحدق به جمهور غفير من الاكليرس رافلين بابهى الحلل وافخرها: فبهت افرام واطرق وجلاً وهمس الى تلميذه يقول: يخيل اليّ يا اخي اننا اقبلنا الى ههنــا دون جدوى. وقد كابدنا مشقة السفر ولم نشاهد باسيليوس كما شاهدته انا شكل عمود من نار. والا فكيف يمكن ان يكون هــذا المحفوف بمظاهر الجلال والعظمة نظير ذلك العمود العجيب الباهر؟

وظلت تلك الخواطر تخالج قلب مار افرام حتى شاهد مارباسيليوس يرتقي المنبر ليشرح للمؤمنين خبر ذلك الموسم البهيج. وجعل يتفرس في حركاته وسكناته فلمح بعينيه النقية حمامة روحانية جاثمة على كتفه

اليمنى وكانها توحي اليه بما يلفظه في خطبته وتنقله الى المؤمنين السامعين. فعرف افرام اذ ذاك ان الخطيب هو باسيليوس عينه . وعرف باسيليوس كذلك باشارة الحمامة ان القادم الى زيارته هو افرام السرياني . وكان الخطيب يتوقف احياناً في كلامه يقاطعـــه المؤمنون بعبارات التحبيذ والثناء . وما تمالك مار افرام ان ضاهاهم في ذلك وجعل يكرر في السريانية ما معناه « بخٍ بخٍ » ! معربا عن اعجابه وحبوره .

وعنـــدما انحدر الحبر من المنبر وعاد الى قدس الاقداس ليواصل الذبيحة السرية استدعى الدياقون وقال له : اذهب الى المكان الفلاني تشاهد راهباً متوشحاً باسكيم رهباني مرتديا بثوب مرقّع فقل له : ان المطران يدعوك. فامتثل الدياقون أمر الحبر ومرّ بين المؤمنين المزدحمين في الكنيسة حتى وصل الى الزاوية المقيم فيها افرام وقال له : تفضل وهلمّ فان ابي رئيس الاساقفة يدعوك .

دهش الراهب السرياني وقال له بواسطة الترجمان : عفواً يا مولاي انك متوهم . فنحن غرباء لا يعرفنا المطران . عاد الدياقون وانتظر المطران ريثما انهى القداس ثم اخبره بما جرى . فقال له القديس : عد اليه وابحث عنه لانه قد تحول من مكانه وقل له : يا مولاي افرام ان الحبر يدعوك . عاد الدياقون وجثا امام مار افرام وسماه باسمه وقال له : يا سيدي افرام ان ابانا رئيس الاساقفة يستدعيك فتفضل وهلمّ اليه . اضطرب مار افرام لما سمع الدياقون يدعوه باسمه وقال له : اني قادم اليه لاحصل على بركته . ثم التفت وقال لتلميذه : هذا هو عمود الكنيسة

الذي لاح لي نوره . حقاً ان الروح القدوس يلهمه ويتكلم بفمه . ثم سار مار افرام وتلميذه ممتثلا امر القديس . وما ان لمحه القديس حتى بادره بهذه العبارة وقال له : هلم يا رسول السيد المسيح وابهجنا بحديثك ! ثم حياه تحية ابوية واستلى يقول : لقد احسنت يا ابا البرية بتكثيرك تلامذة السيد المسيح وتزييفك البدع الفاسدة ! ولكن علام كابدت مشقات السفر يا ابانا واقبلت لتزور انساناً خاطئاً ! سألت الرب الاهي ان يكافيئك على تعبك . فاعتذر مار افرام مبدياً للحبر القديس عواطف التواضع والاحترام .

بعد هذا انطلق الحبر الجليل بزائريه الى المذبح المقدس وناولهما جسد يسوع المخلص ودمه . واعتكفا ساعة في صلوات الشكر ثم سارا الى غرفة الحبر وجعلا يتحدثان معه بواسطة ترجمان . ومما قاله مار باسيليوس لمار افرام : قل لي يا ابانا كيف وانت سرياني تجهل اللغة اليونانية وقد اثنيت على موعظتي وقلت مرتين : « بخٍ بخٍ ! » ؟ فقال له افرام المغبوط أجل يا ابانا الجليل اني قد مدحت الروح القدوس الذي كان يتكلم بفمك فقال باسيليوس : قلت واكرر القول : ليتني حصلت على ما وهبك الرب من المنح السماوية !

وبعد حديث عذب مقدس اعد الحبر الجليل لزائريه محلا يقيمان فيه وما مرت ايام معدودة حتى اخذ القديس يلح على مار افرام ليرقيه الى الرتبة الكهنوتية . فاعتذر مار افرام وتمنع معربا عن اتضاعه وعن عدم اهليته لذلك المنصب السامي . فاكتفى الحبر القديس بان يرقيه الى رتبة

شماس لا غير . ولما باشر الحبر حفلة السيامة ووضع يمينه على هامة مار افرام وصلى عليه دعوة روح القدس وهو جاث امسك بيده وقال له باللغة السريانية ما تعريبه : « مر يا سيدي بان نقوم » واجابه مار افرام باللغة اليونانية بما تعريبه : « اعضد وخلص وارحم واحفظنا يا الله بنعمك » . وهكذا لفظ مار باسيليوس هذه العبارة الطقسية باللغة السريانية ولفظ مار افرام جوابها باللغة اليونانية . ومجدا كلاهما الرب الكريم وشكرا له نعمته الفياضة وعجائبه الباهرة .

وفي اليوم التالي رقى مار باسيليوس الى الرتبة الكهنوتية تلميذ مار افرام واقاما كلاهما ضيفين عزيزين في القلاية الاسقفية زهاء اسبوعين مبتهجين محبورين برؤية القديس باسيليوس وسماع حديثه الابوي مسرورين بما شاهداه وسمعاه من ابناء رعيته وهم متفقون كل الاتفاق على محبته واحترامه والخضوع لاوامره ونواهيه لا يزعجهم زعماء البدع بزاعمهم وتخرصاتهم ولا يقلقهم احد في هدؤهم وسكينتهم .

ولما ذهب مار افرام ليودع الاسقف الجليل ويطلب صلاته ويتزود ببركته لم يتمالك الحبر ان يقول للاكليروس الحاضرين لديه : لقد شاهدت افرام السرياني المغبوط منتصباً في الكنيسة يحدق به ملاكان متوشحان بحلل نورانية احدهما عن يمينه وثانيهما عن يساره !

هكذا انتهت تلك الزيارة الجميلة مخلفة في قلب الحبر الكبير وفي قلب زائره عواطف نبيلة وذكريات عذبة مقدسة ظلا يرددانها حتى

يوم وفاتهما (١) .

وروت الآثار السريانيـــة ان القديس باسيليوس على اثر سفر مار افرام القى خطبـة في عظمة الروح القدوس وضمّ واو العطف الى اسمه المجيد . فاعترض عليه بعضهم فقال لهم : اني تلقنت ذلك من افرام رجل الله الخبير بلغته السريانية . فهو الذي صرّح بوجوب اضافة واو العطف الى اسم الروح القدوس .

ثم ان القديس باسيليوس عينه رقي المنبر اول يوم من الصيام الكبير وجعل يشرح المؤمنين خلقة الله تعالى للعالم في ستة ايام وبنى موعظتة على الآية الثانية من سفر التكوين وهي : « وروح الله يرف على وجه المياه » (تك ١ : ٢) فقال : اني افضي اليكم ايها السامعون بعبارة رجل سرياني متضلع من عـــلم الكتاب المقدس خبير بالحقائق الدينيـــة منزه عن الحكمة العالمية . فهو الذي شرح بلغته السريانية القريبة من اللغة العبرانية هذه الآية الكتابية وشبه رفرفة الروح القدس وعطفـه برفرفة الدجاجة وعطفها على فراريجها لتمنحها الحركة والحياة . واستنتج من ذلك ان الروح القدوس يعطف على النفوس الحية لانه الاهٌ خالقٌ مساوٍ للآب والابن في الجوهر لا ينقصه شيء من اعمال الخلقة البتة (٢) .

---

(١) اخبار الشهداء والقديسين للاب بولس بيجان : مجلد ٣ صفحة ٦٤٣ — ٦٥٠

(٢) فيه : مجلد ٣ صفحة ٦٤٩ — ٦٥٠

الفصل السابع عشر

عودة مار افرام الى الرها واستئنافه التعليم والدفاع عن الايمان القويم

عاد مار افرام وتلميذه من قيسارية قبدوقية الى الرها ومرّ في طريقه بمدينة سميساط على ضفاف نهر الفرات . وصادف هناك معلماً هرطوقياً وصبيان مدرسته يلعبون . فسلم القديس عليهم طبقاً لوصية يسوع المخلص وخاطبهم بكلام يتدفق عذوبة ولطفاً . غير ان احدهم ازدرى القديس واحتقره واستخف به وبثيابه الفقرية واتقح فلطمه . اما القديس فلم يتذمر ولم ينبس بكلمة بل واصل سيره مع تلميذه وراح اولئك الصبيان يلعبون وجلس ذلك الصبي الجسور على صخرة يتفرج . فخرجت افعى من قلب الارض ولدغت يده التي لطمت القديس وانتشر سمها في جسمه كله ومات للحال . وعند ذلك بادر معلم المدرسة الى المدينة مذعوراً متأثراً وجعل يبحث عن القديس فشاهده يستعطي هو والراهب الذي معه . ثم قصد اهالي الصبي واخبرهم بما جرى . فسارعوا الى القديس وتوسلوا اليه ان يشفق عليهم ويغفر للصبي جرمه ويعيداليه الحياة . فاصغى القديس الى طلبهم والحاحهم وعاد الى حيث كان الصبي ملقى ميتاً وامسكه بيده وصلى عليه هنيهة ثم نادى قائلا : باسم السيد المسيح ابن الله الحي قم يا ابني ! فنهض الصبي لساعته حياً واستغفر القديس واستمنحه العفو عن جريرته . اما اهله فلما شاهدوا الاعجوبة مجدوا الله تعالى وشكروا وليه القديس وجاهروا بعقيدته نابذين ضلالهم . ونسج

الكثيرون من اهالي المدينة على منوالهم .

وبعد هذا واصل مار افرام السفر الى الرها واطلع على ما صار اليه فريق من المتطرفين في غيبوبته القصيرة اذ عادوا الى شنشنتهم وجعلوا يذيعون في اذهان السذج الودعاء مزاعم ابن ديصان وماني وابوليناريوس ومرقيون واريوس وارمونيس وسائر من لف لفّهم من خصوم الكنيسة الكاثوليكية المقدسة . فجدد عزائمه وانحدر الى مضمار الكفاح ليفنّد اضاليلهم مستعيناً بانوار روح القدس . واستأنف ينظم القصائد كمألوف عادته ويضبطها باوزان شعبية واهازيج وطنية يدمجها بحقائق دينية محكمة ويلقّنها الرجال والنساء معاً ويتغنى بها غناء رخيما جذابا يخلب الالباب ويؤثر في النفوس تأثيراً مقدّساً . ولقد صدق من قال : « ان افرام هو الوحيد بين معلمي الكنيسة الذي تغنّى بالاسرار الالهية غناءً بديعاً » (١) .

اما طريقة مار افرام في المدافعة عن الايمـــان المقدّس ومنازعة الاراتقة والملحدين فكانت سلسلة براهين متينة محبوكة حبكاً محكماً تقضي على الجاحدين المكابرين قضاءً مبرماً وتضفر لمنشئها اكليـل الغار والانتصار . اذ كان يمزجها بعواطف حبية ويفرغها في قوالب سهلة يستقي مواضيعها وبيّناتها من ينبوع يسوع الفادي الذي قال: «ان عطش احد فليأت اليّ ويشرب . مَن آمن بي فكما قال الكتاب ستجري من جوفه

---

(١) سنكسار الروم الملكيين الكاثوليك : سيرة ابينا البار مار افرام السرياني .

انهار مياه حية» (يو ٧ : ٣٧ و ٣٨) .

وهذا الذكاء المفرط وتلك القريحة الوقادة النادرة المثال قد زانتهما ثقة تامّة بالعناية الربانية وجملتهما تقوى راهنة انطوت على ايمان وثيق واتضاع عميق ووداعة حلوة وطهارة صافية وتعطف شديد على البائسين والمساكين وتفان ممتاز في خلاص الانفس المفتداة بدم ابن الله الزكي الثمين . هذه مؤلفاته الوافرة المنظومة والمنثورة في الكمالات الالهية . وهذه قصائده الرائعة في وصف ميلاد الفادي وعماده وآلامه وقيامته وصعوده وسر محبته وحلول روح القدس على تلامذته. وهذه منظوماته في مناقب مريم العذراء المجيدة وفي بشارة الرسل واعذبة الشهداء وجهود النساك . وهذه اشعاره في التوبة والموتى المؤمنين ولا سيما في المناضلة عن عقائد الدين المسيحي القويم . ذلك كله سوغ له ان يجتذب الى حبّه والاقتناع بتعليمه واقتفاء آثاره كل من سمع اقواله السديدة او طالع تصانيفه الوافرة العجيبة .

وزبدة القول ان مار افرام القديس والملفان أصبح بقداسته وعلمه ذا اثر عظيم في الكنيسة الكاثوليكية جمعاء وفي المحيط الرهبانيّ وفي المدارس الزاهرة وفي الاسر المسيحية كافة . وقد ظل يعلم ويرشد ويفقه في مدرسة الرها العامرة حتى اصبح جمهور تلامذتها يستحلون اسمه ويستندون الى تآليفه ويعوّلون على اقواله ويرتشفون منها اصفى مناهل العلوم الدينية والتهذيبية . وكان اذا مرّ بالمدينة وشاهدوه بادروا الى تحيته وطلب بركته وصلاته .

الفصل الثامن عشر

بعض حوادث وقعت لمار افرام

اتفق يوماً ان القديس مـــار افرام مرّ بكنيسة مار توما الرسول وراى هناك رجلا مخلعا لا يقوى على الحركة فتوجع لمصابه وقال له: هل تروم ان تشفى؟ فقال له المخلع كيف لا واني اتوسل اليك يا ولي الله تعالى أن تضع يدك علي فاحصل عـــلى الشفاء وامتلك العافية. عندئذ التفت القديس يمنة ويسرة فلم يشاهد احداً فدنا منه ثم نظر الى المخلع وقال: باسم يسوع المسيح قم وامش. فنهض المخلع من فوره مسرورا وسبح الله عز وجل وعاد الى بيته معافى.

وشاهدت القديس يوما في الطريق امرأة سفيهة خالعة العذار فحاولت ان تغريه بحركاتها الاثيمة والفاظها الخبيثة. فاغضى عنها وزجرها. فاعادت الكرة وقالت له: انها تموت في حبه. فقال لها القديس: رضيت معك بشرط ارتكاب المنكر في السوق جهرة عـلى مراى ومسمع من الناس. فدهشت تلك السفيهة وقالت له: كيف يتيسر ذلك الا تخجل وتستحي؟ قال لها القديس: تستحين وتخجلين من الناس ولا تهابين الله تعالى الحاضر في كل مكان؟ فاتعظت المرأة من جوابه وندمت على وقاحتها ومعاصيها وتابت توبة نصوحا وقصدت احد الديورة وقضت حياتها مكفرة عن اثامها (١)

(١) سنكسار الروم الملكيين الكاثوليك. واخبار القديسين طبع الموصل ١: ٩١

وزارت القديس في مغارته امرأة طائشة تطلب صلاته وتستخبره عما يحتاج اليه . وما ان سمعها القديس حتى قال لها : اني في حاجة الى ثلاثة حجار والى شيء من الكلس لاسد هذه النافذة التي بيني وبينك لئلا يقع نظري عليك فيما بعد . فخزيت وخجلت وانقلبت راجعة الى بيتها نادمة متعجبة .

وحدث ان احد الرهبان طبخ يوما شيئا من البقول وجعلها في قصعة وجاء بها الى مغارة مار افرام . غير انه ما كاد يدنو من الباب حتى عثرت رجله وسقط وانسكب الطبيخ على الحضيض . فتبسم القديس وقال للراهب : لا بأس عليك يا اخي فاذا كان الطبيخ لا ياتي الينا فنحن نذهب اليه . قال هذا وجعل يلتقط تلك البقول ويأكلها (١) .

الفصل التاسع عشر

اصطفاء مار افرام للرتبة الاسقفية

ظل القديس باسيليوس الكبير يردد ذكريات ما شاهده في ابينا مار افرام من مظاهر القشف والزهد والقناعة في طعامه وكسوته . وما اختبره فيه من العلوم النظرية والشروح الكتابية الناضجة فاحب ان يرقيه الى الرتبة الاسقفية السامية ويضمه الى رهط احبار بيعة الله المقدسة فارسل اليه اثنين من شمامسته وهما تؤفيل وتوما وامرهما ان ينطلقا الى الرها

(١) سنكسار الروم الملكيين الكاثوليك

ويفضيا اليه بما انتواه . ثم ذكر لهما هيئته الخارجية وزيه الفقري وحثهما ان يقنعاه في القدوم اليه معهما تحقيقا لرغبته .

امتثل الشماسان امر اسقفهما الجليل وسافرا الى الرها واستفسرا عن الراهب القديس وزاراه وشاهداه شيخا وقوراً قد وخطه الشيب وبلغاه امر الحبر الجليل . فارتبك افرام المغبوط وتظاهر بالخبال معتذرا طالبا اعفاءه من تلك الرتبة السامية . ولم يقتصر على ذلك بل غيّر هيئته وابدى تخوفه مقتديا بداود النبي والملك يوم خاف جداً من اكيش ملك جت وغيّر عقله وتظاهر بالجنون (١ ملوك ٢١ : ١٢ و١٣) .

وبعد اخذ ورد عاد الموفدان واطلعا راعيهما الجليل على ما شاهداه وسمعاه . فلما تمالك القديس باسيليوس ان هتف وقال : ان افرام جوهرة نادرة المثال غالية الثمن احتجب بقناع التواضع عن اعين البشر واستاثر بدرس الفضيلة والحكمة ليحوز القربى السامية لدى الله العارف بمضمرات القلوب ومكنونات الصدور (١) . هكذا ظل افرام المغبوط يقضي نهاره في التعليم والتفقيه ويعكف اغلب اوقاته على التامل ومناجاة الروح القدوس يصلي تارةً وطورا يكتب ويصنف حتى اصبح في الحقيقة من مشاهير النساك القديسين ملافنة وجها بذة بيعة الله المختارين .

---

(١) هذا الخبر ذكره كذلك البطريرك اسطفان الدويهيّ في كتابه منارة الاقداس جزء ٢ صفحة ٢٥ : نقلاً عن سوزومان المؤرخ .

الفصل العشرون

تعطف مار افرام على المنكوبين

قال الانبا بلاديوس مؤلف كتاب « بستان الآباء » الرهبان: سار افرام السرياني الطوباويّ سيراً حثيثاً في محجة الكمال الروحاني دون ان ينحرف عنها طول حياته . وثابر على الوعظ والارشاد والتعليم دون ملل واضطُر في اواخر ايامه ان يبرح مغارته بسبب غلاء فاحش عمّ اهالي الرها وضواحيها وفتك بعددٍ غفير من البائسين والمعوزين ممّن ضاقت بهم سبل المعيشة . فتعطف عليهم القديس وترك خلوته العزيزة وانحدر الى المدينة يطوف دور الاغنياء ويستحثهم ليغيثوا المساكين وهو يقول لهم: افتكروا في رحمة الله تعالى وجودته واعلموا ان ثروتكم ستمسي وبالاً عليكم ونقمةً لكم ودينونةً لنفوسكم إلمّ تسخوا بشيء منها على الجياع والمنكوبين . اذكروا كلام الرّب يسوع القائل : « طوبى للرحماء فانهم يرحمون » (متى ٥ : ٧). على انكم « ان احسنتم الى من يحسن اليكم فاية منةٍ لكم ... وان اقرضتم الذين ترجون ان تستوفوا منهم فاية منة لكم فان الخطأة يقرضون الخطأة لكي يستوفوا منهم المثل . ولكن أحبوا اعداءكم واحسنوا واقرضوا غير مؤملين شيئاً فيكون اجركم كثيراً وتكونوا بني العليّ » (لو ٦ :٣٣-٣٥)

اتعظ الاغنياء بتحضيض مار افرام الممزوج بآيات الكتاب الكريم

واجمعوا على اختياره للنهوض بجمع الاقـــوات والصدقات والاعتناء بالمنكوبين والمرضى . وما مرّ القليل حتى اعدّ ثلاثمائة (١) سرير وضعها في عدة غرف وجعل يطوف بيوت المدينة وضواحيها يشرف على الضعفاء والبؤساء وينقلهم الى تلك الغرف التي أمست بمثـابة مستشفى او ميتم عمومي. فيطعم الجياع ويعالج المرضى ويمسح بيده دموع الثكالى والارامل ويسري الهموم والغموم عن هؤلاء واولئك يشعر بمرارة نكباتهم شعوره بحلاوة عافيتهم ونجاتهم. ويحرّضهم ليؤدوا الشكر لله تعالى ويصلوا لاجل المؤمنين الاسخياء ليكافيئهم الربّ بدلاً من الواحد ثلاثين وستين ومائة .

واستمرّ القدّيس سنة كاملة يواصل صنعه هذا المبرور حتى انكشف الغلاء والضيق واقبلت سنة الخصب والرخص. وعـــاد الباقون في قيد الحياة الى منازلهم واشغالهم شاكرين للرب العطوف رحمته ولخـــادمه الامين تعطفه وهمته .

الفصل الحادي والعشرون

مار افرام في شيخوخته

عاد مار افرام الى مغارته وقد أضناه الجهـد والسهر وأتلف الذهاب والاياب قواه وهو مبتهج كلّ الابتهاج بما نهض به تخفيفاً لمصائب المنكوبين واثقاً كلّ الثقة بمنال ما اعدّه الربّ الكريم لعبيده الامناء الصالحين من

(١) روت بعض الصحف : ١٣٠ سرير (سيرة الآباء القدّيسين : طبع الموصل ١ : ٩١)

الثواب . وما مرّ عليه شهرٌ واحدٌ حتى شعر بقرب رحيله من ارض الشقاء وقد اناف على الثالثة والسبعين من سنه . فاضطر ان يلزم مغارته ويتهيّأ لملاقاة ربه الرحيم معتقداً انه يسمع من فمه القدوس « أحسنت ايها العبد الصالح الامين قد وجدت اميناً في القليل فسأقيمك على الكثير ادخل الى فرح ربك» (متى ١٥ : ٢١) .

وقد نظم في تلك الغضون قصيدة مؤثرة جداً اورد فيها خلاصة جهاده . وما برحت الكنيسة السريانية تتلوها يوم عيده المبارك وهذا تعريبها :

« جعت مراراً جمة كنت في حاجة الى الطعام . ولكني تمنعت عن المأكل لافوز بالطوبى المعدة للصائمين . اضطرّني طبعي الترابي لاشرب الماء . ولكني تركت جسدي يجف وينشف كي اذهب وارتشف ندى الفردوس السماوي . وعندما كان طبعي البشري يتملّقني كنت اعلله من يوم الى يوم وأُرجئه منذ شبابي حتى شيخوختي وانقضاء عمري. كنت صباح كل يوم افتكر في اني اموت في مسائه . فاعتكف على العمل نهاري كله دون كلال كاني مائت . وعند المساء كنت افتكر اني اموت في الصباح فاثابر على خدمتي حتى الصباح وانهض للصلاة . وكنت اذا اضطرني الجسد لانهض بلوازمه اعلّله واملّقه متذكراً قول يسوع ربي : «طوبى لاولئك العبيد الذين اذا جاء سيدهم وجدهم ساهرين» (لو١٢ : ٣٧) .

« جعلت قلبي كنيسة ليسوع المسيح . وقرّبت فيه تعب أعضائي

بدلا من البخور والطيوب . وجعلت فكري بمثابة مذبح وارادتي بمثابة كاهن وضحيت بذاتي كخروف نقي وقرّبت للربّ قرباني . تحرزتُ التحرز كله من استعمال الادهـــان . لاني دُهنت مرّة حينما اعتمذت بميرون الروح القدوس. تخوفت الاغتسال بالماء لاني اغتسلت بالماء الذي تدفق من جنب يسوع مخلصي. عندما كنت اتناول جمرة القربان الاقدس كنت اتوسل اليه تعالى ليحرق زؤان اعضائي واشواكها . وقد اخمد دم يسوع مخلصي النار المتأججة في أعضائي واطفـــأ سعيرها لئلا تحرقني وتهلكني . وصانني جسد يسوع الاهي الذي تناولته في قدس الاقداس وأنجاني من الضرر وحفظني من ابليس الرجيم عدوّي .

«تعودت ان أسم جميع اعضائي عند المساء باسم الثالوث الاقدس(١) لئلا يباغتني ابليس ويسلبني بتوليتي . تمجد الثالوث القدير الذي عضدني في شيخوختي وساعدني في جهادي طول حياتي . اقد حملت نيرك يا ربي منذ فتوتي حتى شيخوختي . واعتكفت على العمل مسروراً كل يوم دون انقطاع حتى النهاية .

«تغلبتُ على مشقات الجوع لانيعرفت ان يسوع مخلصي ذاق المرارة لاجلي حينما كان معلقاً على الصليب مـا بين لصين . لم اعبأ بحرقة العطش لاني شاهدت يسوع مخلصي يشرب وهو على الصليب خلاّ في اسفنج .

(١) يستدل من ذلك ان المؤمنين تعودوا استعمال اشارة الصليب في صلواتهم الخصوصية منذ اوائل الكنيسة .

شحب لون وجهي بسبب الصوم والسهر وانا واثق برؤية ربي يوم القيامة مثلما رآه موسى واستنار وجهه .

«شاهدتك يا مخلّصي عرياناً معلّقا على خشبة الصليب فاتخذتُ مسحاً لكسوتي ولبثت اتوقع مجيئك . استكرهتُ الاطعمة ونبذتُ الخمور متذكّراً وليمة ملكوتك يا ايها العريس السماويّ » (١) :

تلك عواطف حارة وخواطر تقويّة ظل مــار افرام البار يبديها ويعيدها في اثناء شيخوخته المباركة واثقاً كل الثقة بنال الثواب من لدن الرب الرحيم الجواد .

الفصل الثاني والعشرون

وصية مار افرام الاخيرة

تفاقمت اوجاع القديس افرام المغبوط وهو متجلد صابر ينتظر ان تفارق نفسه البارة جسده النحيف الملتصق بعظامه لتحظى برؤية ربه المكلل جهاد عبيده . واخذ تلاميذه واصدقاؤه يتوافدون اليه ليطلبوا بركته ويودعوه الوداع الاخير . وكان القديس اذ ذاك يبثهم عواطف محبته وامتنانه ويملي عليهم في فترات متقطعة متعددة كلماته الابوية اذ لم يكن في استطاعته ان يكتب شيئا كمالوف عادته . وعلى اثر وفاته السعيدة سطر اولئك التلامذة ما علق باذهانهم من عباراته المؤثرة المتلجلجة . ثم

---

(١) فنقيث ٣ : ١٩١

توسعوا في تدوينها . واطلع عليها الكثيرون من الآباء والابناء . نذكر في جملتهم القديس غريغوريوس اسقف نيصص الجليل الذي انتقى من تلك الوصية فقرات ادرجهـا في خطبته البديعة الجميلة . والى القارىء الحبيب بعض شذرات من تلك الوصية :

« اني انا افرام أملي عليكم وصيتي حين احتضاري كي اخلف للجميع ذكرى ما اقتنيته ... يا ويلي ويا لهفتي فقد انقضى زماني وانتهى عمري! ويل لي عندما اقف امـام منبر ابن الله الديان الرهيب ! تولّ يا يسوع دينونتي لافوز برحمتك . ان هوشع يرعبني ويعنفني بقوله : «فشا الشيب في افرام ولم يخجل » (٧ : ٩)فاذا قال قائل ان النبي قصد افرام بن يوسف قلت : ان النبي لم يميز بيني وبينه . امـا داود فيبهجني بقوله : «افرام معزز رأسي » (مز ٥٩ : ٩) . لست اقصد في ذلك تباهيا وتفاخرا . كلا لان الربّ عارف بمكنونات صدري .

« صدقوني يا تلاميذي اني لم اشتم احدا قط ولم اخاصم احدا كل عمري ولم اماحك الا الكفرة الملحدين. وقد ناهضتهم جهرة وفي الانديةعلانية . على ان الرجل الحكيم لا يبغض احدا واذا ابغض فانما يبغض الجاهل . اما الجاهل فلا يحب احداً واذا احبّ فانما يحب الجاهل مثله .

« تيقنوا يا احبائي اني لم اشك البتة في قدرة الله العلي ولم يخالجني ريب في كنيسته . صدقوني يا تلامذتي اني لم اقتن ذهبا ولا فضّة لاني سمعت ربنا يسوع يقول : لا تقتنوا شيئا للطريق » .

« هلموا يا اخوتي ودعوني قبل رحيلي . اذكروني في صلواتكم وطلباتكم

لا تخالفوا كلامي ولا تنقضوا وصيتي : لا تدفنوني تحت المذبح ولا مع الشهداء لاني اثيم حقير اخـــاف الدنو من رفاتهم : ومثَلي مثل هشيم متى دنت منه النار التهمته . شيعوني سريعا وادفنوني دفنة خامـــل . لو عرفتم اثامي لبصقتم كلكم في وجهي . لو انتشرت رائحة خطاياي لجفوتموني واعرضتم عني . لا تضعوا معي برنسا او حلة بل ادفنوني بثوبي وقبعي الرهباني لان الزينة لاتجدي الميت نفعا .

« ايها الرهاويون اخوتي واحبائي وآبائي هاتوا ما نويتم ان تقدموا لاخيكم كي اضع له سعرا ما دمت صاحيا . وانتم وزعوا الثمن على المساكين والمحتاجين واليتامى والارامل فتستفيدوا انتم بما جدتم به واستفيد انا بما زهدت عنه . واعلموا ان الذي لا يوفي ما نوى يصيبه ما اصاب حنانيا وشفيرة (اعمال ٥) .

« لا تشيعوني بالشمع والبخور بل بالصلاة والقرابين والمزامير . لا تدفنوني الا في مقبرة الغرباء لاني غريب نظيرهم . وكل طير يأوي الى شكله . وبعد مرور ثلاثة ايام على وفاتي اذكروني يا اخوتي لان الموتى يستفيدون من ذكرى الاحياء ويشعرون بها شعور الخمرة في الخابيـــة والحصرم في الكرمة . أخطروا ببالكم ما صنعه المقابيون عند الذين سقطوا في الحرب غفراناً لخطاياهم (مقا ٢:١٢) على ان كهنة ابن الله القدوس يغفرون خطايا الموتى بقرابينهم وصلواتهم (١) .

---

(١) هذا برهان صريح يثبت وجود المطهر لتنقية الخطايا المتبقية على الانسان وفقاً لتعليم الكنيسة الكاثوليكية .

هلمّوا يا تلاميذي لابار ككم مباركة الراعي العادل . لستُ كنوح البـار فكونوا انتم كسام ويافث . لست كملكيصادق فكونوا انتم كابرهيم الخليل . لستُ مثل اسحق فكونوا مثل يعقوب اسرائيل . لستُ كموسى الكليم فكونوا انتم نظير يشوع بن نون . لستُ كايليـا النبيّ فاقبلوا انتم روحي مثل اليشاع .

« يا ايها الانبا تلميذي يا رجلاً عجيباً فليعظّم المسيح ذكرك . يا تلميذي ابرهيم ليستجبك الاه ابرهيم ويفهم قلبك حكمة . يا سمعان ليسمعك الربّ كلما دعوته في ضيقتك . يا مارا الآجليّ الطهور الوديع ليجزل لك الله الكريم ثواب الابرار والصديقين . يا تلميذي زينوب الباسل الشجاع جعل الربّ القدير كلمتك كنارٍ تلتهم قتاد البدع الفاسدة ومنحك الغلبة على الكفرة مثلمـا منح داود الغلبة على جليات . اثبتوا يا تلاميذي في عقيدتي وتعليمي . اياكم والكفر والتجديف فهو اثم ذريع فظيع . حسبنا شهوات الجسد فلا نضيفنّ إليها اثماً آخر . ان ما يوطد رجائي وثقتي بربيّ اني ما شتمتُه ولا جدّفت عليه اصلًا . لكني أبغضت من ناواه وماحكت من عاداه وقاومهُ .

« اكتبوا عباراتي على صفحات قلوبكم واعلموا ان الكفرة الملاحدة سيشدّدرن عليكم ويعنّتونكم بعد وفاتي ويتقمصون كالحملان وهم ذئاب خاطفة . كلماتهم حلوة ونياتهم علقميّة مرّة . اياكم ومخالطتهم ومجالستهم . أصيخوا لوصيّتي ولا تنحرفوا عن عقيدتي .

« الوداع يا احبائي . صلّوا عليّ . قد حان للتاجر ان يرتحل الى وطنهِ . الوداع ايتها الارض . سألتُ الله عزّ وجلّ ان يبهج سكانك ويجعل السلام سائداً في الكنائس ويمحق اضطهاد الكفرة ويبرّر الخطأة . . . »

تلك خلاصة وصية ابينا مار افرام الذهبية المؤثرة . وقد لخصها الآباء في بيت ينشده الاكليرس في صلاة « ستار » يوم الاربعاء وهذا تعريبه : « اني انا افرام راحلٌ . وهنذا اكتب وصيتي بمثابة شهادة للتلامذة من بعدي . واظبوا على الصلاة نهاراً وليلًا . لان الاكار الذي يفلح ويكرّر الفلاحة تنجح غلاته . فلا تكونوا كسالى تنبت حقولهم اشوا كاً بل اعتكفوا على الصلاة . لان من أحبّ الصلاة استفاد في كلا العالمين »

وقد ورد في بعض الصحف ان الفتاة لمفرطوطا نجلة ارسطوط الوالي زارت القديس في ايامه الاخيرة واستأذنته لتضع جثمانه ضمن ضريح رخام . ولكن وليّ الله تعالى نهاها نهياً مطلقاً وسألها ان تجود بالثمن على المساكين والمحتاجين .

وجاء عن احد وجهاء الرها انه أعد ثوباً ثميناً فاخراً لتكفين القديس ولكنه لما بلغه التصريح بان لا يُدفن بسوى ثوبهِ وقبعه عدل عن انجاز فكره ونوى ان يردّ الثوب لبائعه . ولما ذهب ليزور القديس في فراشه سقط بالقرب منه واعترته نوبة عصبية وتدفق الزبد من فيه . وكادت تتصرّم انفاسه . فانتبه مارافرام وقال له : ماذا صنعت يا بنيّ حتى جرى لك ما جرى ؟ فاعترف الرجل بما صنع واستغفر القديس . فتحنن عليه ووضع يده على

رأسه وصلّى سائلاً الله القدير ان يردّه الى صوابه . ثم قال له أنجز ما نويت واعطِ المساكين ثمن الكفن . وما عتمّ ان نهض الرجل من نوبتهِ ثم أكمل مشورة القديس شاكراً حامداً ممجداً الله تعالى في أوليائهِ .

الفصل الثالث والعشرون

وفاة مار افرام

والآن نفسح المجال للقديس غريغوريوس اسقف نيصص كي يفيدنا عن انتقال قدّيسنا المغبوط من هذه الدنيا الغرور قال : « دقت ساعة الرحيل فحدّق ابونا مار افرام الى اعـالي السماء وانتقلت نفسه الى مينا الملكوت السماوي وانضمت الى نفوس الابرار القديسين تتقدّمها فضائله السامية وفي طليعتها المحبّة فالاتّضاع فالايمان الوطيد فسائر الفضائل . لعمري ما اشهى انفصالاً مثل هذا يتمناه كل منا ! ما احلى ميتة مثل هذه لا تفتقر الى البكاء والنحيب ! انها في الحقّ نقلة مباركة لا تدعو صاحبها الى الندامة والأسف . انها جنازة شهّية لا تخلف وراءها حزناً وكآبة بل سلواناً وتعزية . ذلك لان موت الابرار ليس الاّ انتقالاً من دار الشقاء الى دار المجد الابديّ والغبطة الخالدة » .

علىٰ هذا الاسلوب فاضت روح ابينا مار افرام بيد الربّ خالقها .

وتمّ ذلك في ١٨ حزيران (١) ٣٧٣ وانتقلت الى مينا الامن والسلام . وترأس صلوات الجنازمار بورسا مطران الرها (٣٦١-٣٧٨) وحضرها جميع الكهنة والرهبان يشاطرهم المؤمنون وطلبة المدرسة . وشيّعوه بمجالي التوقير والتكريم الى مقبرة الغرباء ظاهر المدينة وفقاً لوصيته .

هكذا قضى مار افرام الملفان حياة جدّ وعمل . حياة حبّ وتفان في سبيل القريب . حياة تضحية وعطف على البائس الضعيف . حياة نسك واعتكاف على الصوم والقنوت . حياة مفعمة من فاتحتها الى خاتمتها ثقة تامة بالعناية الربانية .

وعلى كرور الزمان فتح الرهاويّون ضريح القديس واستنشقوا من جثمانه روائح عطرة زكية ونقلوه الى مدفن الاساقفة وجعلوا يتوافدون اليه زرافات ويستشفعونه في النكبات والملمات . وظلّ رفاته في كنيسة الرها الكبرى مع رفات احبارها وشهدائها ورهبانها القدّيسين حتى احتلّ زنكي الكرديّ عام ١١٤٥ تلك المدينة العامرة فنقل الفرنج الصليبيون ما تيسّر لهم نقله من تلك الذخائر الثمينة الى رومية والى غيرها من مدن

---

(١) ورد في خلاصة اخبار الرها ان الوفاة حدثت في ٩ حزيران ٣٧٣ (المكتبة الشرقية : للسمعاني وروبنس دوفال : الآداب السريانية ٣٢٩) واورد اغلب الكتبة انها حدثت في ١٨ حزيران. وبناءً على هذا التاريخ قرر الحبر الاعظم البابا بندكتس الخامس عشر الطيب الاثر ان يقام تذكار مار افرام الملفان في ١٨ حزيران في الكنيسة الكاثوليكية جمعاء على توالي الاجيال .

اوربا وفي جملتها عظام ابينا الطوباويّ مار افرام (١) .

وقد وصف عيشة ابينا مار افرام وهيئته كاتب سيرته والقدّيس غريغوريوس اسقف نيصص في خطبته فقالا : ان مار افرام المغبوط مذ توشحه بالاسكيم الرهباني حتى رقاده لم يتقوّت بسوى خبز الشعير وشي من البقول المجفّفة او المطبوخة . ولم يشرب الا الماء القراح حتى أقحله الصوم وألبس جلده على عظمه وأمسى كتمثال من فخار . اما ثوبه فكان خلقاً مركباً من قطع ورقع عديدة . وكان قصير القامة واسع الجبهة كثّ اللحية ذا هيبة ووقار . وبالجملة فان شكله الظاهر كان يدلّ على جمال روحه الباطن .

وذكر القديس غريغوريوس المومأ اليه انّ جندياً مسيحيا شريف الحسب والنسب وقع اسيراً في ايدي الاسمعيليّين فاعتقلوه والقوه في سجن مظلم حتى أيس من النجاة والعودة الى وطنه وأهله . وكان مار افرام قد انتقل الى جوار ربه في تلك الغضون وطبّق الخافقين ذكر فضائله وما يجريه الله القدير من الكرامات بشفاعته . فاستغاث به ذلك الجنديّ النبيل وهتف بكل جوارحه وقال : يا مار افرام أغثني ! » وما كاد يلفظ هذه العبارة حتى شعر كأن يداً قوية فكّت قيوده وفتحت أمامه باب السجن والحرّاس غائصون في سبات عميق . هكذا نجا ذلك الجنديّ من الخطر وعاد الى بيته سالماً معافى يشكر لله القدير نعمته ويثني على فضل القديس افرام وليّه . وظلّ يذيع اسمه الحلو مجاهراً بمعرفة الجميل حتى آخر رمق من حياته

(١) الحروب الصليبية في الآثار السريانية: للمؤلف صفحة ٩٧ - ١٠٧

القسم الثاني

تقريظ مار غريغوريوس اسقف نيصص ومار يعقوب اسقف سروج

فضائل ابينا مار افرام

١ - تقريظ مار غريغوريوس

اطلّع القديس غريغوريوس اسقف نيصص (+٣٩٥) شقيق القديس باسيليوس الكبير (+٣٧٩) على اعمال ابينا مار افرام معاصره كما قلنا واختبر مناقبة التقوية وأشرف على بعض تصانيفه وشروحه فالقى خطبة نفيسة ممتعة اطرأ فيها مزاياه واورد شيئاً من اخباره . وانطوى تقريظه على ١٨ صفحة نشرت في مجلة المشرق(١) وهذا التقريظ نقله عن اليونانية الى العربية فيما رجح الاب لويس شيخو اليسوعي عبدالله بن الفضل الانطاكي الملكي (+ ١٠٥٢) . وجاء هذا النقل مطابقاً لاصله اليوناني في مجموعة مين (٢). وها اننا نلخصه للقارىء العزيز تتمة لموضوع

---

(١) المشرق ١٩ : ١٩٢١ : ٤٥٢ - ٤٥٩ و ٥٠٦ - ٥١٦

(٢) مين : مجلد ٤٦ صفحة ٨١٩ - ٨٥٠

كتابنا مستغنين به عن التوسع والتبسّط في ذكر فضائل القديس فضيلة ففضيلة قال :

« ان ما حداني على القاء هذه الخطبة هو قول يسوع المخلص : « لا يوقد سراج ويوضع تحت المكيال » (متى ٥:١٥و١٦) فهذا النص الانجيلي دعاني لاحدثكم عن ابينا افرام الالهي على رغم منعه ونهيه كائناً من كان عن التعرّض لذكر زهده وتقريظ فضيلته . على انه لو لم يكن يعرف انه يستحقّ المديح لما نهى عنه . فمثله في نهيه هذا مثل بولس الرسول زينة الكنيسة وفم السيد المسيح اذ قال : «ولست اهلاً ان أُسمّى رسولاً (اقور١٥:٩) وبقوله هذا ازداد مجده واستأهل ان يدعى رئيس الرسل.

« فالكنيسة المقدسة تروم ان نكلّل الفضلاء المتواضعين باكاليل المديح والثناء . ولذا هيأنا اكليلاً ذهبياً مرصعاً بحجارة كريمة توخّينا ان نقدمه لاولاد الكنيسة المقدّسة بمثابه هدية ثمينة كي يقتدوا بافرام ذلك القديس الجليل . كيف لا وهو الذي لا تشبع من ذكره والثناء عليه افواه النصارى قاطبة . افرام الذي انار العالم بنبراس سيرته ومعارفه حتى اصبح من يجهله كانه يجهل باسيليوس الكبير كوكب الكنيسة المنير .

«افرام نهر فراتي يرتشف منه المؤمنون فيثمرون ثماراً شهية ناضجة بدلا من الواحد مائة ضعف . افرام كرمة الله العلي الحافلة بعناقيد حلوة لذيذة . افرام مزين الكنيسة بايمانه واعماله معاً .

«ولسنا في حاجة الى ذكر اصله ووطنه ونبالة والديه وشرف اهله

وتربيته ونشأته وحظه وغير ذلك ممّا اعتاد المؤلفون ان يوشحوا به تصانيفهم وقد كان لافرام السرياني اوفر حظ من ذلك كله. بيد ان ما ازدانت به سيرته من المزايا النادرة يُعد اجل وأفضل.

« ولعمري كيف يرضى هذا الرجل ان نصف اصله وفصله وقد نبذ الحسب والنسب واكتفى بان يكون لله تعالى وحده؟ بل كيف يتباهى بوطن من اعتبر ذاته غريباً في الارض راجياً الحصول على الوطن السماوي لا غير؟ كيف يتفاخر بثروة والد او جد من كان يستثقل ثوبه العادي كانه يعوقه عن السير في طريق الكمال؟ بل كيف يرغب في تقريظ نشأة او مديح تربية شريفة من كانت نشأته وتربيته في درس الكتب الالهية؟

« فالذي توخيّناه في خطابنا هذا انما هو العمل والعلم وما يتبعهما من مزايا ومناقب ازدان بها هذا القديس الوضيع واطلعنا نحن على نزر منها اقتطفناه مما نثره هـذا الملفان الكبير نفسه في تصانيفه وجمعناه تشبهاً بالنحلة واصلحنا منـه شهداً روحانياً نعرضه على المؤمنين ليتذوقوه ويستحلوه فنقول:

١ - ايمان مار افرام ومناضلته عنه

« سلك هذا القديس طريقـا سوياً في ايمـانه كما عرفنا من مصنفاته ومثلما اختبره فيه آباء الكنيسة المقدسة. فقد ناقض زعم سابيليوس وبدعة اريوس وارتقـة ابوليناريوس وطردهم من الكنيسة الواحدة الرسولية مؤيـداً براهينه بآيات الكتاب الكريم مخلفاً لنا في ذلك آثاراً وحججاً

دامغة اوحاها اليه الروح القدوس. اما نواط الملحد فقد صرعه افرام بسهم صليب سيدنا يسوع المسيح وسيف امانته . ولم يقتصر على ذلك بل سبق فرأى بعين النبوءة ما ستنتجه تلك البدع من المزاعم والاوهام الفاسدة فحصدها حصداً وعزز شروحه ومنظوماته ببراهين صادعة قضت عليها وافحمت مخترعيها . وهكذا وصل هذا ابن الايمان الامين الى ما لم يصل اليه احد قبله .

٢ ـ رجاؤه

« اما رجاؤه بالله عز شأنه واتكاله عليه فقد ايدته النعمة الشاملة له . اذ كان طول حياته يردد مع المرتل : الربّ عزّي ومجني وعليه اتكل قلبي فنُصرت » (مز ٢٧ :٧). ويُردف ذلك بقوله : «الذين يتكلون على الرب هم كجبل صهيون الغير المتزعزع الثابت الى الابد » مز١٢٤ :١). فتغذى ابونا افرام المغبوط بهذا الرجاء واستحقر العالم وما فيه وتشوق الى النعيم السرمدي .

٣ ـ محبته لله تعالى وللقريب

« وشغف افرام بمحبة الله عز وجل حتى تيسر له ان يصرح وقت ارتحاله من هذا العالم الغرور بقوله: «اني لم اشتم احداً قط ولم اخاصم احداً من المؤمنين في حياتي كلها » فيا له لساناً سعيداً امكنه ان يتلفظ بالفاظ لا يستطيع ان يتفوه بمثلها الا الملائكة المقربون . على انكم يا معشر

السامعين مهما استقصيتم البحث عن الناس الفضلاء قلما تشاهدون مثل هذا الاب القديس في اخلاصه الحب لربه ولقريبه . فالمحبة وهي اجل الفضائل واعظمها قد احرزها افرام الجليل ونهض بواجبها اكثر من غيره من الآباء. ونحن لا نذكر ذلك على سبيل المباراة او المقابلة بل نورد لكم انموذجاً من اعمال ابينا مار افرام الالهي بل ابي العالم ومعلّم المسكونة داراً.

٤ ـ عبادته وتبحره في الاسفار المقدسة

« سبقنا فذكرنا عبادة مار افرام حينما تكلمنا عن ايمانه . وقد حذا في عبادته حذو بولس الرسول الذي اختطف الى السماء (٢قور١٢: ٢) واحرز فخراً ابدياً في بيعة الله المقدسة .

« اما تبحره في الكتب الالهية فقد أضرم في قلبه جذوة من الرؤى الروحانية شوّقته الى درس اسفار العهدين القديم والجديد معاً فتصفحها وبحثها واستقصى مضامينها واوضح معانيها متخذاً الروح القدوس نبراساً له ولم يكتف بارتشاف كاس الحكمة الروحانية وتشريبها للمؤمنين بل وقف كذلك على اصول الفلسفة والمنطق واحكمها واستند الى ما عثر عليه فيها من الفوائد وزيف ما حوته من السفسطات. وسدّد تجارته هذه بالعمل والنظر في ميزان الحق والعدل .

٥ ـ طهارته ودموعه

« اما الطهارة فقد زين بها نفسه وجسده كليهما . يؤيدّ ذلك خبر امراة

خبيثة خائنة خدعت زوجها وتطوّحت في بيداء الرذائل فعرف افرام امرها ونصح لها لتعدل عن خطتها العوجاء وظلّ يرشدها بمواعظه وصلواته وزواجره حتى اتعظت واصبحت عفيفة وامينة.

« اما دموعه فيتعذر عليّ الخوض في شرح سكبها المتواصل دون ان تسيل بذكرها دموعي. وفي الحق ان افرام لم يخلُ وقتاً من الاوقات دون تذريف الدموع والبكاء. بل لم تشاهد عيناه ناشفتين اصلاً. فكان يبكي تارة جهراً وطوراً سراً وهو يقول: انما يبكي زلات اقترفها. ولعله حبس احياناً دموعه بزفرات حارة انبثقت من اعماق قلبه. فاذا طالعت يا هذا تصانيفه خصوصاً في التوبة او في اصلاح اخلاق البشر او في التقريظ والمديح الذي يحمل عادة على السرور والجذل استدللت منها حقيقة ما اقوله. اذ انه يتعذّر على كائن من كان من القساة وغليظي الطباع او المنهمكين في الملذات ان لا يتعظ ويذرّف دموع الندم عندما يطالع تصانيف هذا الاب الفاضل او يسمع اقواله. ولقد شوهد مراراً يستسهل كل صعوبة ليلين القلوب الجامدة ويقبل بها الى الرعوى والندامة. طالع مثلاً مقاله في التواضع فتضطر ان تنبذ كلّ عجب وخيلاء وتمقت كل تغطرف وتغطرس. اقرأ مقاله في المحبة فتفرغ الجهود في اقتنائها. تأمل مقاله في العفاف فتبذل وسعك كله في صيانة طهارة نفسك وجسدك معاً. أمعن في منظوماته عن يوم الدينونة فتتصور كانك واقف امام الرب الديان العادل الرهيب فترتدع وتتوب التوبة النصوح. فلقد بلغ هذا الملفان الكبير من وصف ذلك اليوم الرهيب ما لم يبلغه واصفٌ قبله.

٦ - تنقله وسفره الى قيسارية

«وقد أوحى الروح القدوس الى عبده افرام ان يتنقل من بلد الى بلد حبا لفائدة المؤمنين وبنيانهم. فلما امره ان يهجر وطنه نصيبين سارع في السفر الى الرها وجعل يبحث هناك عن رجل تقي يجتني منه ثمرة تفيد خلاصه. واتفق انه شاهد امرأة ذكية تحدق اليه بوقاحة. فنظر اليها القديس شزراً فقالت . ما لك ايها الرجل الحكيم تحدق اليّ ? فقال لها القديس: وانت يا امرأة ما بالك تحدّدين اليّ نظرك ? فقالت له : امـــا انا فاني احدّق بالرجال لاني من الرجل أخذت . اما انت فالخليق بك ان تخفض نظرك في الارض لانك منها جبلت . فاتعظ القديس بهذا الجواب السديد وقرر انه استفاد منه . ومجد الله تعالى الذي ينطق بالحكمة من ليس من اهلها

«ثم ان الروح القدوس الهم افرام الطوباوي ان يسافر الى قيسارية القبادوق ويزور باسيليوس الكبير فم الكنيسة المتكلم بالاراء الذهبية . فامتثل افرام ذلك الالهام وارتحل الى تلك المدينة. وما شاهد باسيليوس حتى جعل يثني عليه ويبدي له عواطف الاجلال والاحترام ولا سيما لانه ابصر بعينه النقية حمامة روحانية جاثمة على كتفه اليمنى توحي اليه اقوال الحكمة وتنقلها من فمه الى المؤمنين السامعين . وقد عرف افرام ان المتكلم هو باسيليوس كما عرف باسيليوس باشارة الحمامة ان زائره هـو افرام السرياني . وتمتع كل منهما برؤية صاحبه وحديثه .

٧ ـ مواظبته على المطالعة والتأليف

« قد جاد السيد المسيح على عبده افرام بوزنات مضاعفة تاجر بها خير تجارة ووزّع ارباحها على المؤمنين. وذكر انه رأى في صبائه كرمة نبتت على لسانه ونمت حتى ملأت الارض وجثمت طيور السماء فوق اغصانها وجعلت تلتقط حبات العنب من عناقيدها. وكانت كلما التقطت منها ازدادت وتوفرت . .

« وذكر شيخ من اهل التقى انه رأى جوقة من الملائكة انحدروا من السماء بيد احدهم طرس كبير مكتوب من ناحيتيه . وجعل الواحد يقول للآخر: لمن هذا الطرس؟ فقال بعضهم فلان وبعضهم فلان. وبعدما ذكروا جماعة من عبيد الله الصالحين قال كبيرهم: لا يستحق هذا الطرس في زماننا الا افرام السرياني . ولما انتبه ذلك الشيخ بكر سحراً الى مغارة افرام وشاهده يكتب شرح سفر التكوين فاخذ الكتاب وانحدر الى المدينة وعرضه على اساتذة المدرسة فساروا اليه واجمعوا على اصطفائه معلماً في مدرستهم (١) .

وظلت ينابيع العلوم تتفجر من ذهن افرام وقلبه تفجراً فياضاً حتى انه سأل الله السخي قائلاً : «خفّف عني يا ربي امواج موهبتك!» اذ كان يشعر بها كأنها لجة تهيج في صدره على المدى دون ان تهدأ . ذلك لوفرة ما كان يخالج قلبه من الخواطر التي يقصر اللسان عن استيعابها فيمزجها

(١) راجع هذا الكتاب : صفحة ٣٧ – ٣٨

بدعاء تتخلله الدموع وعواطف الشكران . ولم يكن يرقد ليلاً الا بضع ساعات يراها ضرورية استجماعاً لقواه وحرصـــاً على حياته مكتفياً باضطجاعه على الحضيض او على الخشن من الفراش .

٨ ـ زهده واتضاعه

«وبلغ مار افرام في زهده ما بلغه الرسل الالهيون . فاذا رام احدٌ ان يجعله قدوة لجميع الرهبان فلن يخطئ . يؤيد ذلك ما ذكره هـــذا القديس عينه في وصيته الاخيرة اذ قال : ان افرام لم يقتن كيساً ولا عصا ولا مزوداً ولا فضة ولا ذهباً ولا غير ذلك ممّا يقتنيه اهل العالم (متى ١٠:٩) فتخلى عن كل ما في الدنيـــا مضارعاً في زهـده الآباء الرسوليين العظام .

« اما تواضعه فكان يبدو بأجلى بيان عندما يتصدّى احد ليمدحه . فكان يتبدل محيّاه ويطرق الى الارض حياء وخجلاً ويتحبّب العرق على جبهته . زد عليه انه عند انصرافه من هـذه الحيـاة الزائلة نهى نهياً باتاً كل من يتعرض لمديحه فقال : لا تنشدوا لي نشيداً ولا تمدحوني ولا تكفنوني بثوب نفيس ولا تدفنوني في ضريح ممتاز فقد عاهدت ربي ان ادفن مع الغرباء لاني غريب في العالم نظير آبائي (مز ٣٨:١٣) .

٩ ـ تعطفه على المحتاجين وتفانيه في خلاص نفوسهم

« واصبح افرام بتعطفه على الفقراء والمحتاجين امثولة حيّـة لكل

احد . فكان يحث المؤمنين ويحضهم بمواعظه ونصائحه ليدمنوا صنع الرحمة حتى غدا تحريضه هذا المتواتر كمفتاح صاغته يد الله القدير فتح به خزائن الاغنياء والمتمولين في اثناء مجاعة عمت اهالي الرها وضواحيها . فكانوا اذا لمحوه او سمعوا الفاظه العذبة شعروا بدافع قوي يسوقهم ليجودوا بيد سخية على الجائعين والمنكوبين ويذخروا لنفوسهم الثواب الجزيل في الملكوت السماوي .

١٠ - تغلبه على ارمونيس (١) ووداعته حين المناظرة

« وسبق ارمونيس الملحد فصنف كتابين حشاهما اضاليله فتمكن افرام من الحصول عليهما والصق اوراقهما بعضها ببعض وردهما اليه . ثم كان ما كان من سخطه وحنقه (٢) .

«وتعود افرام الموادعة واللين والحزم في مناضلته عن الحقائق الايمانية ومثله في ذلك مثل صياد يحمل على اقتناص وحش ضار . اومدبر سفينة يعاند ريحا هوجاء . او طبيب نطاسي يعالج داء عضالا . او جندي صنديد يعارك عدواً قويا عنيدا . هكذا عرفنا وداعته وحزمه حين مكافحته الاراتقة والملحدين .

« ويجدر بنا ان نشبه هذا الملفان الكبير بعين غزيرة صافية تروي

---

(١) في الترجمة العربية ابوليناريس وهو تصحيف ارمونيس (راجع هذا الكتاب صفحة ٥٣ - ٥٤)

(٢) راجع هذا الكتاب : فصل ١٤ صفحة ٥٢ - ٥٣

شاربها وتخصب ما تسقيه من الاراضي . او حديقة جميلة الازهار يانعة الثمار زكية الرائحة . او سماء مدبجة بالكواكب . او جنة عدن لا سبيل الى الحية الخبيثة ان تطأها . هكذا لاحت لنا نفس هذا الملفان الكبيرة الشهمة .

١١ — اقتداؤه بالاباء الاولين

« ودرس مار افرام سير الاباء الاولين درسا كافيا وافيا وافرغ الوسع في الاقتداء بهم والنسج على منوالهم . فماثل هابيل بتقريبه نفسه ذبيحة للآب الازلي . وضارع احنوخ برجائه ونوحا بنجاته من الطوفان العام وابرهيم بايمانه واسحق بطاعته ويعقوب برؤيته سلم الاسرار الالهية وادراكه غوامضها . وشابه يوسف بعفافه وتوزيعه ذخيرة التعاليم الخلاصية على المؤمنين صغارا وكبارا . وحاكى موسى بانقاذه المسيحيين من بحر الطغيان ومن عماليق الاراتقة . ويشوع بن نون بفتحه ايدي الاغنياء للبذل والعطاء . واحتذى مثال سموئيل بخدمته لله عز وجل منذ صباه وضاهى ايليا بتقريعه كهنة البعل وصعوده الى السماء بمركبة من الفضائل وشابه اليشاع بقبوله روحا مضاعفة . وماثل الانبياء بوحيهم ونبوآتهم واقتدى بيوحنا المعمذان في كرازته وحثه على التوبة والاعتراف بالخطايا وسلك سلوك بولس الرسول بصبره على المحن وسعيه المتواصل في سبيل التبشير . وبالجملة فقد ملأ افرام الملفان ارجاء المعمورة باعماله المبرورة .

١٢ — انتقاله الى دار البقاء

« ولما دنا أجل هذا القديس وانصرافه الى النعيم السماوي توسل الى زائريه الا يدرجوا جثمانه في كفن : واذا انتوى احدهم ان يقـــدم له شيئاً فليقدمه للفقراء والمعوزين. واتفق ان احد وجهاء الرها اعد لتكفينه ثوباً فاخراً ثم عدل عن ايجاز مـــا وعد فاعترته فوراً نوبة عصبية وشعر القديس بما جرى فصلى عليه وشفاه ثم نصحه ان يقدم الثمن للفقراء فامتثل النصيحة . وبعد هـــذا انتقلت نفس ابينا المغبوط الى مينا الملكوت وانضمت الى مصف الابرار القديسين تتقدمها فضائله السامية وفي طليعتها المحبة والتواضع فالايمان فسائر مناقبه الجميلة ... » .

وختم القديس غريغوريوس تقريظه هذا البديع بذكر ما حدث للجنديّ المسيحيّ مثلما نقلناه عنه في الفصل السابق ثم ختم خطابه بقوله :

« هذا لك منّا يا افضل الآباء ومعلّم المسكونة . فاعذرنا ان تجاسرنا واهديناك هديّة لا تفي باستحقاقك. لاننا لم نقدم على تقريظك الا لمنفعة المؤمنين كي يقتدوا باعمالك الصالحة . فان كنّا قد نهضنا بالواجب فلك ينبغي الشكر . وان قصّرنا فانّ سمو فضائلك هـو السبب في ذلك اذ كنت حين حياتك تخفي اعمالك الحسنة وتنهى عن التعرض لمدح مناقبك. ومهما يكن فنحن قد أدّينا ديننا قدر طاقتنا واثقين بانك تتقبل كلامنا تقبل الوالدين لثغة طفلهما . وعندما تقف امام المذبح السماويّ وتخدم الثالوث الاقدس اذكر جماعتنا واسأل الصفح عن زلاتنا لنبلغ النعيم

السرمديّ يسوع المسيح ربنا الذي له المجد مع ابيه الازلي وروحه القدوس الآن وكلّ اوان والى دهر الداهرين آمين ».

٢ـ منظومة مار يعقوب اسقف سروج في وصف ملفنة ابينا مار افرام

نظم مار يعقوب اسقف سروج (٤٥١–٥٢١) الملفان قصيدة عصماء في تقريظ أبينا مار افرام خصوصاً من الناحية العلمية تحسب من روائع قصائده وبدائعها . سبكها كمألوفه في سائر قصائده سبكاً محكماً وافرغها في قالب من البلاغة يأخذ بمجامع القلب ويطرب السمع ويدعو الى تمجيد الروح القدوس الذي جاد بمواهب فياضة على هذين الملفانين السريانيين العظيمين .

على ان المتبحر في قصائد مار يعقوب الوافرة العدد يعثر في تضاعيفها على معان جمة وجمل شتى اقتضبها ناظمها الجليل من قصائد مار افرام الملفان الكبير وشروحه واتضح له جلياً ان ما ادرجه في هذه القصيدة البليغة المحكمة انما ادرجه عن اطلاع واسع وعلم راسخ فقال ما خلاصته:

« راعوني اسماعكم ايها المؤمنون لاحدّثكم عن مار افرام الكبير محامي الدين القويم الذي ناضل عن حقائقه بجرأة نادرة المثال . فكان ينبوعاً فياضاً انهمرت مياهه المباركة في أرضنا وأروت غابات ايماننا . افرام خمرة اقتبست لونها وريّاها من ذبيح الجلجلة واسكرت بشرابها

الرجال والنساء ودفعتهم الى الترنيم والتسبيح . افرام منشىءُ نغمات شهية أثلجت صدور المؤمنين كافة . افرام فيلسوف الاهيّ صنع اولا ثم علّم سامعيه. افرام أكار نشيط بدأ عمله وكمّله مبرهناً بكلامه عن عمله برهاناً صادعاً. افرام مهندس بارع أسس بنيانه على صخرة الحق الراسخة ورصّع ادماصه بالذهب والحجارة الكريمة . افرام معلم الدين القويم لقّن تلامذته ان ينسجوا على منواله . افرام كاتب بسيط احتذى في كتاباته حذو آبائنا الرسل الاعلام فافاد جميع سامعيه وماثل الحيّة بحكمته والحمامة بوداعته كما أمره يسوع المخلص (متى ١٠:١٦) . افرام مؤلف فصيح بليغ فاق أيمة اليونان بتصانيفه اذ حصر في عبارات وجيزة معاني كثيرة . افرام قيثار الاهيّ انطوت موسيقاه على ترانيم رخيمة عجيبة . افرام ابنٌ للرسل العظام وطّد غرسات الدين الحقّ فتعذر على الرياح والعواصف نسفها واقتلاعها . افرام بحرٌ خضمّ فاض قلبه بقصائد جمة لا يحصيها عدٌّ ولا يحصرها حدٌّ !

« اليه اشار داود النبيّ اذ قال بروح القدس : « افرام معزّز راسي» (مز ٥٩:٩) . فقد عزّز افرام العلوم والمعارف الحقانية وزيّف المزاعم السفسطية . شدّد سواعد العابدات والعرائس والعذارى والفتيات ودفعهن ليتكلمن وينشدن بعدما كانت افواههنّ صامتة ساكتة . واصبحن في عهده وعلى يده يترنّمن باهازيج محكمة حتى أُطلق عليهن في الاندية لقب معلمات حاذقات . لله مشهدٌ مبتكرٌ ! نساءٌ يتحدّثن بآيات الانجيل الكريم

ويتفهمّن اقوال الرسل والمبشرين . لله عالم جديد تساوى فيه الرجال والنساء معاً وانشأ مار افرام الكبير لكل من الصنفين كنارة فاندفع هؤلاء واولئك يسبّحون الله العليّ بالمناوبة !

« سبق موسى الكليم فدفع الى مريم اخته دفاً لتنقره محبورة مسرورة . وتبعتها النساء كذلك في دفوف و كنارات يهتفن قاطبة ويقلن : سبحوا الرب لانه قد تعظم بالمجد (خروج ١٥ : ٢٠و٢١) . وعلى مثال موسى انتقى افرام المغبوط شابات سريانيات لقنهن الاناشيد الحلوة ليهزجن في غنائهن ويسبحن الرب العليّ . موسى امر العذارى ان يتبسطن في التسبيح والترنيم لله الجبار وافرام لقّن النساء اهازيج مطربة شجية وتسابيح الاهيّة . نجت البنات العبرانيات من فرعون وهنّ يصفقن وينشدن تسبحة موسى اما البنات النصرانيات فاخذن يسبحن الفادي العظيم بالاغاني الافرامية . غير ان اغاني هؤلاء افضل من اغاني اولئك. كما ان خلاص المسيحيات من ربق ابليس الرجيم اعظم من نجاة العبرانيات من عبودية فرعون الطاغي .

« ففي نجاة العبرانيين انفلق بحر القلزم وطفق الاسرائيليون ينقرون بالدفوف مبتهجين . وفي خلاص المسيحيين غطس اولاد الكنيسة في مياه المعمودية وجعلوا يتغنون بالقصائد الافراميّة . قولوا لي اذاً يا معشر السامعين ايّ مجدٍ افضل ؟ أمجد العبرانيّين ام مجد المسيحيّين ؟

« لاحظ افرام الذكيّ الفؤاد العذارى والنساء ساكتات صامتات لا يتشاغلن بتسابيح الله العليّ فقضى بحكمته السديدة ان لا بدّ من ان

يتلقن الاهازيج ويتغنّين بها اسوة بالفتيات الاسرائيليات ويسبحن الرب المجيد . لله ما اجمله منتصباً بينهن يثير في قلوبهن عوامل الحماسة ليرددن ما ينشده هو ! فكأنه نسر بين حمامات وديعات يلقي اليهن تسابيح بانغام رخيمة . او حجل بين حجلات وضيعات يلقنهن ترانيم حلوة لطيفة او بلبل صداح يفضي باهازيجه العذبة الى سنونوات عفيفات ليغردن باصواتهن الشجية وهو يقول لهن : يا ايتها الفتيات المسيحيات أسرعن والتقفن تسبيحاً جديداً لمن فداكن وانقذكن من غواية اجدادكن واعتقكن من العبادة الوثنية . ما بالكن لا تتلقن التسابيح وتنشدن مع اخوتكن بصوت جهوري وقد توشحتن نظيرهم بحلة البهاء من مياه العماد وارتشفتن مثلهم مياه الحياة من كاس الخلاص ؟

اخطرن ببالكن ايتها العذارى والنساء العابدات والفتيات الورعات ان العذراء مريم اختكن قد فتحت افواهكن بعدما سدتها حواء جدتكن واطلقت لكن الحرية لتنشدن وتسبّحن الله خالقكن . فحواء اصمتتكن واسكتتكن والعذراء اطلقت السنتكن لتسجـن وتغردن . حواء ابكمتكن ومريم العذراء فتحت افواهكن لتترنمن باصوات اوشعنا . حواء ذللتكن والعذراء عززتكن ونشطتكن لتهللن وتسبحن . حجبت خطيئة حواء وجوهكن ونزعت العذراء القناع عن اعينكن . اذاً دون حياء وخجل سبّحن ومجدن الرب الذي منحكن الدالة بسر فدائه .

«على ان افرام اندفع اندفاع البطل الشجاع ليكافح في معمعة الغوائل والاهوال . ويتلافى ما يهدد كنيسة السيد المسيح من الاخطار . فاحدث

صفًّا مبتكرا لقّنه وعلّمه علما صحيحا سديدا . ألا مرحبا بقائد مغوار استعان بالنساء ليعارك ابليس الطاغية الذي حاول ان يقضي على تعليم الرسل ويستنبط تعليما حديثا محشواً ترهات واضاليل ليغوي المؤمنين الامناء دخل اخزاه الله تعالى مدينة ادي الرسول ليجدد فيهـا عبادة الاصنام والكفر. وتذرّع بكل حيلة ليسد فم الكنيسة المصطفاة . فاقام من الناحية الواحدة احزاب مرقيون ومن الناحية الثانية اعوان ماني . اتخذ جواسيس من اتباع اللوديّين واصحاب سابيليوس . ونظم شيعة من زعماء برديصان الخبيث وضم اليهم احزاباً غيرها بلوغاً الى مأربه الفاسد. وتشم يصوب سهام طغيانه ليصيب قلوب المؤمنين علّه يثبطهم عن السير في محجة الرسل الابرار . ولقد طالما حرّف كلماته وبدّل تعاليمه لا يضمر في دسائسه برمتها الا اغواء البشر وهلاكهم ...

« ولعلكم يا معشر السامعين تعترضون وتقولون اني شردت عن موضوع خطابي في تقريظ مناقب ابينا مار افرام وتطرقت الى ذكر مزاعم الملحدين فاقول : اني لم اتوخ سرد ما سردته الا لابرهن لكم عن كفاح افرام البطل وبسالته فـارجو ان لا تضجروا يا تلاميذ افرام الصفي اذا اسهبت في الكلام . واعلموا ان التعليم المسيحي هو مصدر الخير والحياة وينبوع الرجاء والخلاص . وهو كنز مخفي يغني اولاد الكنيسة المجيدة ...

« فكما ان افرام المغبوط لم يضجر ولم يعتره الكلال في تعليمه وتثقيفه : هكذا يلزمكم انتم الا تضجروا اذا توسعت في خطابي عنه .

وعلى اقراري بعجزي وقصر باعي عن استقصاء اخباره وصنائعه العجيبة الغريبة فلا مندوحة لي عن المجاهرة بانه هو الذي عزز الكنيسة المقدسة بمعارفه واضاف مجداً الى الرب العلي غير المفتقر الى المجد . واصبح مثل نيسان ثان ابهج كنائسنا باريج ترانيمه وزنابق اناشيده . وغدا بمثابة صائغ ماهر سبك للدين القويم سلاحاً بتاراً دفعه الى المؤمنين عامتهم وخاصتهم ليصارعوا عدو الخير والصلاح. وانحدر الى ساحة الوغى في نساءٍ ضعيفات حقيرات فأحرز غار الانتصار وتغلب على أشياع التعاليم الزائفة . أصبح فم افرام المبارك بمثابة قوس وغدت كلماته نظير سهام . وانشأ لسلاحه هذا نغمات اتخذها كنشّاب رشق به ابليس الخناس واعوانه الارجاس. وسحق كلّ ارانقة زمانه . اضحى افرام تاجاً للامة الآرامية السريانية جمعاء وعلى يده وبوساطته أحرزت شتى المحاسن الروحانية . غدا افرام أفصح علماء السريان وانبغهم دون جدال وعنه اقتبسوا ما اقتبسوا من العلوم والمعارف والفنون .

« ولم يقتصر مار افرام البار على التعليم والتثقيف بل زيّن نفسه بأجمل الخلال وأفضل الخصال . فلم يكتف بان يعلم بكلامه بل علم كذلك بمثله وسيرته المتلالئة باشعة القداسة والكمال . هذا ايمانه الوثيق فهو يبرهن على مزاياه النادرة . وهذا رجاؤه الوطيد فهو يضربني ضرب الاصبع للقيثارة كي اترنم بوصفه واتغنّى بنشيده واجاهر بحسناته الوافرة .

وما مثلي في ذلك الا مثل عامل للحق يجاهد في اذاعة مناقب ملفانٍ كبير وينشرها ما بين تلامذته الرهبان المحبوبين وابنائه الاعزاء الصالحين.

« دعوني اذاً أيها السامعون الكرام استرسل في وصف افرام المجاهد الشجاع الذي استمرّ يكافح كفاحاً متواصلاً في ميدان التعليم والتهذيب ويحارب حرباً عنيفة في المعركة الكبرى . فقد تعرّى عن العالم وعن موبقاته ولم يدع قدميه تتعرقلان في اشراكه . استمرّ كجندي صنديد غلت في صدره حميّة الدين القويم فهبط حومة القتال وعارك معاركة الابطال في مسارح النضال. انحدر الى الساحة مضرجاً بدماء ابن الله الزكية فتعذر على الخصوم الفتك به او التغلب عليه . حاول زعماء الاراتقة ان يجتذبوه اليهم فعاندهم وناهضهم وتهدّدهم بنشاط ما بعده نشاط . صوّبوا نحوه نبال الكذب والبهتان فحطمها كالليث الصنديد ولم يفشل في الجهاد . برزت منظوماته بروز الجحافل المكتظة لمصارعة الطغاة فاعتقلتهم وبطشت بهم بطشاً . ومهما دسّه الملحدون الكفرة من الوساوس الشيطانية فقد تعذر عليهم إخماد جذوات تعاليمه المضطرمة . ولقد نبحهم نبح الجروء على الذئاب الهاجمة على الاغنام وانقذ ابناء البيعة المجيدة ووقاهم خبث العدوّ ودهاءه . ثار عليه الاراتقة ثورة الحيوانات الضارية فوثب اليهم فوراً ومزق شملهم بصرخاته القوية الشديدة.

« والخلاصة ان مار افرام المغبوط ظلّ ساهراً ساهداً ولم يدع

اللصوص تسلبه درّة ايمانه الثمينة. ظلّ متيقظاً حريصاً يواظب على الترنيم بقيثارته حتى كشف الذئاب الخبيثة عن الرعية الامينة التي افتداها ابن الله العزيز بدمه الثمين . واحرز الغلبة التامة على اعداء الدين القويم المبين » (١)

هذا هو مار افرام الملفان السرياني المجيد وهذه هي مناقبه ومآثره . وهذا هو جهاده وكفاحه بالقول والعمل والمثال في سبيل العقائد الكاثوليكية ومناهضة المزاعم الهرطوقية .

---

(١) اخبار الشهداء والقديسين : طبع الاب بولس بيجان ٣: ٦٦٥- ٦٧٩

القسم الثالث

مار افرام و كنائس الشرق

ولا سيما الكنيسة السريانية الكاثوليكية

الفصل الاول

مار افرام والكنيسة السريانية المارونية

تفرّغ فريق من جهابذة السريان الموارنة تلبية لاحبار رومية العظام فدرسوا تصانيف ابينا مار افرام الملفان درساً مشبعاً . ونشروا الشيء الكثير منها بالطبع ونقلوه الى اللغة اللاتينية تعميماً للفائدة . اولهم الاب بطرس مبارك اليسوعي الماروني (١٦٦٠ – ١٧٤٢) . ثانيهم السيد يوسف شمعون السمعاني العلامة الشهير (١٦٨٧ – ١٧٦٨) ثالثهم المطران اسطفان عواد الجليل (١٧٠٩ – ١٧٨٢) . ونضم اليهم الاب بطرس المطوشي (+١٦٢٥) الذي نشر عام ١٦٢٢ بعض قصائد مار افرام.

ولم يغمض البطريرك اسطفان الدويهي (١٦٧٠ - ١٧٠٤) العلامة الكبير عن ذكر ابينا مار افرام المغبوط في تصانيفه الثمينة . فقد صرح من الجملة بان ذلك الملفان السرياني الجليل صنف ثلاث عشرة كرة من ابيات الشعر فاستوجب من الرب مجد النعيم ومن البيعة اكاليل المدح(١) وكتب كذلك : «ان مار افرام كان يحرّض الاخوة الرهبان على المسير معه في البراري ليتأملوا بعقولهم ويعاينوا بابصارهم المحابس التي سكنها الآباء الفاضلون . والمغاور التي صلوا وتوحدوا فيها . والاراضي التي كان رقودهم عليها . والمسوح التي كانوا يلبسونها . والصخور التي كانوا يتوسدونها . والسواقي التي كانوا يستقون منها . والاشجار التي كانوا يغتذون بثمرها . والسلاسل التي كانوا يقيدون بها اجسادهم» (٢) .

ونسج البطريرك يوسف اسطفان (١٧٦٦–١٧٩٣) المغبوط على منوال الآباء الاقدمين فانشأ عدة صلوات قانونية في جملتها صلوات قانونية لتذكار ابينا القديس افرام السرياني (٣) . وحتم على الاكليرس ان يتلوها يوم تذكاره في ٢٨ كانون الثاني . وكان هذا البطريرك الجليل متضلعاً كلّ التضلع من اللغة السريانية حريصا الحرص كله على التراث الابوي الثمين.

ويا ليت ارواح هؤلاء الجهابذة النبلاء ظلت متغلغلة في مَن خلفهم من العلماء والكهنة . فلو تفرغوا نظيرهم لمثل هذا المشروع المجيد المبارك

---

(١) منارة الاقداس ٢ : ٤٥٦ (٢) منارة الاقداس ٢ : ٤١٧

(٣) الجامع المفصل : المطران يوسف الدبس : عدد ٨٦ صفحة ٤٥٦

لظلت لغتهم السريانية الابوية الى هذا العهد لغة اللبنانيين عامة مثلما كانت لغة السلف الصالح في الاحقاب الخالية .

وقد انطوت الاشحيمة المارونيـة على العدد العديد من القصـائد والبواعيث الافرامية انتقاها السلف الصالح من تصانيف مـار افرام وادرجها في كتاب الفرض المشار اليه .

وابتنى السريان الموارنة في الجبل اللبناني بعض الكنائس تيمّناً باسم مار افرام المغبوط خاصة في كسروان وفي شمال لبنان . ويسرنا انهم اطلقوا في عهدنا اسم مار افرام على الاكليريكية الاسبانية في سلامنكا . وقد جاد بها على الطائفة المارونية الجنرال فرنكو المعظم . وهي سائرة سيراً ميموناً مباركاً .

الفصل الثاني

مار افرام والكنيسة الكلدانية

ذكر عبد يشوع الصوباوي مطران نصيبين (١٢٩٠ — ١٣١٨) في قصيدة عامرة احصى بها اسماء المؤلفين السريانيين وتصانيفهم ما تعريبه : « صنف افرام الكبير نبي السريان شروحاً لاسفار التكوين والخروج والاحبار ويشوع بن نون والقضاة وسفري صموئيل وسفري الملوك والمزامير . ونبوآت اشعيا وارميا وحزقيال ودانيال والانبياء الاثني عشر . وصنف كذلك كتباً ورسائل في عقائد الكنيسة . ونظم اشعاراً

وقصائد وتسابيح واناشيد في الموتى. وانشأ اراجيز وفقا للحروف الابجدية. وجدالاً مع اليهود وتفنيذاً لبدعة سيمون وبرديصان ومرقيون وهوفيطس وتزييفاً لكفر يوليانس الجاحد » (١) .

وقد ورد في التاريخ السعردي ان مار افرام انشأ ليترجية قداس استعملها السريان الملكيون. وكان السريان النساطرة يستعملونها كذلك في نصيبين حتى عهد يشوع يهب الحديابي الثالث الجاثليق (٦٥٠ — ٦٦٠) فالغى استعمالها واقتصر على ليترجيات ثلاث فقط يتداولها الكلدان حتى اليوم (٢)

وانطوت الصلوات القانونية والطقوس البيعية الكلدانية على الشيء الكثير من منظومات مار افرام الملفان وتسابيحه واناشيده ومواعظه وقصائده. نذكر منها طقس الموتى برمته ومنظومات تتلى على مدار السنة. واغلب تسابيح المنبر وبواعيث نينوى وترانيم الآحاد السابقة واللاحقة الخ.

وقد كتب مار سهدونا في مؤلفه « كمال السيرة الرهبانية » . «ان الله عز وجل اصطفى القديس مار افرام الملفان الكبير نبياً قلده امر بيعته (٣) . ووجه حننيشوع بن سرشويه اسقف الحيرة (+ ٩٠٠) وصفاً

---

(١) المكتبة الشرقية : للعلامة يوسف السمعاني : مجلد ٣

(٢) تاريخ كلدو وآثور : للسيد ادي شير مطران سعرد الكلداني : صفحة ٤٧

(٣) سهدونا : طبع الاب بيجان : صفحة ٢٥٨

جميلاً بليغاً الى ابينا مار افرام قال : «يتعذر على كائن من كان ان يحصي تصانيفك الجمة يا بحر العلوم. ولا يتيسر لاحد ان يتبسط في وصف اقوالك الجميلة يا معدن الكنوز . فاذا ذكر احد اسمك في المحافل وجب على السامعين قاطبة ان يطرقوا صامتين. اجل فلتصمت الالسنة كلها وليتكلم مار افرام وحده! فليسكت الخطباء قاطبة متحيرين وليخطب مار افرام وحده ليطرب السامعين ! (١) .

ومما كتبه البطريرك جرجس عبد يشوع خياط (١٨٩٤ – ١٨٩٩) المغبوط عن ابينا مار افرام الملفان قوله : « كان مار افرام متزهداً وخليلاً لباسيليوس . سيم شماساً للرها وقاوم اضاليل مرقيون وبرديصان واستأهل ان يعد بين علماء الكنيسة الاقدمين ويلقب بالعلامة الاعظم . والف ونظم كتباً جمة بلغته السريانية وهي عين الكلدانية التي كانت في بلاد المشرق » (٢)

ونشر السيد ايليا ملوس مطران مـــاردين الكلداني ثلاث قصائد افرامية .

ونشر كذلك الاب يعقوب اوجين منا في الجزء الاول من كتابه « المروج النزهية في آداب اللغة الارامية » خلاصة اخبار مار افرام من الناحية العلمية .

وتقيم الكنيسة الكلدانية تذكاراً لمار افرام الملفان في جمعة اسبوع باعوث نينوى .

---

(١) التاريخ السعردي ١ : ١٨٥ (٢) الفصول الانسية في التواريخ القدسية .

القديس غريغوريوس اسقف نيصص

الفصل الثالث

مار افرام والكنيسة الرومية الملكية الكاثوليكية

سبق البطريرك مكسيموس الثالث مظلوم (١٨٣٣–١٨٥٥) الطيب الاثر فنشر في كتابه « الكنز الثمين » خلاصة اخبار ابينا مـــار افرام

السرياني . ونسج على منواله السيد ميخائيل عساف متروبوليط بترا وفيلدلفيا وشرق الاردن الجزيل الوقار فاتحفنا بسيرة ابينا مار افرام في كتابه «سنكسار الاباء القديسين الذين تكرمهم كنيسة الروم الملكيين الكاثوليكية» ونشره في مطبعة الآباء المرسلين البولسيين في حريصا. وقد طالعنا هذا السنكسار البديع المفيد بمنتهى العذوبة واقتطفنا منه بعض شذرات لمحنا اليها في كتابنا هذا .

وذكر المؤلف المشار اليه ان مار افرام الملفان صنف كتاباً عنوانه « الاعترافات » . ولعل اصل هذا الكتاب السرياني مفقود . ومحفوظ بالنص اليوناني مثلما حفظت في النص اليوناني عينه تصانيف افرامية جمة ضاع اصلها السرياني . ومما صرح به المؤلف ذاته في سنكساره : « ان مار افرام هو الملفان الوحيد بين ملافنة الكنيسة الذي تغنى بالاسرار الالهية غناء بديعاً . وقضى قضاء مبرمـا على جاحدي الحقائق الدينية . واضحى إماما للشعراء الذين كتبوا في اللغة السريانية القديمة البديعة نظير ططيانس الشهير صاحب كتاب الدياطسرون » (١)

وما عدا كتاب «الاعترافات» فقد نظم مار افرام «قوانين الرهبان» ممتازة اشار اليها كتاب الفرض الملكي كما سترى . والمع اليها كذلك

---

(١) سبقنا فاثبتنا في مقالنا «الملكيون : بطريركيتهم الانطاكية ولغتهم الوطنية والطقسية» ان ططيان نظم انجيله اول بدء في السريانية ثم نقل الى اليونانية (المشرق ٣٤ : ١٩٣٦ : ٥١٣) .

البابا بندكتس الخامس عشر المذكور في الخير في براءته البديعة بشأن اطلاق صفة «ملفان» على ابينا مار افرام . وسيأتي ذكرها . غير ان هذه القوانين قد ضاع كذلك نصها السرياني مثلما ضاع الشيء الكثير من تصانيف هذا الملفان العجيب .

ولقد ساد الاعتقاد في يومنا ان الكنيسة الرومية الملكية المنتمية الى البطريركية الانطاكية ظلت محافظة على استعمال اللغة السريانية الابوية في طقوسها وصلواتها حتى القرن السابع عشر. وذكر بعضهم انها استعملت ليترجية منسوبة الى ابينا مار افرام الملفان (١) قبل اتخاذها ليترجيتي مار باسيليوس ومار يوحنا فم الذهب في عهد بطريركية ثاودرس بلسمون (+ ١١٩٥) الذي نقلهما عن اليونانية الى السريانية واضطر الكهنة ان يستعملوهما تحبباً او تقرباً من الكنيسة البوزنطية .

وما عدا ليترجية القداس فقد حافظت الكنيسة الانطاكية الملكية على استعمال الترجمة البسيطة السريانية دون ما سواها . واقدم مخطوطة من هذا النوع مصونة في مكتبة لندن تحت الرقم ١٤٤٨٨ منسوخة عام ٨٢٣م في انطاكية ذاتها . وقس عليها مخطوطة المكتبة الواتكانية الموسومة بالرقم ٢١ والمنسوخة في السنة ١٠٤٢ م في انطاكية كذلك .

ومـا برحت مخطوطات السريان الملكيين السريانية الطقسية تزين اشهر المكتبات في الفاتيكان ولندن وباريس واوكسفرد وبرلين وكمبردج.

---

(٢) Patralogia Orientalis, 4,1907 .P. 295

ومنها نسخ في دير الشرفة وبكركي وبيروت ودمشق وحلب الخ وقد احصينا منها خمسمائة مخطوطة بنيف .

ولا حاجة الى التصريح بان البطريرك افتيموس الثاني (١٦٣٤-١٦٣٥) المشهور بابن كرمة يعدّ في طليعة الذين باشروا نقل الطقوس الرومية الى العربية . وجاهر البطريرك مقار الثالث (١٦٤٧ - ١٦٧٢) بقوله : «اننا نستعمل اللسان اليوناني والسرياني في كنائسنا وفي منازلنا» (١) .

وحسبنا برهاناً على انتشار اللغة السريانية في الكنيسة الملكية ما احرقته يد الجهل من المخطوطات السريانية الملكية في دير صيدنايا (٢) ونضيف الى ما سبق ان رهبان ماريوحنا لما انشأوا رهبنتهم في الخنشارة (شوير - لبنان) في صدر القرن الثامن عشر مارسوا اول بدء صلواتهم ورتبهم القانونية باللغة السريانية . وظلوا مدة على هذا النمط (٣) حتى اخذوا يمارسونها باللغة العربية لا باليونانية . وقس عليهم رهبان دير المخلص (٤) .

وظلت الكنيسة الرومية الملكية محافظة على ولائها ووفائها للقديس افرام الملفان تترنم باناشيده السريانية وتفيض خصوصاً في وصف نبوغه

---

(١) المشرق ٧ : ١٩٠٤ : ٨٠٣

(٢) خزائن الكتب في دمشق وضواحيها : تأليف البحاثة حبيب زيات المدقق صفحة ١١٧ و ١١٨

(٣) المشرق ٣ : ١٩٠٠ : ٣٦٠ و ٧١٨ و ٢٨ : ١٩٣٠ : ٥٨٢

(٤) المشرق ٣٦ : ١٩٣٨ : ٤٦٨ ومخطوطتا المكتبة الواتكانية ٣٢٩ و ٣٥١

وعبقريته . وقد طالعنا من هذا القبيل مخطوطة سريانية ملكية يرتقي عمرها الى القرن الثالث عشر . وهي مصونة في مكتبة مطرانية حلب السريانية انطوت على ما يتلوه الاكليرس في صلاته القانونية يوم تذكار ابينا مار افرام في ٢٨ كانون الثاني . وهذا نصه مع ترجمته :

ܢܚܐ ܦܐܐ ܠܡܫܡܠܝܘܬܐ
ܚܣܝܢܐ : ܐܬܚܙܝܬ ܒܗ ܟܪܥܝ
ܐܘܝܠ ܘܡܫܡܠܝܐ : ܘܣܪܛ
ܘܟܬܒ ܘܡܠܦ ܡܫܒܒܢܐ
ܣܘܪܝܝܐ ܘܥܠ ܠܘܚܝܐ
ܕܠܒܘܬܐ ܪܫܡ ܠܡܫܬܡܥܘ
ܢܡܘܣܐ ܪܘܚܢܝܐ ܘܡܦܪܓܝܐ...

لاح لسانك ايها المجيد
الفضيل نظير يراع جدير
بالتأليف السديد . يسطر
ويؤلف ويعلم اللغة السريانية
ويحفر على الواح القلوب
وجوب التقيد بقوانين
روحانية مبهجة ...

ܫܡܥ ܢܡܘܣܐ ܦܠܚܝܐ
ܒܟܠ ܒܢܘܬܐ ܐܬܦܫܛ ܐܘ
ܡܠܦܢܐ ܒܟܠ ܘܡܫܒܚܐ
ܡܪܘܡܐ...

اشتهرت ايها الملفان
النابغة المستحق كل ثناء
بوضع سُنن ممتازة لجميع
الرهبان ...

ܐܝܟ ܐܠܗܝܬ ܥܒܝܕܐ
ܗܘ ܫܘܒܚܐ : ܟܕ ܒܥܡ̈ܠܐ
ܟܠܗ ܡܥܠܝܬܐ . ܐܦ ܚܦܝܛܘܬܟ
ܕܥܡ ܚܒܝܒܐ ܒܣܝܠܝܘܣ :
ܕܚܟܝܡ ܗܘ ܚܒܝܒܟ : ܗܘ
ܕܒܗ ܐܬܚܡ ܗܘܝܬ . ܐܬܕܟܪ
ܠܕܘܟܪܢܟ ܡܫܡܠܝܢ
ܘܡܥܕܝܢ ܠܗ ܐܘ ܡܪܝ
ܐܦܪܝܡ .

لقد وشحتك اتعابك
الجليلة مجداً الاهياً .
وتجلت همتك مع همة
صديقك باسيليوس الحكيم
الذي شُغفت بحبته .
فاذكر يا مار افرام الذين
يكملون تذكارك
ويحتفلون به .

ܐܒܘܢ ܩܕܝܫܐ ܐܦܪܝܡ .
ܛܝܒܘܬܐ ܐܠܗܝܬܐ ܒܟ ܫܪܬ
ܫܡܝܥܐ ܗܘܝܬ : ܟܕ ܒܕܘܒܪ̈ܝܟ
ܡܫܒܚܐ ܘܪܡܐ ܘܡܝܩܪܐ .
ܡܠܦܢܐ ܟܠܗ ܚܬܝܬܐ

فيك استقرت النعمة
الالهية يا ابانا القديس افرام
واصبحت مشهوراً بسيرتك
الحميدة السامية المجيدة .
وغدوت معلماً مدققاً

ܐܬܡܠܝܬ ܘܐܬܕܒܪܬ ܘܐܬܩܪܒܬ
ܣܘܟܠܐ. ܟܕ ܡܟܣܝܐ ܐܝܬ
ܘܡܢܟ ܐܝܬ ܒܡܫܡܠܝܐ
ܫܘܘܕܝܐ. ܐܠܐ ܐܦܝܣ ܘܠܐ ܡܟܠܐ:
ܕܢܣܒ ܛܝܒܘܬܟ ܠܢܦ̈ܫܬܐ
ܕܟܠܢ ܀

لاسرار الايمان القويم . مبرهناً وملقناً ذلك بعبارة سريانية . فابتهل على المدى كي تشمل الرحمة نفوسنا جميعاً .·.

ويعدّد الاكليرس الرومي الملكي في صلاة السبت من اسبوع الجبن جمهور الاباء القديسين في جملتهم اسقف انطاكية بابولا العجيب في الرعاة واشيلا زهر البرية . واسحق واوثل واسيا والشيخ يوليان وابراهيم ومار افرام العظيم الملهم من الله والمجاهد في الطهارة والمفعم روحاً الاهياً (١) .

ثم ان الاكليرس الرومي الملكي يتلو كذلك سرا طبقا للطقس البيزنطي ايام الصوم الاربعيني في ساعات الفرض القانوني كلها : صلاة خشوعية من تصانيف ابينا مار افرام المغبوط ويردف كلا منها بثلاث مطانيات كبيرة .

---

(١) التريودي : مخطوطة بكركي السريانية : رقم ١٤٩

ومن اشهر طروباريات الطقس البيزنطي والملكي الاساسي وابدعها طروبارية العذراء المجيدة وهي : « بواجب الاستئهال حقا نغبط والدة الله ... » ينشدها اليونان والملكيون بنغمات شتى في القداس والمديح والبركليسي والتطواف ولا سيما يوم جمعة الآلام العظيمة . وهي قسمان الاول « بواجب الاستئهال حقا نغبط والدة الاله الدائمة الطوبى البريئة من العيوب ام الاهنا » وهذا اصله يوناني . اما القسم الثاني وهو : « يا من هي اكرم من الشاروبيم وارفع سموا من جميع الطغمات السماوية » فهو مقتضب من نشيد مار افرام الملفان السرياني على ما قرر العلامة جورج بابادوبولس اذ صرح في كتابه « الترانيم الكنسية » يقول : « ان القديس قزما حذا في تأليفه حذو القديس افرام في نشيده » (١)

وعن مار افرام نقل تلميذه مار اسحق فكتب في ميمره عن بشارة العذراء يقول : يا من لا ترد شفاعتها . ولا تمنع طلباتها : القريبة من اللاهوت الازلي الثالوث العنصري . الفائقة العلو على المواكب الشاروبيمية العالية السمو على الصفوف الساروفيمية لننال بذلك مدة اقامتنا في هذا العالم الزائل : المعونة على الاعمال الصالحة والتخلص من الاعمال الطالحة » (٢).

---

(١) المشرق ٣١ : ١٩٣٣ : ٨٨٤

(٢) المشرق ١٧ : ١٩١٤ : ٢٧٧

الفصل الرابع

مار افرام والكنيسة الارمنية

شغف الارمن منذ قديم الاحقاب بمحبة ابينا مار افرام الملفان ونقلوا الى لغتهم بعض تصانيفه وشروحه. ومنها ما ضاع أصله السرياني وحفظ نقله الارمنيّ. ونرجّح بل نعتقد ان اوّل من انصرف منهم الى درس التآليف الافرامية كان البطريرك اسحق الكبير (٣٩٠-٤٣٩) الذي يُعدّ في طليعة ملافنة الكنيسة الارمنية. ولعلّه هو ناقل شروح مار افرام الدياطسرون السرياني السابق الذكر وقس عليها شروحه لاعمال الرسل وللرسائل البولسية.

وتفرغ احد الرهبان الميكيتاريين في البندقية لدرس الشروح الافرامية الدياطسرون فنشرها بالطبع عام ١٨٩٣ مع ترجمة لاتينية. ثم نشر الاب اكينيان عام ١٩٢٤ شروح مار افرام لاعمال الرسل في مطبعتهم الشهيرة التي أسسها الاب ميكيتار السواسيّ (١٦٧٦-١٧٤٩) منشىء الرهبنة الميكيتارية المباركة ومطبعتها الشهيرة ومكتبتها النفيسة.

ولم ينس بطاركة الارمن المغبوطون فضل القديس افرام ملفان الكنيسة الكاثوليكية بل نظموا صلاة خصوصية حتموا على اكليرسهم ان يتلوها يوم تذكاره في السبت الاول من كانون الثاني مضموماً الى تذكار القديس سلوسطر بابا رومية (٣١٤-٣٢٧) ومار باسيليوس اسقف

قيسارية ومار غريغوريوس شقيقه اسقف نيصص

والى القارىء النجيب تعريب الصلاة القانونية المشار اليها :

« قد ضارع مار افرام ايليا النبيّ العظيم ومار يوحنا المعمذان باقامته في البراري وتنسكه وسيرته الملاكية . ولاح كوردة بين الاشواك . وفاح منه عبير حياة يسوع المسيح حباً لخلاص الانفس .

« اللازمة : تشفع ايها الطوباوي مار افرام لدى يسوع المسيح في الذين يحتفلون بعيدك .

« تشربت روح مار افرام من الينابيع السماوية افاويق النعمة . وحلّ عليه الروح القدوس حلوله على الطغمة الرسولية شبه ألسنةٍ ناريّةٍ . فارتشف من تلك الينابيع وشرّب النفوس الظمآنة

« اللازمة : تشفع ايها الطوباوي الخ .

« منك يا افرام نبتت كرمةٌ ربانية انضجت عنقود شجرة الحياة فتذوّقته انت وما برح اولاد الكنيسة يتذوقونه ويهيئون على مثال العهد القديم شمامسةً وكهنة في العهد الجديد للملكوت السماوي .

اللازمة : تشفع ايها الطوباوي الخ .

« المجد للآب والابن والروح القدوس .

« يا اولاد سفينة الانوار يا من اغتبطتم بتتلمذكم لتعليم افرام القويم . هلموا نحتفل بذكر هذا ملفان الكنيسة الذي انتقل في مثل هذا اليوم

الى هيكل الرب السماوي متلالئاً بسيرة كاملة وانضم الى افواج الابكار.

« تشفع فينا دائماً يا مار افرام الى الرب ليمنحنا مغفرة خطايانا .
« الآن وكل اوان والى دهر الداهرين .

« نسبحك ونشكرك ايها المسيح ملك المجد .لانك اصطفيت مار افرام معلما لسننك فنثر اقواله على نفوس المؤمنين نثر الفضة على مائدة الصيارفة . فبشفاعته وفقنا لنمجد الثالوث القدوس الى ابد الآبدين » .

هذا وقد نسبت الى مار افرام بعض نبذ ارمنية : منها محاورة بينه وبين اسحق الجاثليق بشان تاريخ عيد الميلاد ، ومنها كتابة عن تأسيس اول كنيسة في القدس الشريف . ويقال ان ترجمات تصانيف مار افرام الى الارمنية افضل من الترجمات اليونانية اليها (١) وما عدا ذلك كله فان الارمن سبقوا فنقلوا عن السريانية ترجمة الكتاب المقدس (٢) .

---

(١) تاريخ الادب السرياني ٧٢ (٢) المشرق ٤ : ١٩٠١ : ٤٢٧

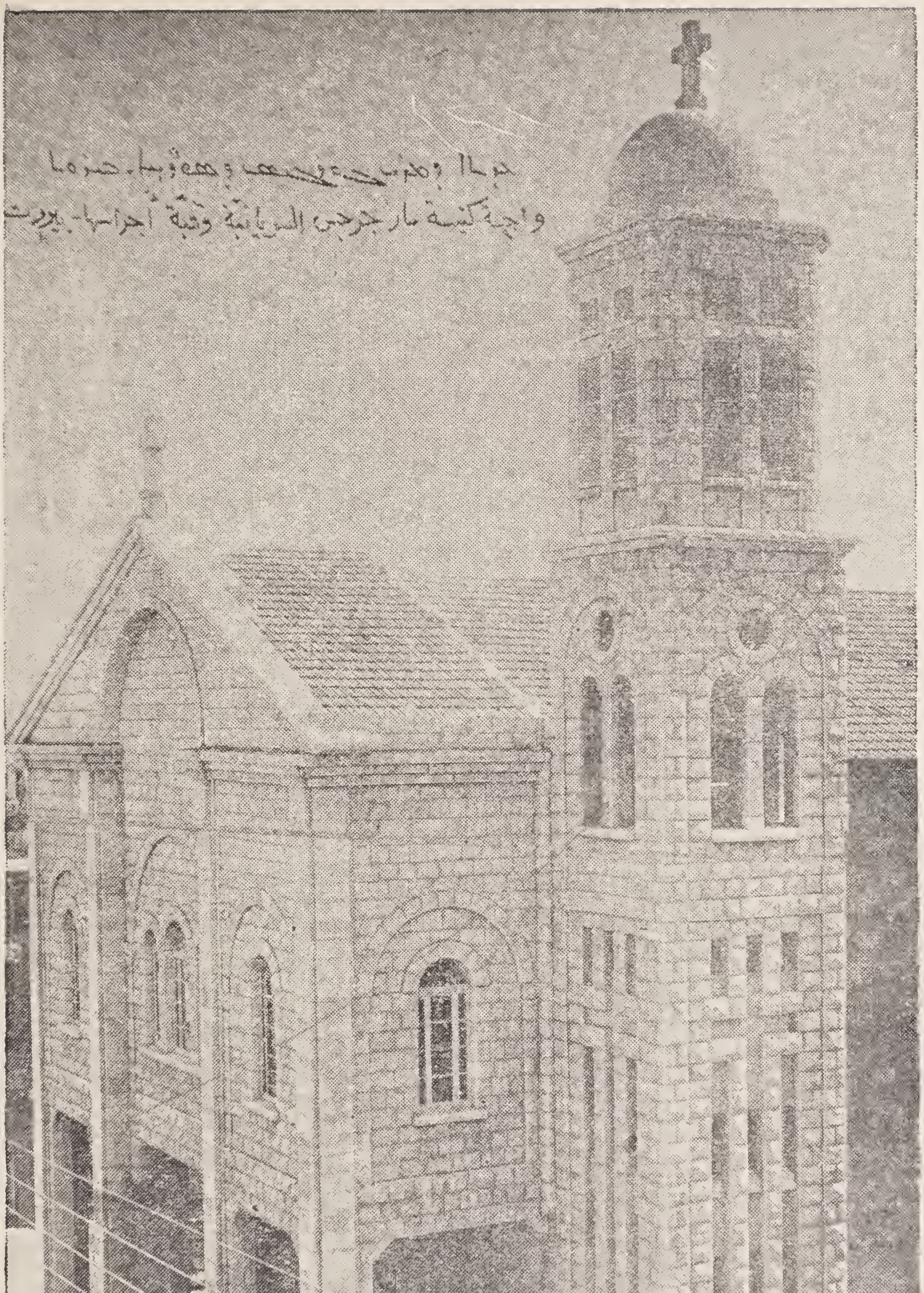

واجهة كاتدرائية مار جرجس السريانية في بيروت

الفصل الخامس

مار افرام والكنيسة السريانية

من الغريب العجيب ان السريان شرقيين وغربيين : نساطرة ويعاقبة لم يوسموا كنيسة واحدة او ديراً واحداً تيمناً باسم مار افرام القديس والملفان الكبير . هـذا الذي ينشدون يومياً تراتيمه ويتلون صلواته صباح مساء ويطالعون تصانيفه ويتناقلون اخباره . وقد راجعنا ما راجعنا من تآليف كتبة كلتا الطائفتين فلم نعثر فيها على اسم كنيسة باسم هذا القديس المغبوط . وقرأنا كذلك اسماء مئات من الديورة القديمة والحديثة فلم نجد بينها ديراواحدا بُني تكريما لهذا الصفي البار . والاغرب من ذلك كلـه ان السريان اليعاقبة الغوا اسم المكان الذي دفن فيه رفات مار افرام المختار في مقبرة الغرباء ظاهر الرها واطلقوا عليه اسم « الدير السفلي » (١) . وهذا الدير عينه امسى منذ نحو قرن في حوزة الارمن الغريغوريين . ثم احتله الاتراك في الحرب الماضية (١٩١٤ – ١٩١٨)

اضف الى ذلك كله اننا لم نعرف بطريركا من بطـاركة السريان اليعاقبة ولا جاثليقا من جثالقة السريان النساطرة تيمن باسم مار افرام المغبوط . بل ان فريقاً من بطاركة السريان اليعاقبة اتخذوا اسماء دخيلة مثل اسمعيل وخلف وشهاب وبيلاطس وعبد الغني وهداية وداود شاه

---

(١) اللؤلؤ المنثور ١٩٧

ومسعود الخ ولم يتشرفوا باسم ابينا مار افرام على رغم مطالعتهم اناشيده واستعمالهم اياها في فروضهم وصلواتهم القانونية . واول بطريرك سرياني من بطاركتهم باسم مار افرام هو غبطة البطريرك الحالي السيد اغناطيوس افرام برصوم الجزيل الطوبى

على ان ايمة السريان الكاثوليك انتبهوا لهذا الكنود الفظيع فبذلوا الهمم المشكورة في ابتناء اديار وكنائس تيمناً باسم مار افرام الجليل شئنا ان نلمح اليها :

نيافة الكردينال مار اغناطيوس جبرائيل الاوّل تبوني
بطريرك السريان الانطاكيّ

الفصل السادس

اديار السريان الكاثوليك المشيدة باسم مار افرام

١ ـــ دير مار افرام في رومة

في السنة ١٦٩١ ارتحل الاسقف اثناسيوس سفر العطار المارديني من رومية الى اسبانيا والبرتوغال . ثم ابحر الى اميركا وزار بلاد الهند والملبار وجمع من حسنات المؤمنين ٣٥ الف ريال روماني وقفل عائداً الى رومية عـــام ١٦٩٦ واتفق ان بطريركنا المغبوط مار اغناطيوس بطرس السادس شهـــادين حج رومية في تلك السنة مع السيد غريغوريوس يشوع مطران اورشليم . واجمع الاحبار الثلاثة على تشييد دير باسم مار افرام في عاصمة الكثلكة . وعرضوا رايهم على الحبر الاعظم البابا انوكنتيوس الثاني عشر(١٦٩١ ـ ١٧٠٠) فاستصوبه الاب الاقدس وساعدهم في منال رغبتهم المقدسة . بناء عليه اشتروا ديرا مبنيا فوق اكمة اسكولينو بشارع فيليجي واطلقوا عليه اسم «دير مار افرام السرياني» وتبرع الكردينال بمفيلي الفاضل بالف ريال عـــلى ان يسوغ لتلامذة بروبغندا التنزه في حديقة الدير و كرمه .

وجعل الاسقف اثناسيوس رئيس الدير يراسل ابرشيات حلب ودمشق وماردين والموصل وغيرها يستدعي شبانا يلقنهم العلوم الكهنوتية . وقد

نجح في مهمته نجاحا مباركا واعدّ للطائفة كهنة خدموا النفوس وارتقى بعضهم الى الرتبة الاسقفية .

واصبح دير مار افرام هذا علاوة على ذلك محطا لرهط من البطاركة والاساقفة الشرقيين . نذكر منهم السيد اغناطيوس جرجس الثاني (١٦٨٦) – ١٧٠٨) الذي زار الاعتاب ارسولية مع المطران اسحق ابن اخته وفريق من رهبانه وحلّوا ضيوفا كراما في هذا الدير. واغتنم الفرصة رئيسه الاسقف اثناسيوس فاحتفل بقداس حبري حضره البابا اقليميس الحادي عشر (١٧٠٠–١٧٢١) والبطريرك جرجس المومأ اليه وحاشيته . واختتمه الحبر الاعظم بخطبة وجيزة مبدياً جزيل تعطفه على الطائفة السريانية وتفانيه في سبيل انضمام السريان قاطبة الى الحظيرة البطرسية الواحدة .

وفي افتتاح السنة ١٧٣٢ زار ديرمار افرام كذلك السيد يوسف الثالث بطريرك الكلدان (١٧١٤ – ١٧٥٧) واقام فيه مع حاشيته حتى ١٥ ايار تلك السنة . وقد خصص بهم رئيس الدير ست غرف ونهض بخدمتهم .

هكذا سار هذا الدير سيرا ميمونا مباركا وظل عامرا بالرهبان سبعا وخمسين سنة (١٦٩٦)–١٧٥٣) ثم حولته الحكومة الايطالية على توالي الاعوام الى مستشفى امراض العيون .

على ان البطريرك اغناطيوس افرام رحماني المغبوط عرض على الاب الاقدس البابا بندكتس الخامس عشر الطيب الاثر حاجة الطائفة الى معهد

يمثل هذا الرسم الخورفسقفوس افرام احمردقنه رئيس دير مار افرام بماردين يحيط به الاساقفة والكهنة والرهبان . في فرصة يوبيله الكهنوتي الفضي عام ١٨٩٧

في رومية . فجاد عليه بدلا من دير مار افرام بكنيسة تاريخية بديعة تأسست على اسم العذراء المجيدة في القرن الثامن مع دير ملاصق لها . وهي واقعة في حي كمبو مارسيو . وايد تبرعه هذا ببراءة حبرية مؤرخة في اول تموز ١٩٢٠ وقررته كذلك الدولة الايطالية بصك تاريخه ١٣ ايلول السنة ذاتها .

اعرب البطريرك الانطاكي لحليفة شمعون كيفا ابي المؤمنين العام عن جزيل امتنانه . ونصب في بهو الدير رخامة حفر عليها باللاتينية ما تعريبه :

« فاضت مكارم البابا بندكتس الخامس عشر الحبر الاعظم البـــاذل اقصى عنايته في اعادة اتحاد الكنيسة الشرقية القديم بالكرسي الروماني فجاد عـــلى البطريركية السريانية الانطاكية بهذه كنيسة مريم العذراء القديسة الواقعة في كمبو مارسيو مع الدار الملاصقة لها سنة ١٩٢٠ وهي سنة المناداة بالقديس افرام السرياني ملفانا للبيعة الجامعة . فالبطريركية السريانية اقامت هذا الاثر عربونا لشكرها » (١)

٢ ـ دير مار افرام في لبنان

ما مرت تسعة اعوام على تأسيس دير مار افرام في رومية حتى ابتنى الرهبان السريان الكاثوليك ديراً ثانياً تيمنا باسم مار افرام المغبوط في لحف الشبانية بمقاطعة المتن في لبنان . وساعدهم في انجاز رغبتهم المقدسة

---

(١) مجلة الاثار الشرقية ٤ : ١٩٢٩ : ١ - ١٢

الاسقف اثناسيوس سفر المومأ اليه . وقــد انجب هذا الدير اساقفة وكهنة ادوا للطائفة خدما مشكورة . واقام فيه ردحا من الزمان مار اغناطيوس ميخائيل الرابع ضاهر (١٨٠٢) - ١٨١٠) ومار اغناطيوس بطرس السابع جروة (١٨٢٠-١٨٥١) وعززا ارزاقه .

وفي كنيسة هذا الدير رقى السيد كرلس السادس تاناس بطريرك الروم الملكيين (١٧٢٤ - ١٧٥٩) الخوري ديونيسيوس بشاره الحلبي والخوري ميخائيل مارديني الى الرتبة الاسقفية صباح عيد الميلاد المجيد عام ١٧٣٥ (١)

وظل هذا الدير عامرا بالرهبان مدة ١٣٦ سنة حتى ثار الدروز عام ١٨٤١ ففتكوا بمن فتكوا من رهبانه واحرقوا مكتبته الحافلة بالمخطوطات والمطبوعات الثمينة واخربوا غرفه واتلفوا ارزاقه. وصرف البطاركة المغبوطون العناية في ترميمه واعادته الى سالف مشروعه ولكنهم لم يفلحوا وما برحت كنيسته وبعض غرفه باقية حتى اليوم .

---

(١) تاريخ طائفة الروم الملكيين تأليف الخوري قسطنطين الباشا جزء ٢: ٣٢٢-٣٢٣

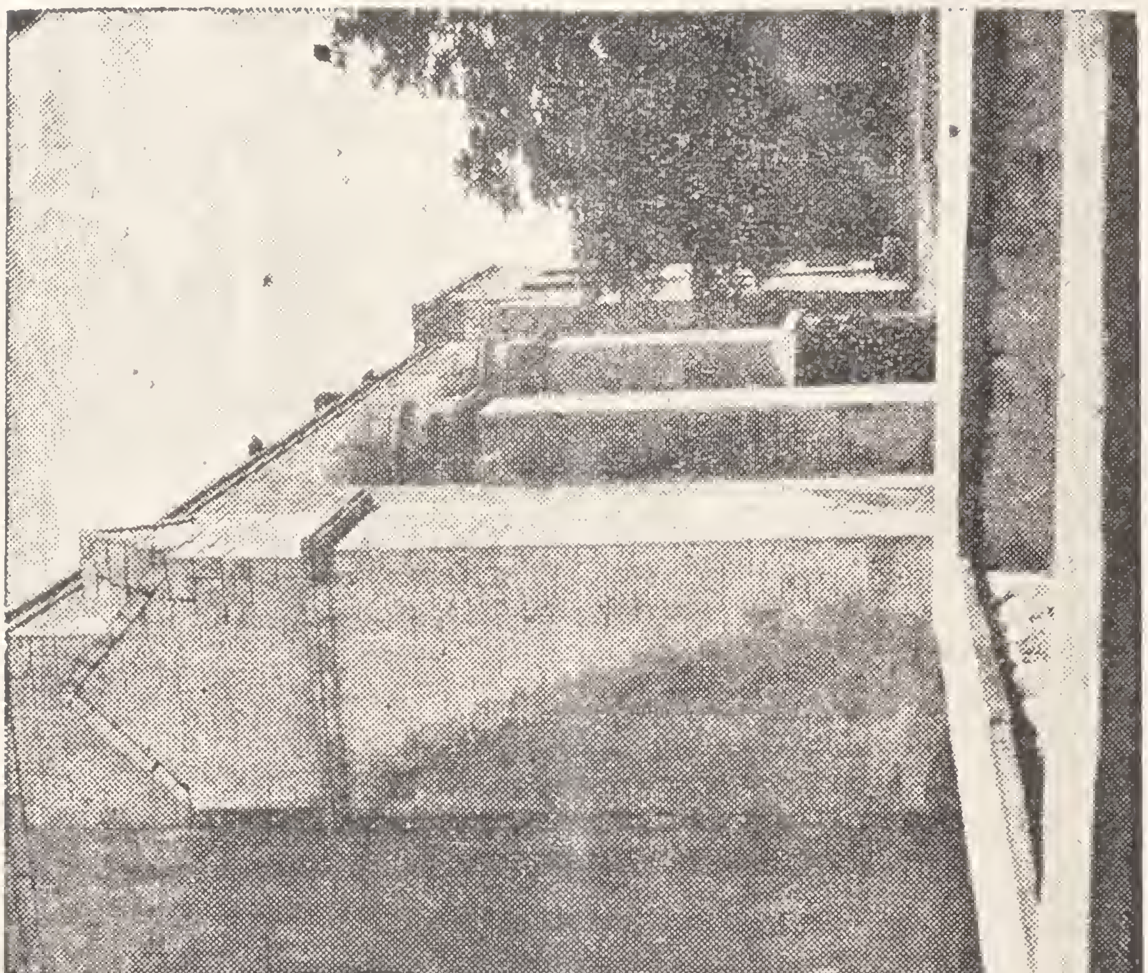

قسم من كنيسة ودير مار افرام في ماردين

٣ ــ دير مار افرام في ماردين

في حزيران ١٨٨١ سافر البطريرك مار اغناطيوس جرجس شلحت (١٨٧٤ - ١٨٩١) الطيب الاثر الى ماردين . وفي ٢٠ تشرين الاول وضع بيده المباركة الحجارة الاولى لتشييد دير مار افرام غربي المدينة. وظل يراقب العملة حتى ٢١ ايلول ١٨٨٢ فعاد الى حلب . وظل العملة يشتغلون حتى ٧ كانون الاول ١٨٨٤ وصباح عيد الحبل الطاهر بسيدتنا مريم العذراء المغبوطة جرى افتتاح الدير . وفي ٢٩ حزيران ١٨٨٦ ابرز النذور الرهبانية تسعة رهبان . وظل الدير في رقي متواصل وانجب اكثر من عشرين كاهنا خدموا النفوس وامتازوا بالتقى والغيرة والنشاط حتى السنة ١٩١٥ المشؤومة فاحتلته الحكومة التركية وفتكت بستة من رهبانه . ثم بذل الخورفسقفوس يوسف عبود النائب البطريركي جهودا متواترة لدى اقطاب الجمهورية التركية حتى استرجع الدير عام ١٩٤٨ بموجب طابو رسمي . غير انه لم يشغله رهبان حتى يومنا .

على اننا نتوق بكل جوارحنا ونود لو تتجدد الرهبنة الافرامية . لاننا نثق كل الثقة بان الرهبان الناسجين على منوال ابينا مار افرام يتوفقون بحوله تعالى في ازدهار الرهبنة وفي صنع الخير في الابرشيات السريانية . ولا يزال السيد ثئوفيلس يوسف ربّاني الجليل يصبو بكل قلبه الى تحقيق هذه الامنية المقدسة . وقد انشأ لاجل هذه الغاية الشريفة الصلاة التالية :

« ايها القديس افرام ملفان الكنيسة الجامعة وشفيع طائفتنا السريانية واباها المحبوب اذكر الامة التي انجبتك واشفع فيها لدى الرب ليهيء منها نخبة صالحة تتشرب نظيرك روح

الكمال الرهباني وتواصل رسالتك السامية في كنيسة الله فتضحي هذه الامة العزيزة التي تركت فيها تراث ايمانك الحي وتعاليمك الرسولية رعية واحدة لراع واحد» .

حقق الله تعالى هذه الآمال !

وفي السنة ١٨٩٦ انشأ الخورفسقفوس افرام احمر دقنه بماردين ديراً لراهبات أفراميات انقطعن فيه للعبادة وتعليم الفتيات . ونهضن بتزيين الكنيسة وخياطة ما يحتاج اليه الرهبان الافراميون من الكسوة . وقد سار الدير سيراً مباركاً حتى السنة ١٩٢٨ ثم انطوى خبره .

الفصل السابع

كنائس السريان الكاثوليك المشيدة باسم مار افرام

اسس كنيسة في الرها تيمناً باسم ابينا مار افرام السيد اغناطيوس فيلبس عركوس المغبوط (١٨٦٦ - ١٨٧٤) وعززها البطاركة الذين خلفوه في الكرسي الانطاكي . وقد احتلتها الحكومة التركية عام ١٩١٨

ولما تولى البطريركية مار اغناطيوس افرام الثاني رحماني (١٨٩٨ - ١٩٢٩) افرغ كل جد وجهد في اذاعة اسم مار افرام المجيد شرقاً وغرباً وشاد باسمه المبارك خمس كنائس وهي : كنيسة في اورشليم وكنيسة في زحله عام ١٩٠٣ وكنيسة في كربوران بطور عبدين عام ١٩٠٥ وكنيسة في فرقلس بابرشية حمص وحماة .

كنيسة مار افرام للسريان الكاثوليك في مدينة القدس

وتكرّمت الدولة الفرنسية الجيـــدة تلبية لطلبه بكنيسة في حي الكرملين بباريس اطلق عليها كذلك اسم ابينا مار افرام . ودشنها في ٢٢ تشرين الثاني ١٩٢٥ بحضور اقطاب فرنسا الدينين والمدنيين .

ثم وضع الحجر الاول عام ١٩٢٨ لكنيسة مـــار افرام في حي المصيطبة في بيروت . انجز بنيانهـا خلفه في الكرسي الانطاكي مار اغناطيوس جبرائيل تبوني الجزيل الطوبى ودشنها عام ١٩٣٠ وسبق البطريرك المشار اليه فشاد في حلب عام ١٩٢٦ كنيسة باسم مار افرام في حي البراكات.

واسس الرهبان البندكتيون على قمة جبل الزيتون باورشليم ديراً واكليريكية باسم مار افرام ومار مبارك تثقف فيها ٥٢ قسيساً .

وضمت الطائفة السريانية الكاثوليكية مدارس واندية وجمعيات تشرفت باسم ابينا مار افرام. نذكر منها مدارس بغداد وزحله والمصيطبة ببيروت ومدرسة زيدل بحمص . وجمعية مار افرام الخيرية في القاهرة . وجمعية الاتحاد الافرامي في حلب . والجمعية الخيرية في القدس وفي حمص وكشافة الشبيبة الافرامية في دمشق الخ .

ولسنا نبالغ ان قلنا ان كنائس السريان الكاثوليك باسرها في كل البلدان لا تخلو من مذبح مخصص باسم ابينا مار افرام كمذبح كنيسة بيروت وكنيسة ماردين وكنيسة حمص.او من صورة من صوره الكريمة.

اكليريكية مار افرام ومار بندكتس للسريان الكاثوليك في مدينة القدس

وتقيم الكنيسة السريانية لابينا مار افرام اربعة تذكارات في السنة اعني في ٢٨ كانون الثاني مع الروم الملكيين والموارنة وفي السبت الاول من الصوم الاربعيني . وفي ١٩ شباط مع مار اسحق . وفي ١٨ حزيران مع الكنيسة الكاثوليكية جمعاء .

وفرض آباؤنا البطاركة على الاكليرس ان يخصصوا بمار افرام جميع الابيـــات التي يرتلونها صباحا ومساء وليلا في الصلوات القانونية مستثنين من ذلك الكنائس المؤسسة على اسم احد الرسل او الشهداء او القديسين .

وقرر البطاركة كذلك ان تختم طلبة العذراء المغبوطة بعد ذكر « سيدة النجاة » باسم ابينا مار افرام في جميع الكنائس .

الفصل الثامن

جهود البطريرك اغناطيوس افرام رحماني في تعزيز ذكرى مار افرام السرياني

انصرف البطريرك افرام رحماني بكل قواه الى تعزيز ذكرى شفيعه مار افرام فارصد قسما من اوقاته لدرس تصانيفه. ونشر منها اناشيده في وصف البتولية واسرار ربنا يسوع نقلاً عن مخطوطة الفاتيكان الموسومة بالرقم ١١١ وضم اليها ترجمة لاتينية . ثم نشر ٣١ انشودة افرامية في

مذبح مار افرام في كاتدرائية كنيسة الروح القدس للسريان الكاثوليك في حمص

مواضيع شتى شفعها باناشيد الملفان في نقص الامطار. ثم نشر وصية مار افرام الاخيرة وانشودته في عيد القيامة المجيدة وترنيمته البديعة في عيد ميلاد المخلص وابياتها منظومة طبقا للحروف الابجدية .

وقد استحسن علماء المشرق والمغرب تلك الخرائد الثمينة فكتبوا الى

ناشرها المغبوط رسائل جميلة بديعة نقتصر منها على ذكر ما كتبه اليه في ١٩ اذار ١٩٢٧ الاستاذ هيفرنا من واشنطون بعد اطلاعه على ترنيمة عيد الميلاد المشار اليها قال: «حظيت بنشيد مار افرام في وصف ميلاد الفادي وتصفحته مليا بعذوبة فائقة شاكرا لغبطتكم هذه التحفة النفيسة. واني واثق بالله عز شانه ان ينعم علي برؤية مار افرام الملفان المعظم في الملكوت السماوي كيما احييه هناك بلغته السريانية او اكافئ غبطتكم لتعربوا له عن عواطفي!».

واقدس ما نهض به البطريرك افرام رحماني بذله المساعي الحثيثة لدى ابي المؤمنين البابا بندكتس الخامس عشر (١٩١٤–١٩٢٢) الطيب الاثر بشان اعلان ابينا مار افرام السرياني شماس الرها ملفانا في الكنيسة الكاثوليكية شرقا وغربا. فرفع الى مقامه السامي عريضة في هذا الصدد وقعها مار الياس بطرس الحويك بطريرك السريان الموارنة الانطاكي (١٨٩٩)–١٩٣٢) ومار عمنوئيل يوسف توما بطريرك الكلدان (١٩٠٠–١٩٤٧) ورهط صالح من الاحبار ورؤساء الرهبنات في مشارق الارض ومغاربها ملتمسين من الحبر الاعظم المشار اليه ان يلبي طلبهم. وقد تكرم خليفه شمعون كيفا فانالهم بغيتهم المقدسة كما نذكره في القسم التالي

كنيسة مار افرام للسريان الكاثوليك في محلة المصيطبة ببيروت

القسم الرابع

تكريم احبار رومية العظام

لابينا مار افرام

الى احبار رومية العظام وفي طليعتهم البابا اقليميس الحادي عشر (١٧٠٠–١٧٢١) فالبابا اقليميس الثاني عشر (١٧٣٠ – ١٧٤٠) فالبابا بندكتس الرابع عشر (١٧٤٠ – ١٧٥٨) يعود الفضل في تمهيد السبل للبحث عن الآثار السريانية في شتى الاطراف. والاعتكاف على درسها درساً وافياً وعلى نقلها الى اللغة اللاتينية ليطلع الغربيون على ما خلفه آباء المشرق من الآثار الكتابية وفي جملتهاتصانيف ابينا مار افرام السريانية المنثورة والمنظومة .

فالبابا اقليميس الحادي عشر سبق فوجه عام ١٧٠٧ الى بلاد المشرق القس الياس السمعاني الماروني للبحث عن المؤلفات والمخطوطات الشرقية فاقتنى منها عدداً نزراً حمله الى عاصمة الكثلكة وضمه الى المكتبة الواتكانية التي تعد اقدم مكتبات الدنيا واغناها. ثم ارسل البابا المشار اليه عينه عام ١٧١٥ المونسنيور يوسف سمعان السمعاني الى وادي النيل

كنيسة مار جرجس السريانية في بيروت ومذبح مار افرام

ولبنان وسوريا فاشترى قسما صالحا من الاسفار السريانية ونقلها كذلك الى رومية العظمى . وفي السنة ١٧١٩ وجه البابا المومأ اليه الى الموصل كاهنا قبرصيـــا مارونيا اسمه اندراوس اسكندر (×١٧٤٠) ليبتاع مخطوطات سريانية وعربية فجمع منها جانبا صالحا نقله كذلك الى المكتبة الواتكانية .

ونسج خلفاء البابا اقليميس الحادي عشر على منوال سلفهم في جمع المخطوطات السريانية من بلاد مصر ولبنان وسوريا وفلسطين والعراق وما بين النهرين وفارس والهند . فكان الوفود يطوفون المدن والقرى والكنائس والاديار ويشترون اقدم المخطوطات واندرها فيدفعون ثمن بعضها ما يوازي ثقله ذهبا .

واذا خصصنا الكلام بالتصانيف الافرامية قلنا ان الحبر الاعظم البابا بندكتس الرابع عشر المذكور في الخير هو الذي تقدم الى ثلاثة من جهابذة السريان الموارنة ليتفرغوا لدرس تأليف ابينا مار افرام وهم : الاب بطرس مبارك اليسوعي والسيد يوسف سمعان السمعاني والمطران اسطفان عواد فاكبوا على مطالعة تلك الآثار الثمينة ونشروها بالطبع في مجلدات ضخمة ونقلوها الى اللاتينية وصدروا مقدماتها باسم الحبر الاعظم المشار اليه اقراراً بمعرفة الجميل وتخليدا لذكره .

ولم يقتصر العلامة يوسف سمعان السمعاني عـــلى درس التصانيف السريانية الافرامية بل نشر عـــام ١٧١٩ في المجلد الاول من مكتبته الشرقية بالسريانية واللاتينية اعمال مار افرام واحصى مؤلفاته . ثم تفرغ

لدرس ما خلفه السلف من المؤلفات اليونانية المنقولة عن مؤلفات مار افرام السريانية ونشرها في ثلاثة مجلدات ضخمة مع ترجمتها اللاتينية (١٧٣٦ - ١٧٤٧) .

هذا عدا ماجمع بفضل الاحبار الرومانيين من مؤلفات مارافرام المنقولة الى القبطية والحبشية والعربية زينوا بها متحف مكتبتهم الواتكانية العامرة فاطلع الغربيون والشرقيون معا على اخبار هذا الملفان الكبير وتذوقوا حلاوة تآليفه وادركوا ما اتصل اليه بنعمة الروح القدوس من الذكاء والحصافة وابدوا الشكر الجميم لمن كان الواسطة في نشرها وتعميم فوائدها .

اما البابا بندكتس الخامس عشر الطيب المآثر والآثار فقد لبى طلبة بطاركة المشرق واحبار الكنيسة الجامعة وايمتها في اعلان ابينا مار افرام ملفانا للكنيسة الكاثوليكية قاطبة . ذلك انه انشأ لجنة مؤلفة من اساطين الرهبنة البندكتية والدومنكية واليسوعية متضلعين من العلوم اللاهوتية والتاريخية وسير الآباء القديسين وتقدم اليهم بان ينصرفوا الى مطالعة تصانيف الملفان السرياني واخباره. فاعتكفوا على العمل ردحاً من الزمان ثم رفعوا الى الاب الاقدس تقريرا ضافيا ادرجوا فيه ما امتاز به ذلك القديس والملفان المجيد من الاعمال الصالحة والصنائع المبرورة . واثبتوا خصوصا ما صنفه من التآليف البديعة المحكمة في حقائق العقائد الكاثوليكية الراهنة .

وعلى اثر ذلك اصدر ابو المؤمنين العام براءة مستبدعة نادرة المثال مؤرخة في ٥ تشرين الاول ١٩٢٠ صدرها بعبارة Principi Apostolorum وصف فيها حياة ابينا مارافرام ومناقبه. والمع الى وصيته الاخيرة وتآليفه المنثورة والمنظومة ولا سيما ما اشتمل منها على عقائد الكنيسة الكاثوليكية القويمة في القربان الاقدس وفي مزايا العذراء المغبوطة والرئاسة البطرسية العامة وعلى دحض البدع والارتقات والتحريض على اكتناز الاعمال الصالحة والزهد في الحطام الدنيا الخ. ثم اعلن رسميا ادراج اسمه الكريم مع رهط ملافنة بيعة الله المقدسة. وعيّن له تذكارا عموميا في ١٨ حزيران وانشأ صلاة خصوصية ضمها الى ليترجية القداس اللاتيني ليتلوها الاكليرس الكهنوتي على كرور الاحقاب. وهذا تعريب البراءة :

قداسة الحبر الاعظم البابا بندكتس الخامس عشر

البراءة الرسولية

التي اذاعها الحبر الاعظم البابا بندكتس الخامس عشر
بشأن اعلان القديس افرام السرياني الراهب الرهاوي
ملفاناً للكنيسة الكاثوليكية

الى البطاركة ورؤساء الاساقفــــة والمطارنة والاساقفـة وافيف الاكليروس المنتمين الى الكرسي الروماني الرسولي والمتحدين معه

ايها الاخوة الموقرون

السلام والبركة الرسولية

قرر اباء الكنيسة قاطبة ان السيد المسيح عز شأنه اسس كنيسته على بطرس امام الرسل المعصرم (لو ٢٢ : ٣٢) مكافأة لايمانــه الوطيـد ومحبته الخالصة . وقلده رعايتهـــا (متى ١٦ : ١٨) واولاه سلطة ثابتة دائمة تتسلسل في خلفائه . وعلى صخرته المعنوية يدور محور شركة الايمان الكاثوليكي والحب المسيحي .

تقلد بطرس الرئاسة العليا ليذيع في الملا هذا الايمان وهذه المحبة ويتعهد بثباتها . وهذه الرئاسة ايدها القديس اغناطيوس النوراني اسقف انطاكية (+ ١٠٧) في رسالة بديعة كتبها في طريقه الى رومية مصرحاً للرومانيين بقدومه وارتياحه الى الاستشهاد حباً ليسوع الفادي . مؤدياً

شهادة ثمينة بشأن اولية الرئاسة الرومانية وتقدمها على سائر الكنائس اذ قال :

«الى الكنيسة المتبوئة كرسي الرئاسة الاولى بالمحبه» . موضحاً ان الكنيسة الجامعة المنظورة هي كنيسة المحبة الالهية التي جاهد بطرس في اضاءة اشعتها في قلوب المؤمنين طرا . وخلف في هذا الكرسي الروماني رئاسته العليا بمثابة تراث محبته للسيد المسيح ودعمها باجوبته الثلاثة (يو ٢١: ١٥ — ١٧) .

براهين الاباء الشرقيين

واستحق بطرس لاجل ايمانه ومحبته ان يتولى الرئاسة الاولية في الكنيسة على ماقررة مشاهير الآباء الاقدمين الذين زينوا كراسي المشرق اذ كانوا حينما تتهدّدهم عواصف البدع والاضطهاد يبادرون الى الاستغاثة باصحاب الكرسي الروماني استغاثتهم بالمصدر الوحيد الذي يساعدهم في اهول الخطوب . هكذا رأينا باسيليوس الكبير (٣١٦ — ٣٧٩) واثناسيوس البطل (٢٩٦ — ٣٧٣) المحامي عن عقيدة المجمع النيقاوي ويوحنا فم الذهب (٣٤٤ — ٤٠٧) وغيرهم من ايمة الايمان الارثوذكسي يلوذون باحبار رومية مستندين في ذلك الى ما قررته القوانين البيعية القديمة وفي جملتها قوانين مجمع سرديقية (٣ و ٤ و ٥) .

محاماة البابوات

وهل يسع كائناً من كان ان يدّعي بان احبار رومية تغاضوا ولو هنيهة عن رسالتهم في تثبيت اخوتهم ؟ لا لعمري بل واصلوا مهمتهم في المحاماة عمن استنجد بهم حتى ان فريقاً منهم كالبابا ليباريوس (٣٥٢-٣٦٣) والبابا سلوسطرس (٣١٤ - ٣٣٧) والبابا مرتينوس (٦٤٩ — ٦٥٥) كابدوا ما كابدوا من العذاب في منفاهم بسبب محاماتهم عن الدين القويم ومناضلتهم عمن استغاث بهم . وما برح خلفاؤهم يتمشون طبقاً لخطتهم هذه حتى اليوم . ثم ان ثئودوريط اسقف قورس (٤٢٠ — ٤٥٨) صرح في تاريخه (ف ٣٤) بان البابا انوكنتيوس الاول (٤٠٢ — ٤١٧) تقدم الى اساقفة المشرق بان يدرجوا في الدبتيخة اسم يوحنا فم الذهب اسوة بسائر الآباء الارثودكسيين كي يجري ذكره نظيرهم في الذبيحة المقدسة .

الداعي الى اصدار البراءة

نحن على بينة تامة من ان اسلافنا بذلوا مثلنا الاهتمام بالطوائف الشرقية والعطف عليها . ويطيب لنا ان نجاهر بانها افلتت من غوائل حرب طاحنة بمدافعتنا عن حريتها واستقلالها . حتى اخذت كل منها تنظم حياتها الاجتماعية في محيط موافق لتقاليدها . واليوم رأينا ان نبدي لها ما يلائم حالتها الحاضرة بعرضنا عليها انموذجاً من القداسة والعلم وحب

الوطن . نريد به القدّيس افرام الذي مثّله غريغوريوس اسقف نيصص (+ ٣٩٥) بنهرٍ فراتيّ يرتشف منه المؤمنون فيثمرون ثماراً شهيّة بدلاً من الواحد مائــــة ضعف . (حياة مـار افرام ١ : ٤) . واتفق الآباء والملافنة الارثوذكسيّون قاطبةً على تقريظ مناقب مارافرام كباسيليوس الكبير وايرونيمس وفم الذهب وغيرهم حتى فرنسيس سالس (١٥٦٧ – ١٦٢٢) والفونس دي ليغوري (١٦٩٦–١٧٨٧) .

ويلذّ لنا جداً ان نضمّ صوتنـا الى اصوات هؤلاء ابطال الايمان الحقّ فانهم على اختلاف نزعاتهم وعصورهم واوطانهم اتّفقوا بلهجــة واحدة على تقريظ مار افرام . وبراءَتنا هذه ايها الاخوة المحترمون توافق كذلك البراءة التي أصدرناها عام ١٩٢٠ بفرصة مرور خمسة عشر قرناً على وفاة القدّيس ايرونيمس (٣٤٠–٤٢٠) متوخّين التصريح بان ايرونيمس وافرام كانا متماثلين وعاشا تقريباً في عصر واحد وأقـاما في سوريا وامتازا بعلمهما وتبحّرهما في الاسفار المقدّسة حتى اصبحا «منارتين قائمتين امام ربّ الارض» (رؤيا ١١ : ٤). لاحَ احدهما في بلاد المغرب وثانيهما في بلاد المشرق. وأصبح كلّ ما كتباه ممتازاً وموحًى من روح واحد ينيرهما شعاع تعليم واحـد هو تعليم آباء اللاتين وآباء المشرق معاً . ولذا فاستحقاقهما واحد وكأنهما باقة واحدة بهيّة مجيدة .

اولا - خلاصة حياة مار افرام

افرام الفتى المتّعظ

تفتخر نصيبين والرها مدينتا ما بين النهرين الشهيرتان بانتماء مار افرام اليهما . وقرّر القدّيس غريغوريوس نيصص ان دم الشهداء تغلغل في أسرة افرام . وتثقّف منذ نعومة اظفاره تثقيفاً مسيحياً . ولم يكن أهله ممّن تقلبوا في رغد العيش والرفاهية لكنهم امتازوا بسمعة حسنة وشرف جزيل . وجاهروا بايمانهم المسيحيّ في المحكمة علناً كما صرّح مار افرام عينه في كتاب اعترافه (ف ٩). وأعرب فيه كذلك عن اسفه وندامته على ما فرط منه حين فتوّته من الضعف والفشل في مناهضة الاهواء التي تحدث غالباً للشبّان في عنفوان عمرهم . وكان افرام حادّ الطبع سريع الغضب . لكنه لما ألقي في السجن بسبب جرمٍ كان بريئاً منه كتب على نفسه ان يقلع عن زهو الدنيا وملاهيها الزائلة . وينقطع الى عبادة الله تعالى . ومن ثم فبعدما برره القاضي من تلك التهمة توشح بالثوب الرهباني وتفرغ لاعمال التقوى ومطالعة الاسفار المقدسة .

افرام الناسك

كان مار يعقوب اسقف نصيبين (٣٠٩ – ٣٣٨) في جملة آباء المجمع النيقاوي الثلاثمائة والثمانية عشر . ودحض نظيرهم بدعة اريوس الملحد.

وسبق فـــانشأ في نصيبين مدرسة يتلقن فيها الطلاب مختلف العلوم وفي طليعتها شروح الكتاب العزيز . وما ان توسم الاسقف الجليل في افرام الناسك امارات النجابة والتقوى حتى نصبه معلمــــا في تلك المدرسة . فحقق التلميذ رغائب معلمه واحرز رضاه بما ابداه من حدة الذهن واصالة الرأي في التلقين والتثقيف حتى انه فاق الاساتذة جميعاً واستأهل ان يدعى «ملفان السريان» . واتفق ان الفرس زحفوا يوم ذاك الى نصيبين وحاصروها فاضطر افرام ان يكف برهة عن التدريس ويحرض الاهالي على مناهضة العدو الفارسي ريثما زال عنهم الخطر . وعلى اثر وفاة مار يعقوب زحف الفرس تكرارا الى نصيبين واحتلوها عنوة . فانتزح عنها افرام وقصد الرها واعتكف على العبادة والتصنيف وتلقين الحقائق الدينية .

افرام اليف الكتب المنزلة

اقام مار افرام اول بدء في مغارة بجبل الرها . وطفق المؤمنون يتوافدون اليه زرافات ويصغون الى تعاليمه وشروحه . وما لبثوا ان اصطفوه معلمـــاً للمدرسة الكبرى . فانجبت على يده علماء نبلاء نذكر منهم زينوب وآبا واسحق الآمدي الذي استحق ان يدعى اسحق الكبير نظراً الى وفرة تآليفه ودقة تعاليمه . وذاعت اخبار عبقرية مار افرام وقداسته في الآفاق وتشوق ان يزور باسيليوس الكبير . وما ان علم الحبر بالهام سماوي ان زائره هو افرام حتى رحب به بعاطفة التجلة

والتكريم . وجرت بينهما محادثات عذبة لذيذة في الشؤون الالهية . وذكر بعض المؤرخين ان مار باسيليوس قلد افرام رتبة شماس انجيلي .

افرام مثيل اسطفانس

انقطع افرام الى الخلوة في صومعته اياماً معلومة . ثم تفرغ لالقاء المواعظ على المؤمنين والدفاع عن حقائق الدين المبين وتفنيد مزاعم الاراتقة الملحدين . مضارعاً في جهاده ورتبته اسطفانس الشماس معتبراً انه غير اهـل للرتبة الكهنوتية . فاكب على شرح الكتب المنزلة وعلى الكرازة والارشاد دون كلال . وانصرف الى تفنيد آراء زعماء الهرطقات المتفشية في عصره وامتاز خصوصاً بتلقين العذارى والراهبات اناشيد مقدسة . وبذل قصاراه في مساعدة المنكوبين والمعوزين . وبالجملة مارس مـا كان يعلمه متمماً وصية مـــار اغناطيوس النوراني للمسحيين الاولين اذ يدعوهم «انجيليين» يبشرون بالسيد المسيح .

افرام ابو المساكين

وحدث في الرها غلاء شديد دفع مار افرام وهو في سن الشيخوخة ان يتخلى عن منسكه ويشمر عن ساعد الجد ليحض الاغنياء ويحرض المحتكرين كي يغيثوا اخوتهم المساكين . فاتعظوا بارشاده ولبوا طلبه حتى انتهت سنة المجاعة واقبل زمان الحصاد فعاد الى صومعته .

وصية مار افرام

لا نرى بدّاً من الالماح الى الوصية السامية التي خلفها مار افرام لاهل وطنه . فهي تبرهن عن ايمانه وتواضعه وصدق وطنيته . قال ما خلاصته : يا ايها الرهاويون اني انا افرام مائت لا محالة . فاستحلفكم بكل احترام انلا تدفنوني في بيت الله تعالى ولا تحت المذبح اذ لا يليق بجسد يرعاه الدود ان يرقد في هيكل مقدس . ادفنوني في ثوبي وقبعي الرهباني. شيعوني بصلواتكم وترانيمكم وتقريب الذبيحة المقدسة مراراً جمة تكفيراً عن شقائي . ان افرام لم يقتن دراهم ولا عصا ولا كيساً ولم يملك ذهباً ولا فضة . ارسخوا في تعليمي وكملوا وصاياي بامانة . واثبتوا دائماً في الايمان الكاثوليكي . احذروا الاراتقة الملحدين خصوم ايماننا القويم . احذروا فعلة الاثم الذين يأتونكم بكلمات معسولة فاسدة . فلتكن مباركة الرها مدينة الحكماء وحاضرتهم ...

بعد هذا فاضت روح افرام بيد خالقها وظلت ذكراه العاطرة ممزوجة بالبركة في الكنيسة جمعاء . قال القديس غريغوريوس : « ذاع جمال حياة افرام البهي وسداد تعاليمه في العالم طراً . ولاح اسمه في الاصقاع مثل الشمس في رائعة النهار ! » .

تآليف مار افرام

كثيرة هي تآليف مار افرام ولا مجال الى احصائها . وعلى قول

سوزمين المؤرخ أن ابيات شعره أربت على ٣٠ ربوة انطوت كلها على زبدة تعاليم الكنيسة ومبادئها وعلى تفاسير الكتاب الكريم واسرار الايمان وفروض المسيحي والحياة الباطنة. وخلف قصائد جمة في الطقوس الكنسية والاعياد المارانية وتقاريظ العذراء المغبوطة وبعض القديسين. وصنف منظومات شتى في التوبة والتعازي. ويتلالا في كتاباته باسرها بهاء نفسه الطاهرة وذكائه المفرط. وبالجملة نقول انه اصبح «سراجاً موقداً ومنيراً» (يو ٥ : ٣٥). فقد تلقن الحقيقة ولقنها وحبب السير بموجبها وذكر مار ايرونيمس: ان المؤمنين جعلوا يتلون تآليف مار افرام في زمانه تلاوتهم تآليف ايمة آباء الكنيسة ومشاهير علمائها. وقد طالع نقلها اليوناني وصرح بانها تبرهن عن ذكاء مؤلفها وعن قريحته السيالة.

مار افرام كنارة الروح القدوس

يستحق افرام شماس الرها ثناءً جماً لانه لم يقتصر في مواعظه وتصانيفه على انتقاء مواضيع سامية يلتقطها من الاسفار الموحاة من الروح القدوس فحسب بل برع خاصة في فن الموسيقى والشعر المقدس فاستوجب من ثم ان يلقب «بكنارة روح القدس». ويتجلى لنا ايها الاخوة الموقرون انموذج هذا القديس من الفنون الشتى التي استعملها ليحمل المؤمنين ويحثهم على السلوك في محجة القداسة. فقد عاش في محيط أغرم بالموسيقي وكلف بالشعر وتثقف في كليهما. وغير خاف ان زعماء الهرطقات توصلوا منذ القرن الثاني للميلاد الى نشر اضاليلهم بتلك الوسيلة. فنهض مار افرام

نهضة داود الملك في مصارعة جليات بسيفه عينه وقابل الفن بالفن ووشّح التعاليم الكاثوليكية بحلة قشيبة من موسيقاه وشعره . لقن الفتيان والفتيات قصائده الشائقة محبرة بالتعاليم المسيحية الراهنة يلتقفها المؤمنون دون تكلّف . وبهذه الذريعة المباركة غذى المؤمنين حقائق الدين القويم وشربهم مناهل التعليم الصحيح . وتيسّر له ان يسد الطرق تجاه الاراتقة الملحدين ويقي جماعة المؤمنين غوائلها ومخاطرها . قال ثئودوديط : ان الاسلوب الذي استعمله مار افرام في الحفلات البيعية قد زادها رونقاً وبهاء. ويؤيد ذلك ان آباء اليونان واللاتين انفسهم نقلوا اوزانهم الشعرية الدينية عن مار افرام السرياني. وفي وسعنا ان نقرر بان الاناشيد الطقسية الموزونة وما ادمج فيها من روعة وابهة قد اقتضبت عن مار افرام وعنه نقلها يوحنا فم الذهب الى قسطنطينية ومار امبروسيوس (٣٣٣ - ٣٩٧) الى ميلان ومنها ذاعت في الاقطار الايطالية . وهذا الاسلوب الشرقي عينه قد اثر في قلب مار اوغسطينس (٣٥٤-٤٣٠) قبل عماده. ثم صححه مار غريغوريوس الكبير (٥٩٠ - ٦٠٤) وبلغه منتهى الرونق والكمال والفضل الاول في ذلك على ما رواه رجال النقد المحققون عائد الى مار افرام فهو اول من ابتكر فن الموسيقى البيعية وعنه نقله آباء اليونان واللاتين معاً .

مجد مار افرام بعد وفاته

بناء على ما تقدم لسنا نستغرب اذا شاهدنا اولاد الكنيسة يقدرون

قدر مار افرام ويتبارون في تبجيله وتكريمه. قال مار غريغوريوس اسقف نيصص : « ان مار افرام اعمل الروية في العهدين القديم والجديد كليهما ودقق في دراستهما وعمق اكثر ممّن سبقه في شرح معانيهما كلمة فكلمة بمنتهى الدقة والضبط مذ سفر التكوين حتى آخر كتاب العهد الجديد والقى النور على الآيات العويصة الغامضة » . وقال مـار يوحنـا فم الذهب : « ان مار افرام هو منبه الغافلين ومعزي الحزانى ومهذب الشبان ومثقفهم وعاضدهم . وهو مرآة للرهبان وقدوة للتائبين وسلاح ذو حدين لردع الملحدين ومجموعة الفضائل وهيكل لمثوى روح القدس ».

ثانياً - مدرسة مار افرام

الفائدة من تصانيفه

شاء الله تعالى الذي « يرفع المتواضعين » ان يتوج مار افرام بمجد وسيم ويعرضه على عصرنا هذا ملفاناً في الحكمة الربانية وقدوة للفضائل المسيحية . ولسنا نرى وقتاً أنسب لتعظيمه وتبجيله من وقتنا هذا وقد نجونا من افظع الحروب واصبحنا على ابواب نظام جديد فتحت تجاه الامم جميعها ولا سيما الشرقية . ومن ثم يترتب علينا وعليكم ايها الاخوة الموقرون وعلى جميع ذوي الارادة الصالحة ان نسعى بمعونة سيدنا يسوع المسيح لتجديد آثار الحضارة الاجتماعية واعادة البشرية الزائغة الى كنيسة

الله الواحدة اعني الكنيسة الكاثوليكية التي ثبتت دون سائر الكنائس والدول راسخة الاركان . وقد اعلن مؤسسها الالهي للقديس بطرس قائلًا : «على هذه الصخرة أبني كنيستي وابواب الجحيم لن تقوى عليها »

مار افرام قدوة الواعظين

ليت جميع الذين انيط بهم تثقيف القريب يتلقنون من القديس افرام ما يلزمهم من الغيرة والتفاني والثبات في الوعظ والارشاد . لانه يتعذر على المؤمنين الحقيقيين ان يثمروا وان تدوم ثمارهم إلم يرتكزوا على دعامة العقائد الدينية الراسخة ومبادئها القويمة .

مار افرام قدوة المعلمين

ويجب على من يتفرغون لتدريس الكتب المنزلة ان يتلقنوا عن الملفان الرهاوي احترام تلك الاسفار الكريمة وان لا يتصرفوا في شرحها طبقاً لآرائهم وخلافاً لتقاليد الكنيسة : «عالمين قبل كل شيء أن كل نبوة في الكتاب ليست بتفسير فرد من الناس . لانها لم تأت نبوة قط عن ارادة بشر بل انما تكلم رجال الله القديسون محمولين بالهام الروح القدس (٢ بط ١ : ٢٠ و ٢١) . وهذا الروح الذي تكلم بفم الانبياء هو عينه يفتح اذهان الرسل لكي يفهموا الكتب (لو ٢٤ : ٤٥) . وهو كذلك اقام الكنيسة لتشرح الوحي وتحافظ عليه لانها عمود الحق وقاعدته (اطيم ٣ : ١٥) .

مار افرام قدوة الرهبان

وبين طبقات الاسرة المسيحية يحق للطبقة الرهبانية خاصة ان تتباهى بالقديس افرام لانه فيها يتلالأ بهاؤه ومجده مثلما سبق فتلالأ في القديس انطونيوس والقديس باسيليوس . ومن الشرق امتدت فروع الرهبنة الى الغرب وادت للهيئة الاجتماعية خدماً جلى . فعلى الرهبان اذن ان يوجهوا الحاظهم الى مار افرام راهب الرها وينسجوا على منواله .

مار افرام قدوة محبي الوطن

ولا بأس ان نلفت انظار كل من تشملهم رعايتكم ايها الاخوة الموقرون سواء اكانوا اكليريكيين ام مؤمنين عامة وخاصة كي يتلقنوا من القديس افرام ان محبة الوطن الدنيوي يجب ان لا تتغلب على محبة الوطن السماوي . وليس الوطن الحقيقي الا ملك الله العلي في نفوس الابرار . فهو مُلكٌ الهيّ بدؤه في الارض واكتماله في السماء .

ثالثاً - اهم ما امتاز به مار افرام من العبادات

تعبده للاسرار ولا سيما لسر القربان الاقدس

يعلّمنا مار افرام ان نبحث عن ينابيع الحياة الباطنة ومصادرها في الاسرار البيعية وفي حفظ الوصايا الالهية وفي الطقوس الكنسية. ومرادنا

الآن ان نعرض لكم ايها الاخوة الموقرون بعض خواطر هذا الملفان في ما ينوط بالذبيحة السرية . فهو يقول : « ان الكاهن يضع المسيح على المذبح ليتحول طعاماً لنا » . ثم يوجه خطابه الى الآب الازلي فيقول : أرسل روحك القدوس ليحل على المذبح ويقدس الخبز الموضوع فوقه فيصير جسد ابنك الوحيد». ويردف مفيضاً في ذكر آلام المخلص وموته ويضع امام عينيه جروحه مصرحاً بان الآب الازليّ يتقبلها فيقول : «ان هذا المعلق على الصليب هو ابنك وهذه ثيابه مضرجة بدمائه . وهذا جنبه مثقوب بالحربة ». فيصغي الآب السماوي الى صوت الكاهن ويستجيب صلاته . (مفاخر الكنيسة الانطاكية البطريركية بقلم البطريرك افرام رحماني) .

وقد وصف مار افرام تأثير الاسرار بعد الموت وصفاً بديعاً متفقاً تفاقاً تاماً مع تعليم الكنيسة على ما حدده المجمع الفلورنتيني عام ١٤٣٩ قال : « ان الله عز وجل يقود نفس المتوفى ويدخلها ملكوته السماوي فتحظى برؤيته وتترصع كحجر كريم في اكليل السيد المسيح . هكذا تستقر تلك النفس بالقرب من الله تعالى وقديسيه ». (نشيد نصيبين) .

تكريم مار افرام للعذراء المجيدة

لا يسع اي لسان مهما كان فصيحاً بليغاً ان يصف شغف مار افرام بالعذراء مريم والدة الله . فقد كتب عنها في احدى منظوماته يقول : « فيك يا ربيّ وفي امك اجتمعت الكمالات برمتها من كل وجوهها . فلا

عيب فيك ولا دنس البتة في امك ! » (نشيد نصيبين ٢٧) . ولقد تغنى كنارة روح القدس هذا بمدائح مريم العذراء غناء حلواً عذباً لا نظير له فوصف الحبل بها بلادنس وبتوليتها الدائمة وامومتها الالهية وحمايتها المفعمة حنواً وعطفاً على البشرية باسرها .

تكريم مار افرام لاحبار رومية

تلوح حماسة القديس افرام وعبقريته في تكلمه عن رومية وعن رئاسة مار بطرس على الرسل اذ يهتف قائلاً : « عليكم السلام ايها الولاة رسل السيد المسيح ! عليكم السلام يا نور العالم ! فان نبراسكم هو يسوع المخلص. اما حامل النبراس فهو بطرس . وزيته هو صنع روح القدس في النفوس. عليك السلام يا بطرس الفاتح ابواب التوبة للخطأة. يا لسان التلاميذ وصوت المرسلين . يا عين الرسل وحارس السماء وحامل مفاتيح الملكوت» . ثم يردف قوله بقوله : « طوبى لك يا شمعون كيفا فانت الرئيس واللسان للجسد المركب من الرسل . انت رأسه وابنا زبدى عيناه » .

ولمار افرام قصيدة ذهبية ينشدها بفم يسوع المخلص موجهاً الخطاب الى نائبه على الارض فيقول : « جعلتك يا تلميذي بطرس ركناً للكنيسة المقدسة . سبقت فسميتك كيفا (الصخرة) لتحمل جميع الابنية . انك انت هو المفتش المنتقد للمزمعين ان يبتنوا لي كنيسة في الارض ـ غير

الكنيسة التي اشيدها عليك ـ فاذا ابتنوا بناء مشوهاً مشوشاً لزم اساسك ان يعارضهم ويردعهم . انك انت مصدر ينبوع تعليمي . وانت رئيس تلاميذي . بك اسقي جميع الامم واشربهم سلسبيل الحياة الخلاصية . اياك اصطفيت الاول في تلمذتي لتكون وارثاً لخزائني . اياك استودعت مقاليد مملكتي . فاصبحت منذ الآن فصاعداً مسلطاً على كنوزي باجمعها!» (مجموعة لامي ١١ : ٤١) .

فلدى تبحرنا في هذه البينات الساطعات الصادعات ينتقل فكرنا الى ابناء المشرق الاعزاء فنشعر بكآبة شديدة عندما نشاهدهم منفصلين عن هذا كرسي مار بطرس المقدس مخالفين في ذلك مبادىء آبائهم وتعاليم ملافنتهم . ونوجه انقى عواطف قلبنا الى ابي المراحم لينعم عليهم كافة بالعودة الى حظيرة بطرس الرومانية . وقد كتب القديس ايريناوس في القرن الثاني للميلاد نقلا عن معلمه القديس بوليقربس تلميذ القديس يوحنا الرسول الحبيب يقول : «نظراً الى ما للكنيسة الرومانية من المقام الاول يترتب على سائر الكنائس وعلى المؤمنين قاطبة في كل الاقطار ان ينضموا اليها » (ايريناوس ١ : ٣ — ٣) .

رابعاً - العرائض المرفوعة الينا

بشأن اعلان مار افرام ملفاناً للكنيسة

وردت علينا في هذه الغضون عريضة وقعها الاخوة الموقرون افرام

الثاني رحماني بطريرك السريان الانطاكي والياس بطرس حويك بطريرك الموارنة الانطاكي ويوسف عمنوئيل توما بطريرك بابل الكلداني يطلبون الينا بالحاح مستندين الى حجج مقنعة لنمنح بسلطاننا الرسولي مار افرام السرياني شماس الرها لقب «ملفان الكنيسة» جمعاء. نضم اليه ما يتبع ذلك من الامتيازات .

ووصلت الينا في الوقت عينه عرائض جمة وقعها كرادلة الكنيسة الرومانية المقدسة وفريق من الاساقفة ورؤساء الرهبنات من كلا الطقسين اليوناني واللاتيني وفيها يرومون ان ندعم عريضة البطاركة المشار اليهم ونؤيدها . ولقد كانت هذه البادرة الجميلة اشهى ما نتمناه ونتوق اليه بكل جوارحنا. فرأينا من ثم ان نرمقها بعين الاعتبار.

القاب الملفان الجديد

ونحن على بينة تامة من ان الآباء الشرقيين المومأ اليهم قد اعتبروا مار افرام وما برحوا يعتبرونه رسولا من لدنه تعالى ومعلماً للحقائق الراهنة وملفاناً للكنيسة . وفي يقيننا ان هذا القديس يتمتع بشهرة واسعة منذ القدم لا عند السريان وعند اخوتهم الكلدان والارمن والموارنة فحسب بل عند اليونان ايضاً . وقد نقلوا الى لغاتهم تصانيف شماس الرها وما فتئوا يترنمون بها في كنائسهم وطقوسهم ويطالعونها في بيوتهم . وما عدا ذلك فان التصانيف الافرامية ذاعت لدى السلافيين والاقباط والحبش ولا سيا لدى السريان اليعاقبة والنساطرة . هذا فضلا

عما لهذا القديس من المقام الشريف في الكنيسة الرومانية وقد ادرجت اسمه منذ القرون الاولى في سنكسارها في اول شباط. وما برحت تفيض في وصف قداسته وعلومه . وفي رومية عينها كنيسة متيمنة باسم العذراء المغبوطة واسمه تأسست في القرن السادس عشر على اكمة فيمينال

وسبق سلفانا السعيدا الذكر غريغوريوس الثالث عشر (١٥٧٢-١٥٨٥) وبندكتس الرابع عشر (١٧٤٠-١٧٥٨) فابديا من الصنائع المجيدة في سبيل الشرقيين ما حملهم على اجلالهما وابداء عواطف الشكر الحميم لهما . لانهما سبقا ففوضا الى قوسيوس والسمعاني ان يتفرغا لجمع مؤلفات مار افرام وينشراها بالطبع تعزيزا للايمان الكاثوليكي وتغذية لتقوى المؤمنين.

ولما افتتح الرهبان البندكتيون مؤسستهم في القدس الشريف تيمنا باسم ماربندكتس ومارافرام اثبت سالفنا بيوس العاشر صلاة قانونية يرتلونها تكريما لشماس الرها يوم عيده اقتطفوا اغلب اجزائها من الطقس السرياني.

ونحن بعدما انعمنا النظر في كل ما سبق استعذبنا ان تضم الى اكليل مار افرام الناسك القديس زنبقة جديدة مبرهنين عما يخالج قلبنا من الحب الرسولي للشعوب الشرقية المسيحية والتفاني في خيرهم وتعزيز شانهم . ولذا فوضنا الى جمعية الطقوس ان تدرس العرائض المشار اليها وتجري ما يوافق ضوابط القوانين المقدسة طبقا للاصول المرعية . فكان جواب الاخ الموقر الكردينال فيكو سكرتير تلك الجمعية محبذا ومؤيدا ما رايناه . ثم توسل الينا ان نلبي طلب اصحاب العرائض المنوه بهم .

اعلان مار افرام ملفاناً

بناء على ما تقدم وبعد استمداد ايد الروح القدوس المعزي رابنا ان نمنح بسلطاننا الرسولي القديس افرام السرياني شماس الرها لقب « ملفان الكنيسة الجامعة » مع كل ما يتبع هذا اللقب المجيد من تكريم وتشريف . وحددنا كذلك ان تحتفل بعيده في ١٨ حزيران جميع الكنائس بمجالي التكريم اسوة بسائر ملافنة الكنيسة الكاثوليكية .

آمالنا

على ان قلبنا يطفح بهجة وحبورا ايها الاخوة الموقرون بمنحنا شرف الملفنة ومجدها للقديس افرام السرياني . معتقدين ان الاسرة المسيحية المنتشرة في الاصقاع باسرها تجد فيه شفيعا مشفعا ومحاميا قديرا لدى المراحم الالهية . ولا ريب ان اولادنا كاثوليكيّي المشرق يلاحظون في تقريرنا هذا برهانا جديدا على عنايتنا الخصوصية ويرددون في اذهانهم تعطف الاحبار الرومانيين على الكنائس المنفصلة عنهم . ومن ثم نبتهل اليه تعالى بكل قلبنا ان يزيل بشفاعة مار افرام الملفان الحواجز التي تعترض قسما كبيرا من القطيع المسيحي وتقصيه عن الصخرة البطرسية السرية التي عليها اسس يسوع الفادي كنيسته . ليت شموس ذلك اليوم السعيد تلوح قريبا فتتّحد القلوب جميعها وتصبح الحظيرة كلها واحدة وراعيها واحدا !

وعربونا للنعم السماوية وبرهانا على مودتنا الابوية نمنحكم البركة الرسولية بكل قلبنا ايهـــا الاخوة الموقرون ونمنحها كذلك للاكليرس وللفيف المؤمنين المستودعين لعنايتكم اجمالا وافرادا .

اعطي في رومية قرب القديس بطرس في الخامس من تشرين الاول ١٩٢٠ وهي السنة السابعة لحبريتنا .

البابا بندكتس الخامس عشر

بعد اثبات هذه البراءة الذهبية لسنا نرى الا ان نحني الرؤوس معربين عن اعمق عواطف الامتنان لهذا الحبر الروماني العظيم الذي طوق جيد الملل الشرقية ولا سيما الملة السريانية بقلادة ثمينة نفيسة جداً . وغمرها بعناية ابوية ومواهب سخية . وانقذها من غوائل فتاكة في اثناء الحرب الطاحنة التي استغرقت اربعة اعوام (١٩١٤ - ١٩١٨) واحدثت ما احدثت من الخراب والدمار في الارواح والبلدان . معتقدين اعتقاداً تاماً ان روح ابينا مـــار افرام السرياني الملفان ترحب بروحه النقية في الغبطة الابدية فيتفقان معاً على تأدية فروض التمجيد والتسبيح والسجود للثالوث الاقدس الآب والابن والروح القدوس الى دهر الداهرين آمين .

ترحيب البطريرك افرام رحماني بالبراءة البابوية

حدّث ولاحرج عما خالج قلب البطريرك افرام رحماني من عواطف البهجة والشكران لابي المؤمنين العام . فقد رحب ببراءته الرسولية الموما اليها ترحيبه باثمن هدية وانفسها وعاد الى بلاد المشرق ترقص جوانحه رقصة الظفر والانتصار وكتب عام ١٩٢١ رسالة جميلة اذاعها في الابرشيات اللائذة بكرسيه الانطاكي معربا عن حميم امتنانه لخليفة شمعون كيفا البابا بندكتس الخامس عشر الطيب الاثر مفيضا في وصف حياة ابينا مار افرام الملفان متبسطا في ذكر تصانيفه الوافرة المنطوية عـــلى خلاصة العقائد الكاثوليكية القويمة محرضا اولاده قاطبة ان يتخذوهـــا دستورا لاعمالهم ويلوذوا بشفاعة ابيهم الملفان المجيد في خطوبهم ومحنهم . وطالما سمعناه يردد هذه العبارة الجميلة في حديثه ويقول : « حسبي اني فزت بما كنت اتوق اليه منذ امد بعيد . واني لواثق بشفاعة مار افرام سمي ان افوز بالحظوة لدى الله تعالى ربي في السعادة السماوية ! » .

وهذا نص الرسالة البطريركية :

« البركة الالهية التي حلت على الرسل الاطهار في الغرفة الصهيونية فلتحل وتستقر على اخوتنا رؤساء الاساقفة والاساقفة الجزيل احترامهم وعلى اولادنا الخوارنة والقسوس والشمامسة والاراكنة ولفيف الشعب الاعزاء آمين .

المثلث الرحمات اغناطيوس افرام رحماني
بطريرك السريان الانطاكي

يعجز اللسان عن وصف ما يبديه الحبر الاعظم البابا بندكتس الخامس عشر من العطف الابوي نحو كنائس المشرق ابتغاء رفع شانها وتوحيد كلمتها واعادتها الى سالف عزها ومجدها . فانشأ لذلك « مجمع الكنيسة الشرقية » في رومية العظمى واصطفى رهطـــا من افاضل الكرادلة والمستشارين لينهضـوا بادارته تحت اشرافـــه . ثم اضاف اليه « المعهد الحبري العلمي الشرقي » واناط شؤونه باشهر الاساتذة لتثقيف نخبة من الاكليروس غربيين وشرقيين يتمرنون على درس المواضيع المتعلقة بالكنائس الشرقية منذ نشأتهـا حتى يومنا . ويطالعون اخبار شهدائها وملافنتها وقديسيها . ويتعمقون في درس ليترجياتها وحوادثها وما جرى لها على تعاقب الاعصار . ثم يبذلون الجهد في استمالة الاخوة المنفصلين وانضمامهم الى الكنيسة الواحدة الكاثوليكية اسوة بآبائهم واجدادهم الاقدمين .

وقد شاء الحبر الاعظم الموما اليه اعلانا لامانيه هذه المقدسة ان يعمم في يومنا تكريم احد ملافنة الكنيسة الشرقية وقديسيها المشاهير اعني مار افرام السرياني فايد تقرير آباء مجمع الطقوس الصادر في ٢٧ تموز الماضي باحصاء هـــذا القديس في جملة ملافنة البيعة الجامعة . وعزز تاييده هذا ببراءة حبرية بديعة مؤرخة في ٥ تشرين الاول ١٩٢٠ وجهها الى العالم الكاثوليكي اجمع انطوت على وصف حياة ابينا مار افرام في كلتا الناحيتين التقوية والثقافية فذكر اعماله النسكية واعتكافه على مطالعة الكتب المنزلة ووصف تآليفـــه التي اربت عـــلى ٣٠ ربوة من الابيات الشعرية .

وصرح بانه كان قدوة للواعظين والمعلمين والرهبان . واورد شذرات من تآليفه في وصف القربان الاقدس ومحبته للعذراء المغبوطة واعتقـــاده برئاسة احبار رومية العليا .ثم ختم البراءة معربا عما شمل قلبه الابوي من البهجة باعلانه مار افرام السرياني ملفانا للكنيسة الجامعة وجعله اليوم ١٨ من حزيران تذكاراً له في جميع الكنائس الشرقية والغربية .

امـا نحن فبعد ابدائنا اخلص عواطف الامتنان لامام الاحبار وابي المؤمنين العام راينا ان نوجه اليكم ايهـا الاخوة الاجلاء والابناء الاحباء رسالتنا هذه لنعرب لكم عما شمل قلبنا من البهجة والحبور اذ فزنا بالامنية التي طالما رمنـا الحصول عليها فاصبح القديس افرام كنبراس يتلألأ في منارة البيعة الجامعة ويضيء بانوار تعاليمه وحكمه جميع بنيها . ونغتنم هذه الفرصة لنحدثكم بثلاث مزايا تحلى بها هذا الملفان المجيد وهي ١ً ـ ايمانه ٢ً ـ تعاليمه ٣ً ـ فضائله .

١ ـ ايمان مار افرام

اعتقد مار افرام اعتقاداً راسخا بان الايمان هو مبدأ الخلاص ودعامة التبرير لاحراز الحياة الابدية. فجعل يطالع اسفار العهدين القديم والجديد ويتبحر في آياتها ونصوصها ويشرحها شرحا مستوفى . وقـــد شبهها في بعض منظوماته بثديين (نشيد ٤ : ٥) يرتشف منهـــما المؤمنون حليب الحياة الابدية . وطالما كرر يقول : « اني آمنت بالعهدين القديم والجديد

وجعلتها دستورا الكتاباتي » (١)

فاثناسيوس الاسكندري مثلا وباسيليوس القيصري وفم الذهب درسوا اولا على علماء اليونان. اما مارافرام فلم يتخذ له معلما الا الكتاب المقدس. فاكب على مطالعته واقتبس الحكمة الالهية من معادنه. وما ان ظهرت تآليفه حتى اخذ المؤمنون يتلونها في مجتمعاتهم. وقد حذا مار افرام حذو مؤلفي الاناشيد والمزامير فنظم قصائد سديدة المعاني موقعة على ١٥٠ لحنا عنوانها المداريش او المدارج. ولذا سمي بكل صواب « كنارة الروح القدس ».

واقتصر في تآليفه على وصف الاسرار الفائقة الطبيعة والتدابير الخلاصية فنظم القصائد الرنانة في تجسد ابن الله عز شانه وفي ميلاده وعماده وصومه ومعجزاته ورسمه القربان الاقدس وآلامه وقيامته وصعوده وحلول روحه القدوس على رسله. وكتب الشيء الكثير عن مناقب العذراء المغبوطة وعن الرسل والشهداء والمعترفين وتأبين الموتى المؤمنين. ووصف وصفا مشبعا البتولية والكنيسة المقدسة والفردوس. واسترسل في وصف الايمان المسيحي واطلق عليه عنوان « اللؤلؤة » الثمينة. ثم قصد القصائد في تزييف مزاعم اراتقة عصره. وروى بعضهم ان عدد منظوماته اناف على ١٢ الف منظومة. وقال سوزومان المؤرخ انها بلغت ثلاثين ربوة.

---

(١) اورد البطريرك افرام رحماني المغبوط في منشوره هذا بينات اقتطفها من تآليف مار افرام في جميع المواضيع المذكورة في المتن اضربنا عن اثباتها هنا لاننا سبقنا فروينا الشيء الكثير منها في القسم الثاني من كتابنا هذا.

وسبك مار افرام الملفان منظوماته البديعة سبكا محكما ينعش في قلوب مرنميها روح الايمان المقدس . فكاننا نلاحظ فيها مرآة الكتاب المقدس برمته في كلا عهديه . وكأن اياتها المنزلة قد امتزجت بمهجته ورسخت في ذاكرته . واسكرته طلاوة عباراتهما وسمو معانيهما .

ومن لطائف منظوماته تشبيهه هدية غلام ابرهيم لرفقة اعني الخرص الذهبي والسوارين بالكنيسة خطيبة السيدالمسيح الـتي يتناول اولادها جسده المقدس على يدهم ويدبجون مسامعهم بمواعيده (تكوين ٢٤:٢٢). وقس عـلى ذلك تشبيهه غنم يسوع المسيح عند قبولهم سر العماذ بغنم يعقوب المختلفة الالوان (تكوين . ٣٠ : ٣٩) .

وافرغ مار افرام كل جد وجهد في الذب عن حقائق الايمان المقدس فزيف البدع التي شاعت في عهده وفي الرها وضواحيها ولاسيما بدعة ماني ومرقيون وبرديصـان واريوس وسائر من لف لفهم من الملحدين الذين عاشوا بعدهم .

ونسج مار افرام على منوال موسى الكليم فانتقى زمرة من العذارى الورعات ومرنهن على ترنيم قصائده في الكنائس والمآتم والاندية. وكان المؤمنون يتسابقون افواجا افواجا الى استماعها والترنم بها في بيوتهم .

وسبق مار افرام الملفان فجاهر بايمانه بطبيعتي ابن الله المتجسد فقال «ان القمرهو سر ناسوتك والشمس سر ربوبيتك فالطبيعتان المحتجبتان بك

يا ربي سبقتنا فاشارتا الى صليبك »

ووصف مار افرام قداسة العذراء مريم المغبوطة وطهارتها من كلّ وصمة فقال مخاطباً يسوع ربنا « انك انت وحدك وامك تسموان جداً وتفوقان الجميع. اذ لا عيب فيك ولا شائبة في أمك»(١). وقال كذلك: « نسجت مريم حـلة المجد ووشحت بها اباها الذي تعرى بين الاشجار . وسترت عريه . فحواء امرأته أسقطته والعذراء ابنته أنهضتـه فانتصب جذلا مسروراً » (٢) .

وبرهن مار افرام عن الخطيئة الاصلية التي عمت البشر كافـة (٣) وأيدضرورة النعمة وسر الاعتراف وسعادةالقديسين وشفاعتهم واستفادة الموتى المؤمنين من القرابين والصلوات التي تُتلى لاجلهم . وذكر كذلك العقاب الموقت المحتوم على النفوس الملوثة ببعض النقـائص الخ الخ .

٢ - تعاليم مار افرام

هذاهو ايمان مار افرام وهذههي مناضلته عن حقائقه سراًوجهراً طيّ كتاباته الخالدة وفي مواقفه الشريفة . وحسبه انه عمل كما علـّم . فكما اعتقد ان الايمان المسيحي واحدهكذا اقتنع بان الكنيسة المسيحية يجب

(١) مداريش نصيبين طبع بيكل : صفحة ٤٠ (٢) لامي ٢ : ٥٢١

(٣) مخطوطة لندن ١٤٥١٢ ورقة ٣٧٠

ان تكون واحدة ورئيسها الاعلى واحداً . وطالما جاهر بتعظيمه وطاعته لتلك الرئاسه وتعلقه الوثيق بها . وقرر بانها متسلسلة في احبار روميـة خلفاء شمعون بطرس ابن يونا الذي على صخرته ابتنى مؤسس الكنيسة كنيسته الواحدة وقلده رعاية قطيعه الواحد اعني خرافه ونعاجه وكباشه (١)

وشبه مار افرام كنيسة السيد المسيح الواحدة وانتشارهـا في جميع الاقطار وشمولها الامم جمعاء بالحجر الذي رآه دانيال والسحابة التي رآها ايليا فقال : « ان الحجر الذي رآه دانيال ملأ الارض بأسرها والسحابة التي رآها ايليا امتدت وصارت رمزاً الى البشارة الانجيلية التي انتشرت في كل الامم وسكبت غيوثاً وافرة وامطاراً غزيرة اروت عطش الشعوب ».

وقرر مار افرام كذلك في وصفـــه آباءنا الرسل العظام ان الكنيسة الواحدة ورئاستها الواحدة منتمية الى مؤسسها يسوع الفادي لا الى افلو وبولس وبطرس ولا الى اشياع الاراتقة واتباعهم .

٣ ـ فضائل مار افرام

لم يقتصر مار افرام الملفان عـــلى التآليف والشروح بل بذل قواه كلها في تزيين نفسه باسمى الفضائل. فمذ تتلمذ لمعلمه مـــار يعقوب اسقف نصيبين اتخذ دستورا لاعماله قول يسوع مخلصنـا : « من اراد ان يتبعني

---

(١) يوحنا ٢١ : ١٥ ومداريش البتولية ٤٦ ومدراش الرسل

فليكفر بنفسه ويحمل الصليب ويتبعني » (مرقس ٨ : ٣٤) . فناهض الشهوات الدنيا وذلل جسده بالاصوام والاسهار وضروب القشف . وتيسر له ان يقول : « جعت مراراً جمة كنت في حاجة الى الطعام . ولكني تمنعت عن المآكل لافوز بالطوبى المعدة للصائمين (١) ... واتخذ لسكناه مغارة حقيرة في جبل الرهـــا واكتفى لكسوته بثوب بالٍ . وروى المؤرخون انه حينما دخل كنيسة قيسارية عرفه مار باسيليوس بالهام الروح القدس وارسل رئيس شمامسته في طلبه. ولكن الشماس لما شاهد ثيابه غلب على ظنه انه ليس هو الذي يطلب القديس حضوره .

ومما يبرهن عن تجرده وزهده في الحطام الدنيا تصريحه في وصيته الاخيرة بقوله : اني لم اقتن ذهبا ولا فضة لاني سمعت يسوع ربنا يقول لاتقتنوا شيئا للطريق (٢) . وقد نهى المؤمنين ان يوشحوا رفاتـــه بعد وفاته بديباج . وان يدفنوه بقبعه وعباءته فقط .

وامتاز مار افرام بصبره واتضاعه حتى انه لما اتهم تهمة شنيعة اكتفى بان يقول لمار يعقوب معلمه : « يا ابت اني رجل خاطئ » . وظل يردد هذه العبارة حتى الهمه الروح القدس ان يبرئ نفسه من تلك التهمة . ولما عرض عليه مار باسيليوس ان يرقيه الى الرتبة الكهنوتية تمنع دلالة على تواضعه .

---

(١) راجع هذا الكتاب ٧٣

(١) راجع هذا الكتاب : صفحة ٧٥

وقرن مار افرام تواضعه بشفقته على المساكين ولا سيما لما اشتدت المجاعة في الرهـا . فقد غادر اذ ذاك صومعته وجعل يختلف الى ابواب الاغنياء يسالهم ان يغيثوا المنكوبين . هكذا جمع مبلغاً وافرا تمكن بواسطته ان يكشف الضيم عن البائسين .

نكتفي بهذا النزر اليسير ضاربين الصفح عن تعداد سائر الفضائل التي امتاز بها هذا القديس العظيم والملفان الكبير وندعوكم ايها الاخوة الجزيلو الاحترام والاولاد الاعزاء ان تقدروا قدر المجـد الوسيم الذي احرزته كنيستنـا السريانية باعلان الحبر الاعظم البابا بندكتس الخامس عشر ملفانها مار افرام ملفانا للبيعة الجامعة باسرها وتعزيزه مقامه ونشره مآثره في براءته الحبرية . فيجب عليكم اذا ان تتخذوا هذا الملفان المجيد مثالا وقدوة لكم . وتتاملوا في اقواله العسجدية كيما ينتعش في قلوبكم روح ايمانه الحي وتزدادوا نظيره تعلقا بالكنيسة الكاثوليكية واعتصاما برئيسها الحبر الاعظم خليفة مار بطرس رئيس الرسل . وتتنافسوا في احراز ما احرزه من الفضائل السامية .

وقبل ختام رسالتنا هذه نروم ان نوجه صوتنا الى اخوتنا السريان المنفصلين ونسالهم ان يشاطرونا الافراح التي حصلت لنـا وان يحسنوا التروي في مؤلفات مار افرام فيجدوا فيها ما يؤيد عقائد الايمان التي تعلمها الكنيسة الكاثوليكية ويقرر حقيقة كنيسة السيد المسيح بصفاتها وعلاماتها الاربع الممتازة . ويسارعوا الى سماع الكلمات الذهبية التي

فاه بها البابا بندكتس الخامس عشر الجالس سعيدا في خاتمة براءته المشار اليها اذ قال: «لاريب ان اولادنا كاثوليكيي المشرق يلاحظون في تقريرنا هذا برهانا جديدا على عنايتنا الخصوصية ويرددون في اذهانهم تعطف الاحبار الرومانيين على الكنائس المنفصلة عنهم . ومن ثم نبتهل اليه تعالى بكل قلبنا ان يزيل بشفاعة مار افرام الملفان الحواجز التي تعترض قسما كبيرا من القطيع المسيحي وتقصيه عن الصخرة البطرسية السرية التي عليها اسس يسوع الفادي كنيسته . ليت شموس ذلك اليوم السعيد تلوح قريبا فتتحد القلوب جميعها وتصبح الحظيرة كلها واحدة وراعيها واحدا!» .

وعربونا لمودتنا الابوية ودعائنا الى الله تعالى في شانكم نمنحكم تكرارا البركة الرسولية والسلام الوافر .

صدر عن قلايتنا البطريركية ببيروت في ١٢ شباط ١٩٢١ وهي السنة الثالثة والعشرون لبطريركيتنا

اغناطيوس افرام الثاني
بطريرك السريان الانطاكي

هذا . وانشأ البطريرك المغبوط صلاة قانونية كاملة فرض تلاوتها يوم ١٨ حزيران ونشرها عام ١٩٢٣ في المطبعة البطريركية بدير الشرفة .

القسم الخامس

تركة مار افرام العلمية

١ ـ احصاء المؤلفات الافرامية

لم يقتصر مار افرام المغبوط على ممارسة اعمال الرهبنة كالصوم والصلاة العقلية واللفظية وعلى السهر والقناعة بكسوة حقيرة والرقاد على الحضيض والتفاني في خدمة المنكوبين ومناهضة زعماء الاراتقة الملحدين : بل أرصد بعض اوقاته للمطالعة والتدريس والتصنيف ونظم القصائد الوافرة في مختلف الاوزان الشعرية والمواضيع الدينية والعلمية والثقافية . هذا كله فضلا عن شروح الكتاب المقدس البالغة حد الكثرة بحيث ان رهطاً من جهابذة العلماء المدققين صرّح بانه لو فقدت ترجمة الكتاب السريانية الاصلية لتيسر جمع نصوصها من تصانيف ابينا مار افرام . ومن ثم فلا غرابة اذا قلنا ان تاليفه الثمينة عُدّت في كنائس الشرق عموما بمثابة الاسفار المنزلة . بل أفضى الغلو باحد النساخ فحك نسخة من الاناجيل السريانية السطرنجيلية مكتوبة على رق غزال في اوائل القرن الخامس وكتب عليها قصائد ابينا مار افرام . وهذه المخطوطة النفيسة تُعد رابعة

المخطوطات الخمس العريقة في القدم . وهي مصونة في مكتبة باريس الاهلية بعنوان « النسخة الملكية الافرامية » (١) .

وانطوت مخطوطة المكتبة الواتكانية الثمينة المنسوخة عام ٥٢٣ م والموسومة بالرقم ١١١ على ٢٦١ قصيدة افرامية . منها ٥٢ قصيدة في وصف الكنيسة و٥١ في البتولية (٢) و٨٧ في الايمان و٥٦ في دحض مزاعم الاراتقة و١٥ في الفردوس . واشتملت مخطوطتا المكتبة المشار اليها على بعض تلك القصائد وهما موسومتان بالرقم ١١٢ و١١٣

وهنالك منظومات افرامية غيرها كالمنظومات المشهورة بعنوان «مدارج نصيبين» وعددها ٧٧ منظومة هي باكورة منظومات مارافرام وقس عليها ٢٤ منظومة في تقريظ اعمال القديس بوليان الشيخ(+٣٦٧) و١٥ منظومة في وصف مار ابراهيم القيدوني الحبيس (+ ٣٦٦) و١٢ منظومة في يوسف الصديق ابن يعقوب رجح الكثيرون من الخبراء انها من قلم مار افرام(٣) .ومنها مجموعة معتبرة في حض المؤمنين على الصلاة حين احتباس الامطار وانقطاعها (٤).ومجموعة ثانية في وصف صوم نينوى جرى استعمالها في الكنيسة السريانية والكلدانية حتى يومنا .

---

(١) المشرق ١٤ : ١٩١١ : ٤٢١ مقال الاب انطون رباط اليسوعي .

(٢) نشرها البطريرك اغناطيوس افرام رحماني مع ترجمة لاتينية .

(٣) نشرها الاب بولس بيجان عام ١٨٩١ في ٣٦٨ صفحة .

(٤) نشرها البطريرك اغناطيوس افرام رحماني

وقسم بعضهم منظومات مار افرام ثمانية اقسام : ١ً – في تأييد عقائد الكنيسة الكاثوليكية واسرارها ٢ً – تفنيد مزاعم الاراتقة ٣ً – وصف المواسم الربانية كميلاد المخلص ودخوله الهيكل وعماذه في نهر الاردن وصومه وفصحه وقيامته وصعوده وحلول الروح القدس على رسله وتجليه في طور تابور وارتفاع صليبه الكريم ٤ً – وصف اعياد العذراء المغبوطة كميلادها وبشارتها وزيارتها لا ليشبع نسيبتها وتهنئتها بميلاد وحيدها وانتقالها الى السماء ٥ً – وصف مشاهير الشهداء والآباء القديسين ٦ً – حكم وامثال نقلها عنه وائتلفها نصارى سوريا وما بين النهرين ٧ً – ذكرى الموتى المؤمنين والصلاة لراحة نفوسهم ٨ً – وصف المائدة الخ الخ .

وهذه المنظومات الافرامية تتكسر اوزانها على خمسة اقسام ١ً – منظومات مركبة ابياتها من سبع حركات معروفة باسمه وهي اغلبها. ٢ً – منظومات مركبة من خمس حركات . ٣ً – قصائد مركبة من حركات متفقة الوزن يستعملها السريان والكلدان وبخاصة الموارنة ٤ً – مدارج او محاورات وهي مختلفة الاوزان أحصى منها المستشرق توما لامي ٧٥ شكلًا تستعملها الكنيسة السريانيّة والكلدانيّة في فروضها البيعية وتعرف ضروبها من عناوينها . ٥ – منظومات رتبها الملفان طبقاً للحروف الابجدية كمنظومة عيد الميلاد المجيد. او وفقاً لحروف اسمي يسوع المسيح الكريمين (١) . او طبقاً لحروف اسم افرام الخ .

---

(١) كتاب الفرض البيعي الكلداني ١ : ٣٥ والمشرق ٤١ : ١٩٤٧ : ٢٢٤

وجماع القول ان مار افرام الملفان الكبير لم يدع باباً من ابواب اللغة والشعر والفنون الجميلة الا طرقه . ولا منهجاً من مناهج الفصاحة والبلاغة الا سلكه . فقد سبق فعرف ان الانغام والترانيم اسرع نفاذاً الى القلوب واقربها امتزاجاً بالنفوس واسهلها استيلاء على العقول . فتوسع في نظم البحور والمقطعات والموشحات الرقيقة السهلة المأخذ . واسترسل في ضروبها واوزانها وفنونها حتى بلغ بها الغاية التي ليس بعدها غاية. وكان لها ما كان من الاثر الحسن والشعور النقي في نفوس المؤمنين عامتهم وخاصتهم . وحسبه فخراً انه هو اول من ابتكر فن الموسيقى البيعية. وعنه نقل آباء اليونان واللاتين اوزانهم الشعرية والدينية . وقرر البابا بندكتس الخامس عشر الخالد الاثر في براءته الرائعة بشأن ملفنة مار افرام أن الاناشيد البيعية الموزونة وما أدمج فيها من روعة وابهة مقتضبة عن موسيقى مار افرام الملفان . وعنه نقلها فم الذهب الى قسطنطينية ومار ايرونيموس الى ايطاليا . ثم نقحها البابا غريغوريوس الكبير وبلغها منتهى الرونق والدقة والكمال . وصنع مار افرام هذا المبتكر الباهر خلد له اجمل تذكار في قلوب اقطاب الموسيقيين الشرقيين والغربيين . وجاد على الكنيسة السريانية خصوصاً بثروة من أوفر الثروات واثمنها .

وما عدا تلك المنظومات الوافرة العدد والمختلفة الاوزان والمواضيع

فقد انصرف مار افرام الملفان النابغة الى شرح العهدين القديم والجديد . ويُعد شرحه هذا من أقدم شروح الآباء المعوّل عليها. وتولى الاب بطرس مبارك اليسوعي الماروني عام ١٧٣٧ و١٧٤٠ نشر شروح أسفار التكوين والقضاة وصموئيل والملوك في ٥٦٧ صفحة . اردفهـا بشروح سفر ايوب والانبياء الكبار والصغار في ٣١٢ صفحة ضم اليها بعض مداريش الملفان في مختلف المواضيع الكتابية والدينية ولا سيما في وصف ميلاد المخلص ومناغاة العذراء المغبوطة لطفلها الالهي المجيد وفي وصف عيد الانوار الخ. واردفها بثلاث وعشرين قصيدة في دحض المزاعم الباطلة وفي تبشير آبائنا الرسل .

ثم نشر السيد اسطفان عواد اسقف افاميا الماروني عام ١٧٤٣ قصائد مار افرام في الايمان وهي ٨٧ قصيدة شفعها بسبع قصائد في لؤلؤة الايمان و٨٥ قصيدة في الموتى و٤ قصائد في الحرية و٧٦ قصيدة في التوبة و١٢ قصيدة في الفردوس و٧٨ قصيدة في مختلف المواضيع ختمها بقصيدته في وصف صوم نينوى .

ثم ان مار افرام الملفان شرح الاناجيل الاربعة التي ضمها ططيان الآثوري عام ١٧٠ في انجيل واحد باللغة السريانية واشتهرت فيما بعد باسم «دياطسرون» . وشرح كذلك اعمال الرسل والرسائل البولسية. الا ان هذه الشروح ضاع اصلها السرياني وحفظ نقلها الارمني وتولى نشره منذ السنة ١٨٩٣ الرهبان الارمن الميكيتاريون في مطبعتهم الشهيرة بالبندقية.

ولمار افرام الملفان مؤلف بعنوان « كتاب الآراء» . منه مخطوطة

منسوخة عام ٨٧٦م مصونة في مكتبة لندن . ومؤلف ثانٍ ضمّنه «قوانين رهبانية» اورد ذكره القديس غريغوريوس اسقف نيصص فُقِد اصله السرياني وحفظ نقله اليوناني .

وذكر سوزومان (+ ٤٢٣) المؤرخ اليوناني (١) ان ابيات مار افرام الشعرية اوفت على ثلاثين ربوة . وصرح بقوله ان كل مديح وتقريظ قاصر عن اطراء مار افرام السرياني مفخرة الكنيسة الكاثوليكية وعنوان مجدها . فقد ترجمت مصنفاته وهو حي الى اليونانية ولم يفرغ بعد من ترجمة باقيها . ومن محاسنها ان ترجمتها لم تفقدها شيئاً من مسحة فصاحتها الفطرية . فهي اذا قرئت باليونانية احدثت نفس التأثير والاعجاب الذي تحدثه قرأتها في اصلها السرياني (٢) .

وذكر المفريان غريغوريوس ابن العبري في جملة الكتب التي تتلى في البيعة ٢١٤ قصيدة من قصائد مار افرام ومار اسحق (٣) اخيرا كتب العلامة مار اقليميس يوسف داود مطران دمشق السرياني (+ ١٨٩٠) ما نصه : اشتهر في القرن الرابع علم عظيم فاق الاولين والآخرين وهو افرام الرهاوي السرياني اجل ملافنة البيعة السريانية الذي يسوغ لنا ان نسميه اول شعراء السريان واجلهم وانبغهم . وبه اقتدى الكثيرون من فحول الشعراء السريانيين الذين اتوا بعده . الا انه لم يقدر احد منهم ان يدرك ما ادركه افرام من الفصاحة والبلاغة والسعة . ومنظوماته

---

(١) التاريخ البيعي ٣:١٥ (٢) تاريخ الآداب السريانية تاليف المونسنيور بولس السمعاني ٢:٢٩ (٣) الهدى : طبع الاب بولس بيجان ٧ : ٩ صفحة ١٠٥

لا تحصى ولا يُعرف عددها لكثرتها العجيبة الفائقة كل وصف . حتى انه لا يتيسر الى الآن استقصاؤها باجمعها مع كثرة الهمة والاتعاب والنفقات التي صرفت في التنقيب عنها . وافرام هـو صاحب الوزن الشعري اي البحر المعروف باسمه والمشهور بالافرامي . غير ان افرام لم يقتصر في نظمه عـلى هذا البحر فقط لان الابحر التي استعملها في مداريشه لا تكاد تحصى عداً » (١) .

ذلك كله برهان جليّ على ما منح الروح من المواهب السخية لابينا مار افرام المغبوط حتى اطلق عليه اقطاب الملافنة وارباب العلماء ما اطلقوا من الاوصاف والنعوت الممتازة النادرة التي اثبتناها في مقدمة كتابنا وكفى .

٢ ـ المستشرقون وتصانيف مار افرام

استيقظ علماء المغرب واطلعوا على ماتضمنته تصانيف ابينا مار افرام من الفوائد الجلى في مختلف المواضيع الدينية والادبية . فجعلوا يبحثون عنها اقتداء باحبار رومية العظام ويدرسونها ويمعنون في قراءتها ويتبحرون في معانيها وينقلونها الى اللغـات اللاتينية او الفرنسية او الانكليزية او الالمانية وغيرها . نذكر في طليعتهم الاب سيليـــة Ceillier الراهب البندكتي الشهير الذي اكب على درس تركة مار افرام الكتابية درساً عميقاً مدققاً . فصحح ونقح ترجمات الاب بطرس مبارك والسيد اسطفان

(١) اللمعة الشهية في نحو اللغة السريانية ٢ : ٣٨٤–٣٨٥

عواد . ونشر ترجمته عام ١٨٦٠ في باريس في ٦ مجلدات جاءت أدق وأضبط مما سبقها .

ثم نشر يوسف اوفربك في اكسفرد عام ١٨٦٥ اربع منظومات مار افرام في بوليانس الجاحد (٣٦١ – ٣٦٣) اردفها ببعض رسائله وشروحه وتفنيده مزاعم اراتقة عصره وختمها بوصيته الاخيرة .

وفي السنة ١٨٦٦ نشر المستشرق غستاف بيكل «مدارج نصيبين» وهي ٧٧ قصيدة المعنا اليها في غير هذا المحل . ثم نشر توما يوسف لامي عام ١٨٨٢ في مالين ما نشره المعلم بيكل وضم الى ذلك ٢٤ قصيدة في وصف مار افرام لمناقب مار يوليان الشيخ صاحب دير القريتين و١٥ قصيدة في تعداد مناقب مار ابراهيم القيدوني الناسك الخ . ذلك كله في اربعة مجلدات .

ونشر الاب بولس بيجان المرسل اللعازوي في ليبسيك عام ١٨٩٢ سيرة ابينا مار افرام في المجلد الثالث من اخبار الشهداء والقديسين اردفها بقصيدة مار يعقوب السروجي في تقريظ مار افرام من الوجهة العلمية . ونشر كذلك في كتاب الفرض البيعي الكلداني بعض الميامر الافرامية . ثم نشر وصية مار افرام الاخيرة . وسبق فنشر كذلك عام ١٨٩١ اثنتي عشرة قصيدة افرامية في يوسف بن يعقوب رجح اغلب علماء الاستشراق انها بقلم مار افرام .

ثم نشر المستشرق روبنس دوفال الفرنسي في باريس عام ١٩٠٧

اخبار مار افرام من الناحية العلمية في كتابه «الآداب السريانية» ونحا نحوه الاب لابور والاب يوحنا شابو . ثم المستشرق انطوان بومشتارك الالماني والمستشرق وليم ريت الانكليزي .

هذا فضلاً عما نشره العلامة زينجرل عام ١٨٦٨ و١٨٧١ والعلامة نلدك عام ١٨٨٢ و١٨٩٧ وغيرهما من المستشرقين مثل دونكان جونس وهفنر وسيفرت وهيلمان ولاسيما العلماء البولنديون في لوفان وفي طليعتهم الاب بيترس اليسوعي (+ ١٩٥٠) .

وما برحت مكتبات الغرب والشرق تحوي مخطوطات جمة ضمت تآليف ابينا مار افرام . اشهرها وأقدمها مخطوطات المكتبة الواتيكانية فمكتبة المتحف البريطاني بلندن فمكتبة باريس فمكتبة برلين فمكتبة كسفورد الخ الخ .

٣ ـ تصانيف مار افرام المنقولة الى العربية

صانت مكتبات الغرب والشرق بضع مجلدات عربية انطوت على تصانيف ابينا مار افرام منقولة الى اللغة العربية . نذكر منها ٥٢ ميمراً نقلت عن اليونانية وختمت بمديح القديس غريغوريوس اسقف نيصص . وقد سبقنا فاشرنا الى ذلك . ومن هذه الميامر العربية مخطوطات ثمينة في المكتبة الواتيكانية وفي لندن واكسفرد وفي المكتبة الشرقية ببيروت ومكتبة دير الشرفة بلبنان . ومكتبة الكلدان بديار بكر

ومنها ٦٨ ميمراً محفوظة في مخطوطة المكتبة الواتكانيـــة تاريخ نساختها عام ١٣٢٥ م .

ومنها ١٦ مقالة في آلام سيدنا يسوع المسيح وشرح سفر التكوين محفوظة في مكتبة الموارنة بحلب موسومة بالرقم ٤٧

ومنها مجموعة عربية من ميامر مار افرام محفوظة في كنيسة السريان اليعاقبة بدمشق . ومجموعة ثانية اشتملت على ميامر مار افرام مضمومة الى ميامر مارقرلس الاورشليمي ومارقرلس الاسكندري ومارباسيليوس

هذا ما عدا شروحاً افرامية جمة وردت في عدة مخطوطـات عربية نضرب عن ذكرها .

وقد اوجز المستشرق الفرنسي (E. Le Cameus) لوكامس اخبـار مار افرام الملفان فقال ما خلاصته :

«يعدّ مار افرام من جهابذة ملافنة الكنيسة العظام . ولد نحو السنة ٣٠٨ في نصيبين وتوفي في ٩ او ١٨ حزيران ٣٧٣) في الرها . ومنذ نعومة اظفاره تتلمذ لمار يعقوب اسقف نصيبين (٣٠٩ - ٣٣٨) وعلى اثر وفاة معلمه ارتحل الى الرها وكانت يومئذ مركزاً للدين والعلم . متفقة في مبادئها وتعاليمها مع جامعة انطاكية . واشتهرت مدارسها على يد مار افرام شهرة واسعة . وتوشح مار افرام بالاسكيم الرهباني على يد ناسك شهير (مار بوليان الشيخ) . ومارس اقسى اعمال الزهد والقشف في جبل الرها . وكان يعلّم ما يعمل .

« وصنف مداريش لمواسم السنة ولجماعة المؤمنين ضمنها حقائق الدين المسيحي القويم وتزييف بدع الملحدين كبرديصان واولاده .

«شرح الكتـــاب المقدس كله : العهد القديم والعهد الجديد . وصنف مواعظ جمة في تأييد الديانة المسيحية حتى عُدّ اقوى مدافع عنها.

«رُقي الى رتبة شماس وأبى ان يرقى الى رتبة قسيس واسقف. وصرح القديس غريغوريوس اسقف نيصص بانِ مـــار افرام تبحر في الكتاب المقدس وشرحه كله مستعينا بوحي الروح القدوس . وشرحه هذا مطابق للترجمة السريانية المشهورة بالبسيطة . مستعينا كذلك بالنص العبراني والنص اليوناني اذ كان له بعض الالمام بكليهما .

« وتعوّد ان يصدر تآليفه المنثورة والمنظومة بآيات الكتاب المقدس ملمعا بشعوره النقي لوطنه . اما شروحه فتارة حرفية وطورا روحية ومراراً ادبية ومنطقية وغالبا تاريخية وبيعية ولا سيما ما ينوط بالاسرار المقدسة . وهو يغمض عن شرح آيات الكتاب العويصة · ويسترسل في شرح سفر التكوين واخبار يوسف بن يعقوب وموسى الكليم وايوب الصديق واشعيا وارميا وحبقوق وغيرهم من الانبياء . وتبعه في شروحه تئودور وفم الذهب وتئودوريط .

« وتفرغ رهط من الشرقيين والمستشرقين لنشر تصانيف مار افرام الملفـان وفي طليعتهم السماعنة وعلماء فرنسا وانكلترا والمانيا والنمسا وايطاليا والرهبان الارمن في البندقية. هذا دَعْ ما انطوت عليه الصلوات

القانونية لدى السريان والكلدان وميناوون الروم الملكيين والموارنه»(١).

هذا وقد توخينا ان نطرف المؤمنين الاحباء بشذرات من اناشيد مار افرام الملفان كي يطالعوهـــا خصوصا ايام الآحاد والمواسم ويرددوا صداها العذب في مجتمعاتهم اقتداء بالسلف الصالح والاجداد الميامين

(١) قاموس الكتاب المقدس المطبوع عام ١٨٩٩ مجلد ٢ عمود ١٨٩٠ و١٨٩١

اناشيد مار افرام الملفان

١ - انشودة العريس وعروسه اعني يسوع و كنيسته

اللازمة: مبارك المسيح الذي بصليبه وموته وقيامته انقذ بيعته من الضلال . (١)

ترى اي عريس سوى يسوع ربنا ضحى بذاته حبا لعروسه ؟ ام اية عروس كلفت بعريس قتيل سوى الكنيسة خطيبة المصلوب ؟ ومن تراه سجل لخطيبته كتابا بدمه سوى وحيد الآب الازلي الذي كتب للكنيسة الامينة صك الصداق بدمه ووقعه بامضائه وختمه ؟

هل شاهدتم عرسا يصبح العريس فيه غذاء للمدعوين ويلذ ندماءه بدمه بدلا من ضروب الخمر ؟ ان صنعا كهذا لم يحدث الا في الكنيسة. ففيها صار المسيح غذاء ابهج العروس فضمته اليها وجزأت جسده ووزعته على احبائها وندمائها .

بالموت يفارق الرجال نساءهم والنساء رجالهن . اما الكنيسة العروس المجيدة فبموت خطيبها اتحدت به اتحادا نقيا طاهرا . وبعد موته حملت

---

(١) اعتاد مار افرام الملفان ان يرتجل قصائده ايام الآحاد والمواسم ويصدرها (باللازمة) ويفرض على سامعيه فتياناً وفتيات وعذارى ان يردّدوها في آخر كل بيت من ابيات القصيدة

جسده وجعلت تجزئه كل يوم وتتناوله وتتلذذ به وتسجد له لانه انقذها من الضلال

لم تفتقر الكنيسة الامينة الى الاستفسار عـــن العريس واستقصاء البحث عنه . لانها مـــا كادت تفتكر في ذلك حتى شاهدت الشمس تنكسف والصخور تنفلق والموتى ينبعثون مـــن القبور بغتة ويهتفون قائلين : ان هذا المعلق عـــلى خشبة الصليب ليس الا الاها . فيا ايتها الكنيسة اسجدي لعريسك وآمني به فهو ينعشك بموته ويخلصك .

ان الكنيسة الامينة لم تنتقد خطيبها ولم تتحـــكم في امره وقتما كان يخوض غمرات الموت . ولم يخالجها ريب في الوهينه لما طعنه اليهود اللئام وشاهدت الدم والماء يتدفقان من جنبه . لكنها انزلته من خشبة الصليب وحملته و كفنته ودفنته معتقدة انه بموته يبعث المدفونين مـــن قبورهم ولن يمكث في القبر .

صنع موسى حية نحاسية في حوريب ونصبها في المحلة. وكان العبرانيون اذا لسعتهم الافاعي سارعوا فتفرسوا في تلك الحية وفازوا بالشفاء من الضربة . وعلى اعتقادهم انها حية نحاسية لم يعترضوا ولم يستقصوا البحث عن كيفية شفائهم من دائهم العضال .

اما في عصرنا هـــذا الملتوي فقد نشأ في الكنائس نزاع وخصام . واعترى الاساتذة والتلامذة شكل جنون. فنهضوا يتفلسفون ويتشدقون على ابن الله الوحيد . ويتباحثون عن كيفية موته وقيامته . ويلغ بهم

التعصب مبلغه حتى انهم ابوا ان يؤمنوا به اقله ايمان الاسرائليين بحية النحاس . وناهيك انهم لا يكادون يأتون ويحوزون الشفاء بتناولهم جسده حتى ينقلبوا ويحاولوا البحث عن نوع شفائهم .

ولكن ما بال اشياع الجدل والمماحكة لايشفقون على الكنيسة ؟ترى كم من مرة سباها الاعداء ؟ وكم من ذبائح وضحايا قربتها للاوثان قبل تنصرها وظلت تتسكع في دياجير الغواية ؟ على انها ما كادت تنجو في يومنا من عبادة الاصنام حتى نشأ فيها الخصام واحدق بها النزاع من كل صوب ونشّم العدو يزعجها ويقلقها ويعذبها ويؤلمها .

فالكنيسة الراسخة في عقيدتها تناشد اشياع الجدل والخصام وتقول: اني في غنى عما تدعونه عن يسوع. ولست بحاجة الى ثرثرتكم. لان رسله الامناء قد علموني كل ما طلبته . فعرفت انه اتخذ جسدا من بنت داود وجثوت ساجدة له . وآمنت مستيقنة انه الاه وانسان وانه واحد احد .

ان خطبي لم يتبدل اصلًا مذ عقد رسله خطبتي عليه . ولست اغيّر ايماني به البتة . ولن أضيف اليه شيئاً ابداً . فقد عرفته الاهاً في مستودع العذراء . والاهـــاً في المذود . والاهـــاً في القبر. وآمنت واعتقدت انـه هو الاله المستوي عـــلى العرش وهو الاله الذي اتخـذ جسداً من مريم العذراء .

اياكِ ايتها الكنيسة ان تنصتي لاكاذيب الملحدين وتتبعي من يدّعي أن الذي عُلِق على الصليب في الجلجلة ليس الاهاً حقيقياً . حذار ان

تنحازي الى من ينكر انه توشح جسداً كجسد آدم وكابد بذلك الجسد عينه أفدح الأعذبة على الصليب .

يا ابنة الايمان المنير يا ايتها العروس الرافلة بابهى الحلل آمني ايماناً واحداً ثابتاً بيسوع مولاك . لاتدعي الخصوم يعبثون بتعليمك هـــذا الجديد فهو تعليم الله المصلوب . اما تعليم الاراتقة فليس تعليما صحيحاً مدققاً لانهم يتقلبون مع الزمان ويبدّلون مذاهبهم حرصاً على مناصبهم (١)

٢ ـ أنشودة العذارى والفتيات ليسوع الفادي الحبيب

اللازمة : كثّر الامـــان لبيعتك . ليسبحك المؤمنون فيتعزز مقام الكهنة .

أنشد لك التسبيح مع جماهير قديسيك يا ابن الله . يامن أنقذني بآلامه وصلبه . أدخُلُ هيكلك واسجد لك مترنمة باناشيد خشوعية . واتوسل اليك يا عظيم الاحبار المجيد لتتقبل عواطف امتناني بمثابة عبير زكي وطيوب لذيذة عطرة .

تقبّل يا ربي طلبتي تقبّلك ذبيحة غـير نارية . وارتضِ بصلواتي بدلا من الضحايا القديمة . اقبل دموعي عوضاً عن دماء الذبائح . اني أمدحك يا مخلصي واجلك في المحافل والمواسم . فارتض بقرابيني وباركهـــا . وانصت لصلواتي واستجبها . اني اتوق لاشبع وامتلىء منك يا معلمي.

---

(١) ملخص عن فنفيث الصلوات البيعية ٦ : ١٠٩ و ١٦٠

سمحتَ للجندي ان يطعن جنبك بالحربة . فأعلنت لي محبتـك بتألمك لاجلي . ورددتني اليك وادخلتني حظيرتك . وسكبت خمرك الطيبة على كلومي . وخمدت بزيتك مضض اوجـاعي (لو ١٠) وأشبعتني بخبزك وامتعتني بخدرك الشهي الذي لا يضمحل .

شغفت الفتيات بمحبتك ايها الحلو اللذيذ . وتبعتك العذارى ايهـا القدوس . اضاءت الكنائس انوارها احتفـاء بك يا منقي الأدناس وانضمت اليك . لاحت العـذارى رافلات بحلة البرارة مغتسلات بمياه المعمودية . وتهيأن جميعاً ليدخلن خدر الاخدار ويملكن مع ابيك الازلي في المجد السماوي .

نقلتَني يامخلصي من عبادة الاوثان . واعددت لي خدراً على قمة الجلجلة استقبحت صورتي العتيقة فجملتها وزينتهـا بامتزاجك بي . وكرمتني تكريم العفيفات في زفافهن . واجلستني الى مائدتك . ثم طفت محتفياً بي وحملتني على ذراعيك وجاهرت باني ابنة حرّة .

ان المحبة تحتمل اهانة اصدقائها صابرة صامتة . واذا شاهدتْ نقصا أغمضت عنه كأنها لم تشاهده . لان المحبة أقوى من الخمرة تسكر مرتشفها ولاتنتقد عيوب أحبائها بل تكتمها في صدرها كأنها ما كانت ولن تكون

احبني القدوس مع اني دنسة . وحمل في اعضائه اهوائي وزلاتي شاطرني مجده غير مكترث للخجل . احتمل البصاق والضرب واكاليل العار حبا لي . طهرني وضمني اليه وضاعف كرامتي وطـاف بي حتى

ارصلني الى خدره السماوي .

نسج لي حلة بيضاء ناصعة حاكها من نار وماء وزينني بها . فتوشحتها وتبخرت بها مستغنية عن ثوب العروس القديمة المفضوحة . جاد علي عريسي بالعفاف الطاهر . وغسل بدمه ادران اسمالي القديمة . ودبجني بحلل محبته الزاهية . يا ما اكثر ما كابده لاجلي حتى قدسني ومجدني .

اعدّ لي وليمة فاخرة وشاهد هيئتي مشوهة فوشحني حلة ضرجت بدمه الزكي كي لا يشاهد الندماء بشاعتي فيزدروني. اصبح عريسي بمثابة رهن وضمان فزينني بدم وماء اعني بحلل حمراء وبيضاء حتى شغف البشر بجمالي وبهائي .

كلفت بعريسي وعشقت جماله الرائع المنزه عن كل وصمة . فزالت عيوبي واضمحلت شناعتي وغدا من ينظرني كانه ينظر عريسي. فقد اصطفاني من مستودع امي. ووشحني بالعماد النقي في نهر الاردن. ولاح جماله الفتان على محياي . وفاح اريج عرفه من ثيابي . اتحد بي واتحدت به الى الابد .

شاهدتُ جماعة الصالبين يستهزئون به وعرفت انه يكابد الاعذبة حبا لي . خررت ساجدة له وعانقته وافضت في مديحه . هجرت آبائي واغرمت بحبّه . فاذا شهروا السيف ليفتكوا بي او اضرموا النار ليحرقوني فلن يستطيع السيف ولا النار ان يخمدا جذوات محبتي (١) .

---

(١) ملخص عن الفنقيث ٦:١٤١

٣ . ـ انشودة لعيد بشارة العذراء المغبوطة

اللازمة : سبحانك ياربي سبحـــانك . لانك بمحبتك انحدرت وخلصت العوالم .

انحدر جبرائيل الملاك من السماء ليبشر العذراء بميلاد المخلص. وجرى الحديث بينه وبينها. وتخوف ان يحصل ما يحول دون رضاها . وانتهى اتفاقهما على ان يعود المنفيون الى السماء .

اصاخت عذراء آدم لغدر ابليس الكذاب ومكره . سمعت حديثا ملتويا صدقته لسخافتها . وكانت نتيجته انها جادت على آدم زوجها بالعري والفضيحة عندما قطفت ثمرة الجنة المرة وناولته اياها لياكلها .

اما مريم العذراء ابنة داود فقد رحبت بتحية جبرائيل الملاك . ثم نسجت حلة سترت بها عري آدم حتى غدا كعريس يرفل متبخترا في خدره.

حواء ومريم كلاهما بتولان. الاان عمليهما متخالفان متضاربان. فحواء صرعت زوجها واسقطته. ومريم انعشت اباها واقامته . فتحت حواء القبر لرجلها . وعادت مريم فردته الى السماء .

اقبل الى العالم رسولان هما الحية وجبرائيل. فالحية قصدت الى حواء وجبرائيل الى مريم. سببت الحية موت حواء. وسببت مريم حياة البشر .

نصب الغـــارس الحكيم شجرتين في جنة عدن علق الموت بالواحدة واخفى الحياة بالثانية . ثم احدر آدم الى ميدان الجهاد ليحارب ويحرز اكليل الظفر والانتصار .

سن الغارس شريعة لآدم بان نهاه نهيا مطلقا عـن اكل ثمرة شجرة المعرفة مصرحا له بان في اكلها موته. فتـــآمرت الحية وحوا واغوتاه وخدعتاه ...

اما مريم فهي جنة الله العلي . ليس فيها شجرة معرفة الخير والشر ولا حية تغوي وتطغي. ولا حواء تهلك وتردي. لكن المخلص لاح منها واعاد المنفيين الى السماء .

فالشجرة التي كان يحرسها الكروبين بسيف ملتهب في جنة عدن قد حلت في مستودع العذراء النقي الطـــاهر . ونهض بحراستها يوسف البتول . اما اليهود فقد اخذوا يهذرون مفترين عـــلى العذراء مدعين ان يوسف هو والد ابنها يسوع .

القى الكروبين حارس الجنة وطرح سيفه الملتهب حالما شاهد الثمرة التي كان يحرسها قد انحدرت من السماوات العلوية الى الاعماق الارضية وذاقها الموتى فانتعشوا بها . تبارك يسوع الثمرة الذي ولدته العذراء مريم (١) .

٤ . — انشودة لعيد ميلاد يسوع الفادي المجيد

اللازمة : سبحانك يا ربي. يا من خلص البرايا من عبودية الخطيئة .

اسمح لي يا مولاي ان افيض في وصفك مومنا بك يا ايها الاله العجيب فانك في الحقيقة عجيب . وعجبك غير مدرك . وقـد دعاك النبي عجباً

---

(١) فنقيث ١ : ١٣٠ و١٣١

(اشعيا ٩ : ٢٦) فانت اعجوبة كلها عجب. بل انت اعجوبة العجائب. فالحبل بـــك عجيب . وميلادك عجيب . وكلك عجيب وعجبك غير محدود . لك التسبيح .

انك يا جبار العالمين وجبـــار العلويين محتجب بازليتك ومحتجب بالوهيتك. حملتك مريم وولدتك . وحضنتك وعانقتك وقبلتك. فسررت برؤيتها وحدقت بها متبسما كالرضيع مضطجعا في المذود ومدرجا بالقمط. وكانت اذا شاهدتك تبـــكي ترضعك وتعانقك وتناغيك وتهز ركبتيها ريثما تهدأ . لك التسبيح .

سبق داود ابوك فانشد لك ايها الاله غير المحدود انشودته قبل مجيئك الى العالم . تنبأ عنك بذكره ذهب شبا وسبا (مز ٧١:١٥). اما اليوم فنشاهد الهدايا من ذهب ولبان ومر ملقاة امامك يا ايها الطفل العزيز اجلالا لالوهيتك. فالذهب اجلالا لملكك. واللبان اجلالا لازليتك. والمر اجلالا لدفنتك. طوبى لمن ابتهج بميلادك لك التسبيح .

ما ابهى طلعتك ! مـــا ازكى عرفك ! ما اقدس فمك ايها الرب القدوس ! منك تتفجر ينابيع الحياة يا خبزاً حيا ولد في بيت لحم (بيت الخبز) . انك انت الاله الحي المولود من الاله الواحد الحي . ما اضوع شذاك ! ما اعذب طفوليتك ! ما اشهى طعامك ايها العطوف ! انك طعام سماوي وشراب روحـاني وابن بتولي . طوبى لمن تاق الى ارتشاف دمك . لك التسبيح .

اليك بادر الرعاة في حملان رضيعة يا حمل الله العلي . وجثوا امامك خاشعين يشكرونك ويسبحونك ايها الراعي الحق . ثم انصرفوا راجعين متعجبين بما سمعوه من تسبيح الملائكة السماويّين اذ كانوا يترنمون قائلين: المجد لله في العلى . السلام على الارض . والرجاء الصالح لبني البشر . لك التسبيح

انك انت ابن الله الآب وابن مريم العذراء المجيد . وانت ايها الكلمة المتجسد واحد . ولدتك امك العذراء ميلادا خارق الطبيعة . وولدك الله الآب ميلاداً جوهرياً . فانت ايها الطفل الاله ابن وحيد . وُلدت من الآب ومـــن امك العذراء . فيك اجتمع ملء الحكم الوافرة وانت مضطجع ترضع حليب عذراء . لك التسبيح .

ما ارفعك واوضعك ! ما اقدرك ! ان امرك خفي جلي . تخف الى لقاء الجميع . وتتبسم لمن يقابلك . محياك بشوش لمن يعانقك . شفتاك مضمختان بترياق الحياة . اصابعك تقطر بلسماً . عيناك النجلاوان تحدقان في والدتك المغرمة برؤيتك . واليك يتوق بنو البيعة المقدسة . لك التسبيح .

السواريف يقدسون لألوهيتك . والكواريب يباركونك . والملائكة يسبحونك وهم يخفّون المذود باجنحتهم . أما يوسف ومريم فقد غمرهمـا التهيب والوقار وانتصبا يسمعان حفيف اجنحة السواريف ورنة اهازيجهم المهيبة . ليت شعري من تراه يقدرك قدرك ! بل من يمكنه ان يحدّك او يستقصي البحث عنك ؟ بل من يجسر ان ينتقد سر ولادتك الازليـــة وولادتك البشرية ؟ لك التسبيح .

جلست امك العذراء وولدتك . فاصبحت أمّك وأختك وعروسك وأمتك معاً . وصارت تعانقك وتحتضنك وتقبلك وتمجدك . وتصـــلي وتشكرك وتغمرك وترضعك وتناغيك وتبش لقدك النحيف فتهتش انت لها وترتشف حليبها . فلقد حيّرت مريم والدتك ومرضعك وخليقتك . فيا ايها الابن الجميل هدىء روع امك . لك التسبيح .

يامعلم أُمه ورب أُمه والاه أمه . انك أحدث من أمك وأقدم منها . سكّـن جأشك فقد ادهشتني حركاتك وحيرتني . من يتيسر له ان ينظرك ولا يعانقك ؟ فسكوتك يذهل الناظرين ولثغتك تحيّر البلغاء الناطقين . يداك ملفوفتان بالقمط ورجلاك تلبطان . انك بكايتك محبوب . وفمك الصموت يحادث الله اباك . لك التسبيح .

يا ما أبهى محياك وازكى رياك ! يا ما أحلى فمك ايها الطفل الاله ! يرتاع السماويون للقوة الصادرة من فمك . ومريم تقف متحيرة . ترتعد البرايا باشارتك . تغذي العوالم بنعمتك . وترضع حليب عذراء في طفوليتك . فيا ايها الاله المتحجب يا من يرضع حليبا هو خلقه . لك التسبيح .

شكراً لك يا ابن الله العلي اذ اهلتني ان انشد التسابيح لميلادك . اغفر لي واعف عن زلاتي لاحمدك واجدك . فلقد ترنمت بترنيم القيته انت اليّ . اغفر ذنوبنا في هذا يوم ميلادك . ضمد كلومنـــا بعطفك . اجعل امانك وسلامك سائداً ما بين شعبك وفي بيعتك . فنؤدي لك التسبيح

يا ايها الابن المجيد في يوم عيدك (١).

٥ ــ مناغاة العذراء لابنها يسوع الطفل الحبيب

اللازمة: تبارك المسيح الذي ابهج كنيسته بميلاده.

فاضت عواطف مريم الرقيقة فجعلت تناغي طفلها يسوع وتقول: من ذا الذي انعم على الفقيرة بان تحبل وتلد ابنا وحيداً صغيرا كبيرا؟ هو كله لدي وكله لدى كل احد ايضا!

لما انحدر جبرائيل وبشر حقارتي حوّلني حالا من امة الى اميرة حرة فانا امة لالوهيتك. وانا ام لناسوتك ايها الرب والابن معا.

واعجباه لطفل شيخ مضطجع امامي. عيناه تحدقان في السماء وفمه يتلفظ دائما بالفاظ صامتة خافتة. كانه يفاوض بصمته اباه السماوي.

بك يا ابن الملك قد اصبحت الجارية ابنة ملك. فهي ابنة بشرية وضيعة من آل داود. وبواسطتك ولاجلك ارتقت الى اعلى الاعالي.

كيف يتاح لي ان افتح ينبوع الحليب واسقيك ايها الينبوع الفياض؟

---

(١) ملخص عن الفنقيث ١:٨٦؛ وعن مجلة الاثار الشرقية ١: ٤٤؛ ونرى ان عبارة «لك التسبيح» الواردة في ختام الابيات الافرامية تؤيد تصريح الحبر الاعظم البابا بندكتس الخامس عشر الخالد الاثر بان اليونان اقتبسوا فن الموسيقى عن مار افرام. لاننا نشاهد مؤلفي الاناشيد او القوانين اليونانية كيوحنا الدمشقي وقزما المتوحد ورومانس المرنم ومن نهج منهاجهم يختمون ابيات منظوماتهم بعبارة واحدة اسوة بابينا مار افرام السرياني في هذه الانشودة وغيرها.

بل كيف يسوغ لي ان اغذيك يامغذي البرايا ؟ وكيف يتيسر لي ان ادرجك في القمط يا ايها المتوشح باشعة الانوار ؟

لما كنت في مستودعي كانت ربوبيتك مستقرة فيّ ومالئة الاكوان قاطبة . ولما ولدتك ميلاداً حقيقيا ظلت قدرتك الخفية ملازمة لي. فانت فيّ وفي كل مكان يا محيّر امه .

لست اغار يابني سواء اكنت معي ام مع الجميع. فانت الاه لمن يدعوك ورب لمن يخدمك . واخ لمن يحبك . ذلك كله لتربح الجميع .

فانا وحدي امك . وانا كذلك اختك مع جميع الاخوات : فاصبحت امك واختك معا . وغدوت ايضا خطيبتك مع العذارى العفيفات . فقد زينت والدتك يا حلية امه في كل حال .

انا اختك لاني من سلالة داود الملك ابيك وابي . وانا والدتك لاني حبلت بك . وانا خطيبتك بسبب رجائك . فانا اذاً امك وقد صرت ابنتك بماء المعمودية .

لستَ انسانا فقط فاناغيك مناغاة كيفما كان . فالحبل بك عجيب غريب . وميلادك عجيب . غير ان الروح القدوس قد لقنني كل ضروب المناغاة واطلق لساني لاتلفظ بعبارات نبوية حديثة .

قد بشر بميلادك مبشران احدهما في السماء وثانيهما في الارض . فكوكب الانوار بشر بك في السماء ويوحنا بشر بك في الارض . هكذا بشر بك مبشران احدهما سماوي وثانيهما بشري .

فالمبشر السماوي برهن عن طبيعتك الالهية . والمبشر البشري برهن عن طبيعتك الانسانية . ومن العجب العجاب انهما بشرا مصرّحين بلاهوتك وناسوتك كليهما (١).

٦ ـ انشودة لعيد دخول السيد المسيح الهيكل

اللازمة: تبارك المسيح الذي حمله شمعون على ذراعيه في الهيكل.

دعتني العذراء عفيفة العفيفات لافيض في وصفها وتقريظها . فهلموا يا ايها الشبان الى العرس وتلذذوا بالاطعمة الروحانية التي اعدتها مريم المغبوطة لاولادها الندماء .

لاح من الآب الازلي شعاع وهاج وحل في مريم العذراء وانار العالمين اتلد من مستودعها وخلص البرايا . وقشع بميلاده وظهوره دياجير الظلمات المدلهمة .

حملت العذراء طفلها خالق آدم بحكمته وشرّبته حليبها وضمته الى صدرها وحملته على ذراعيها وهو حامل العالمين باشارته .

اصعدته العذراء امه الى هيكل اورشليم في قرابينها . كي يتجلى امره في بيت ابيه . ويقرب القربان ويكمل الشريعة حاذيا حذو الاطفال وممتزجا معهم .

هلم الى هنا يا حليف اليهود الجاحد ميلاد يسوع الاله وقل لي : الى

---

(١) فنقيت ١: ٢٤٧ و٤٧٧

من توسل شمعون الشيخ ليطلقه بسلام ؟ الم يتوسل الى رب الارواح الاله الذي ظهر انسانا مثلنا ؟

شعر اشعيا النبي بان يسوع فادي العالمين سيظهر طفلا فقال: ها هوذا العذراء تحبل وتلد ابنا (اشعيا ٧: ١٤). ففي ميلاده الازلي مساو للآب والده . ومن ثم دعاه ابنا نظرا الى ميلاده الثاني من عذراء .

فشمعون الشيخ وحنة النبية والعذراء ويوسف معا يؤدون الشكر ليسوع الذي شاء فصار طفلا . وفمي الحقير يشاطرهم فروض الحمد للرب المنان الذي تعطف على مذلتنا (١) .

٧ ــ انشودة لعيد الدنح المعروف بعيد الانوار وعيد عماذ المخلص في الاردن

اللازمة: تبارك المسيح الذي قدس معموذيتنا بعماذه

هبط الروح القدوس من العلاء ورفرف فوق المياه وقدسها . ففي عماذ يوحنا لم يحل الروح القدوس الا على يسوع فقط دون سائر المعتمذين. اما في عماذ المسيحيين فيحـــل الروح القدوس ويستقر في كل من يتلد من المياه .

من العجب العجاب ان الرب القدوس منقي البشر ومطهرهم انحدر الى المياه واعتمذ فيها. فغبطت مياه البحار مياه الاردن . بل ان المياه

---

(١) فنفيث ٢ : ٤٣٣

التي فوق الجلد حسدت مياه الارض لانها لم تستحق ان يغطس فيها خالقها

متى حلّت قدرة الله في خليقة حقيرة شرفتها . والمثل في ذلك مثل ملك اذا حل في ارض قفراء حضّرها . ولقد تشرفت المياه بقدرة الله تعالى واصبحت تمحق بواسطتها جرثومة الخطيئة وتمحوها .

تذكروا ايها المعتمدون انكم نلتم موهبة مجانية يجب ان تحافظوا عليها جهدكم . فهي لؤلؤة فريدة اذا فقدتموها يتعذر عليكم وجدانها . ومثلها مثل البتولية اذا فُقدت لا سبيل الى الحصول عليها .

اقبلت غنم يعقوب (تكوين ٣٠) واحاطت بالبئر وتوشحت وهي في الماء باشكال شتى اشارة الى عود الصليب الحافل بالرموز والاسرار . وبه صحت الامثال والالغاز .

احدقت غنم السيد المسيح بجرن المعمودية وهي مسرورة مبتهجة رافلة باشكال المصلوب الحيّ الكريم الذي خلص الخلائق اجمع وسمها بسمته المقدسة .

اليوم غُفرت خطاياكم ايها المؤمنون وسُجلت اسماؤكم . فالكاهن غفر الخطايا بمياه العماذ ويسوع الفادي سجل الاسماء في السماء . فتضاعفت من ثم افراحكم بمحو خطاياكم وتسجيل اسمائكم .

تلهف داود الملك واشتاق الى ماء بيت لحم (١ ايام ١١ : ١٧) ولكنه لم يشربه عندما احضروه اليه : لانه ثمن رجال اشتروه بدمائهم . اما انتم

ايها المؤمنون فقد تلذذتم بمياه العماذ لانكم اشتريتم بدم ابن الله مخلصكم .

فالخراف القديمة اعني اولاد المعموذية السابقين يبادرون اليوم ليعانقوا ويقبلوا خرافا جديدة ضمت اليوم اعني بها فئة الموعوظين متشحين بحلل بيضاء فاصبحت نفوسهم وثيابهم داخلا وظاهرا رافلة بحلل بيضاء ناصعة .

اما الملائكة الذين يفرحون بخاطىء واحد يتوب (لو ١٥ : ١٠) فقد ازداد اليوم سرورهم بمن ولدتهم المعموذية وبمن تلدهم في كل عيد وتحوّلهم من اولاد ارضيين الى اولاد سماويين .

ان القدرة الالهية قد غسلتكم ونقتكم مـــن كل درن وجعلتكم انقياء اطهارا . فاذا دنستكم الخطيئة فارحضوها بدموع التوبة والندامة . وانا خادمكم اتوسل اليكم لتصلوا لاجلي .

اليوم يجب ان يودي التسبيح لرب المواسم كل من في السماء ومن في الارض . اعني الملائكة والكواريب والسواريف والمعتمذين والموعوظين والسامعين والمتسمين بالميرون المقدس (١) .

٧ — انشودة لاحد الشعانين المجيد

اللازمة: تبارك الذي مدحه الفتيان عندما دخل اورشليم .

هذا موسم بهيج اجمعت الافواه والالسنة طرآ على الاحتفال به . فاحتشد

(١) فنقيث ٢ : ٢٦٦

الاعفاء والعفيفات في ابواقهم وكناراتهم . وتجمهر الفتيان والفتيات في قياثيرهم وعيدانهم . وامتزجت الاهازيج بالاهازيج حتى شقت الاجواء وبلغت اعالي السماء مترنمة بتسابيح رب الامجاد . تبارك منْ لقن الصامتين ليتغنوا باناشيده .

سارع الفتيان فنثروا امـــام يسوع زهورا زكية ناطقة اعدوها لتتويجه . ملأوا الشوارع صدى اهازيجهم وانغامهم . فاصبحت مدائحهم كالورود والحانهم كالزنابق . واليوم نشاهد في هذا الموسم جماهير الفتيان ينثرون تهاليلهم نثر الورود امام الملك المعبود . تبارك الرب الذي قرظه الفتيان باناشيد اوشعنا .

ارتجّت الارض ارتجاج السماء . وامتزجت في نيسان ترانيم السماء بترانيم الارض . انضمت اناشيـد البيعة المقدسة الى الاناشيد العلوية . واندمجت انوار مصابيحها باشعة الرعود والبروق . فاضت دموع البكاء والالم مع قطرات المطر . واشتبك الصوم والفصح باعشاب الربيع .

اصبحت اسماعنا مثل احضان دبجتها ايدي الفتيان باغصان اوشعنا وامتلات الاوساط بهتاف ابواق الفتيات الورعات . ودفعت كلا منا ليقطف صنوف الزهور ويضم اليها ما انبتته ارضه من الرياحين ليضفر منها اكليلاً جميلا شهيا ويهتف قائلا : مبارك الرب الذي دعانا لنضفر له اكليل الغلبة والانتصار .

هلموا يا معشر المؤمنين كافة ننضم الى الاطفال والرضعان ونهتف

معهم قائلين : اوشعنا في العلى ! اوشعنا لابن داود. مبارك الآتي باسم الرب ! (١) .

٩ — انشودة لخميس الفصح البهيج

عواطف الكنيسة ليسوع المسيح عريسها

اللازمة : مبارك المسيح الذي بفصحه وموته وقيامته انقذ بيعته من الطغيان.

انهضي يا عروس يسوع المسيح واعدّي المادبة ونظميها لجميع الامم المقبلين اليك. فقد اصبحت مائدتك في غنى عن اللحم والسلوى وعن ارغفة الخبز والسمك . لان جسد ابن الله الكريم ودمه يوزعان في عرسك على الندماء. انهضي اذن وتناوليه وانتعشي بدرياقه .

لقد اسكرتني خمرة عصرها اليهود على قمة الجلجلة . استعذبت مذاقها ولم اشعر بعدمـــا ارتشفتها بعذاب او ضرب او احتقار . لاني غدوت عطشى الى محبة عريسي وسكرى بخمرته . لا يهمني السيف ولا النار ولا اللهيب لان الثمل السكران لا يشعر بالالم والوجع . ويا ليت شعري من يمكنه بعد هذا ان يفصل عروسك المسكينة عن محبتك؟» روم ٨ : ٣٥).

يا يسوع خطيبي الغني . ان خطيبتك المشوهة تتباهى مفتخرة بك الافتخار كله لانك جملتها و زينتها . كانت مسكينة فاغنيتها . وساقطة فانهضتها. ومظلمة فانرتها. وضالة فوجدتها. واقمتها من المزبلة ورددتها اليك

(١) فنفيث ٣ : ١ : ٩٠

لقد انعشت ابنتك الذليلة فنهضت وجعلت تغدو وتروح مبتهجة مع العذارى الحرائر الجميلات ومع الملكات المجيدات .

ما أجملك ايتها الكنيسة ابنة الامم ! ما أبهاك واشهاك بيسوع عريسك الشمس الازلي المستقر فيك ! انك تلوحين لنا مثل أشعة لامعة ساطعة يفوق جمالك جمال القمر . خطيبك نور بهي سني . دمه بشفتيك كسمط من قرمز . ورياك كعرف لبان (نشيد ٤) فقد جملك بهاء خطيبك بجميع المحاسن .

تعال ياداود بن يسّى وهلم قيثارك . فقد هيأنا محفل العرس . هاتِ كنارتك وأطربنا بنغماتك . لان الندماء يحتاجون اليها في عرس الكنيسة ابنة الايمان المنير . تعال انظر مأدبة ضحّى فيها ابن الله ربك والاهك بذاته ونهض المدعوون يوزعون جسده على الحضور ليفوزوا بمغفرة خطاياهم .

انك ايها العريس الجميل أبيض أحمر . جمالك يفوق الشمس بهاءً . تتدفق منك مياه بيضاء ودماءٌ حمراء . لونان بديعان يشيران الى خشبة الصليب السري والى صبغة الدم العندمي . يذهلني لونك ايها الظريف اللطيف مثلما تذهلني وتدهشني أسرار ظهورك للعالم وهي حافلة بشتى الضروب والالوان (١) .

---

(١) فنقيث ٦ : ٢٢٦

١٠ ـ انشودة للقربان الاقدس

اللازمة: الغنم التي سكرت بدمك الحي .تترنم بتسبيحك

ان يسوع قسم جسده بيديه وناول رسله . فمن يجسر الآن ان يقول انه ليس هو جسده . هو قال: هذا هو جسدي . اذن من لا يصدّق قوله لا يُعدّ مسيحيا .

ان الرسل صدقوه واكلوه وهو حي ومتكىء معهم . وعرفوه ميتاً وحيا معاً . فلو كان ميتاً لما كان جسده . ولو لم يكن حيا لما كسره وناوله لرسله .

كسر الخبز وجعله جسده. وذاق الرسل بافواههم جسدا مفعما حياة. فحالما اسمه يسوع وسمـــاه جسده . لم يبق خبزا بل اصبح جسده عينه طعاما لهم .

شربوا دمه معتقدين انه مقتول وحي ويتكلّم. ورسخ المؤمنون في ايمانهم مبتهجين . واعتقدوا ان الخبز والخمر قـــد اضمحلا . وآمنوا انهم يأكلون ويشربون ابن الله على المائدة (١) .

---

(١) فنقيث ٥ : ٢٨٧ هذا تصريح الملفان الكبير يبرهن برهانا دامغا عـلى ان المؤمنين قاطبة اعتقدوا في كل الاجيال ان الخبز والخمر يتحولان الى جسد يسوع ودمه الاقدسين تحولا جوهريا عندما يلفظ الكاهن في القداس : « هذا هو جسدي » و«هذا هو دمي» ليت شعري ما قول البروتستان المناقضين لهذه العقيدة الدينية الجوهرية والزاعمين ان تصريح يسوع المخلص هو رمز لا حقيقة ! ؟

١١ – أنشودة لجمعة الآلام العظيمة

اللازمة : سبحان ابن الله الحي الذي سُجن في المحكمة وعُلّق على الخشبة لاجل خلاص العالم .

استيقظوا ايها الساهرون وأنشدوا التسبيح لشبل الليث السجين ولا ترقدوا .

دانوه وحكموا عليه . وسجنوه وجلدوه . واخذوا قصبة وصفعوه . فمن يرقد او ينام ؟

تفلوا في وجهه . ولطمه العبد على خده . ثم غطوا وجهه مستهزئين به فمن يرقد او ينام ؟

أوثقوا رب الانبياء واعتقلوه في دار الحكم . واستاقه الاردياء الى جبل الجلجلة ليصلبوه . فمن يرقد او ينام ؟

ذهبوا بالشمس الوضيئة الى سجن مظلم . وأغلقوا الابواب في وجهه . فمن يرقد او ينام ؟

انهزم التلاميذ . وضج الصالبون صاخبين . وارتجت المسكونة . فمن يرقد او ينام ؟

حكموا على يسوع المخلص . وصلبوه تشفياً . قتلوا ربهم الكريم . فمن يرقد او ينام ؟

ضُرب الراعي وتبدد خرافه . واختفى أحباؤه . فمن يرقد او ينام ؟

كابد الاعذبة وحده . واحتمل العــار ليبرر البشر ويخلصهم .
فمن يرقد او ينام ؟

أحدق به مبغضوه . وتصدع شمل أحبائه . وقبضوا عليه وحـده .
فمن يرقد او ينام ؟ (١)

ضفروا اكليلاً من اشواكٍ . وكللوا رب التيجـان . وبالغوا في الازدراء به . وبتكليله هذا انتصر الجنس البشريّ المجرم .

سكت كالحمل . ووقف كالنعجـة . جلدوه وهو مسرور . وقهر الشيطان بسفك دمه .

أوثقوه بالعمود. وصفعوه بالسياط .وقضوا بالموت على باعث الاموات

انطلق يا لساني الحقير وتكلم بكل وسعك عن القتـل الفظيع الذي جرى في اورشليم .

سبق داود فتنبأ وقال: اقتسموا ثيابي واقترعوا على قميصي المنسوج دون خياطة (مز ٢١ : ١٩ :ويو١٩ :٢٣» .

طلب ماء حين عطشه فقدموا له خلا ليحققوا كل ما كتب عنه الانبياء

سخط الارجاس على بارىء الانفس والاجساد . وسمروا يديه ورجليه وبالغوا في شتمه .

---

(١) ان عبارة «من يرقد او ينام» تؤيد ما علقناه على عبارة «لك التسبيح» راجع حاشية الصفحة ١٩٦

سامحني يا يسوع مخلصي بحق آلامك وقيامتك . واغفر لي جميع ذنوبي وآثامي (١).

١٢ - انشودة لعيد قيامة المخلص المجيدة

اللازمة: تبارك المسيح الذي اسس كنيسته وشرفها . ووضع فيها الصليب ووطدها لئلا تتزعزع .

اللهم وفقني لافيض في تسبيحك واترنم باناشيد اوشعنا في عيد قيامتك واهلني للحظوة بعطفك في خدر الافراح مع قديسيك الراتعين في بحابح ملكوتك .

لقد فشل الشعب اليهودي الظالم وتشتت في الاقطار الاربعة لانه سفك دماً زكياً . فسخط الرب عليه وقوض مدينته وبدد أولاده . وألغى أعياده . واخزى كهنته .

لك يؤدي التسبيح يوم قيامتك جميع الابرار والكهنة في الكنائس كلها . لانك خلصت البرايا بأسرها وصالحت الملائكة مع البشر .

جد عليّ يا ربي بفمٍ ولسانٍ كفوءٍ لأصف قيامتك التي أبهجت الارض والسماء وجادت على الخلائق بكل خيرٍ .

ان الملائكة السماويين زفوّا الى التلميذات بشائر الحياة والخلاص

---

(١) فنقيث ٤ : ١٩٥

عند ضريح فادي العالمين . وهن بشرن الرسل برؤيتهن الرب . فشمل الفرح أولئك وهؤلاء معاً بقيامته المجيدة .

يجب على البشر والملائكة معاً وعلى الاحياء والاموات كافة ان يصفقوا جذلين يوم عيد القيامة . ويؤدوا الشكر للرب الذي جعل الصلح والسلام ما بين السماويين والارضيين قاطبةً .

تبارك يوم انبعاثك من القبر . تباركت قيامتك المجيدة التي جلبت لنا الخلاص . تبارك فداؤك . تبارك ابوك الازلي الذي ارسلك لاجل خلاصنـــا .

في نيسان (١) انحدر ربنا يسوع من السماء وقبلته مريم العذراء في مستودعها .وفي نيسان انبعث من القبر وقام وشاهدته مريم العـــذراء اولا (٢) .فمريم العذراء شعرت به لما انحدر من السماء الى مستودعها.وهي شاهدته كذلك قبل الجميع منبعثاً من القبر . وهذا اسم مريم شاهدته السماء والارض.طوبى لك يا نيسان لانه فيك تم الحبل بابن الله ربنا وفيك جرى موته وقيامته .

---

(١) فنقيت ٤ : ٢٣٨ و٣٢٣ ومن المعلوم المقرر ان بشارة العـــذراء حدثت في شهر نيسان طبقاً للحساب القمري الذي يتمشى اليهود بموجبه . وهو يقع في اذار طبقاً للحساب الشمسي .

(٢) ان مار افرام الملفان هو اول من صرح بان يسوع ظهر اولا لوالدته العذراء بعد قيامته . ثم ظهر لمريم المجدلية وللرسل .

امنحنا يا يسوع فادينا ان نُسر ونفرح بوم قيامتك المبهجة. أعدْ لنا يا يسوع ما انتزعه ابليس عنا من المجد والبهاء في جنة عدن. امنحنا يا يسوع مواهبك ورحماتك مثلما منحتها يوم قيامتك لتلاميذك . وفقنا يا يسوع ان نقف عن يمين ابيك في ملكوتك . هب لنا يا يسوع ان نبتهج برؤيتك الشهية . ومتعنا بمحادثتك الحلوة اللذيذة .

يا يسوع يا من ظهر لتلاميذه يوم الاحد بعد قيامته من القبر . تجلّ لنا مثلما تجليت لهم وعلمنا غوامض اسرارك .

ضمنا يا يسوع الى تلاميذك . ولذذنا معهم طبقاً لوعدك اذ قلت : «طوبى لاولئك العبيد الذين اذا جاء سيدهم وجدهم ساهرين . الحق اقول لكم انه يشد وسطه ويتكيئهم ويدور يخدمهم » (لو ١٢ : ٣٧) على مائدته الروحانية (١)

١٣ ــ أنشودة لعيد صعود يسوع المخلص الى السماء

اللازمة: تبارك الذي ابهج بصعوده السماء والارض وجميع من فيهما

مرحباً بموسم بهيج اصبحت فيه افواه العفيفات والسنة الاعفاء تهتف بالكنارات والابواق . وتتغنى بترانيم الافراح والمسرات . حتى بلغت اصواتهم اعالي السماوات .

ترنمت الارض وتهللت السماء وامتزجت في عيد الصعود المجيد اصوات

---

(١) فنقيث ٦ : ٢٠٢

العلويين باصوات الارضيين . واندمجت اناشيد البيعة المقدسة بالاناشيد الالهية .

انتثرت في هذا الموسم البهيج صنوف الورود والزهور وامتزجت باهازيج البشر . فابتهجت الكنيسة المقدسة ولاحت اضواء قناديلهـــا كاشعة بروق لامعة .

في فلك نوح ترنمت الافواه بشتى الاغاني . فكان عجيج الامواج الصاخبة خارجـاً واصوات الاهازيج داخلاً . اشارة الى هذا موسم البتوليين والبتولات معاً .

مَن يا ترى شاهد زهوراً تقطف من حـدائق الاسفار المقدسة مثلما تقطف من الاودية والجبال ؟ فالعفيفات ملأن منها صدور افكارهنّ الرحبة . وغدت ورود نغماتهن بمثابة هدايا ينثرنها على جماعة المؤمنين .

نثر الفتيان زهوراً عطرة ناطقة امـام يسوع الملك . وافعوعمت الكنيسة منها . غدت اناشيدهم يوم صعود المخلص مثل الزهور وترانيمهم مثل الورود .

باتت اسماعنا كاحضان حافلة بنغمات الفتيان . وشنفت آذاننا اهازيج الفتيات العفيفات . فعلى كل منا ان يلتقط ما يرى من الزهور ويضفر منها اكليلاً لهذا عيد صعود ربنا المجيد .

فليضفر الحبر الكبير في هذا الاكليل مواعظه كالزهور . والقسان مناقبهم . والشمامسة تراتيلهم . والفتيان مزاميرهم . والعفيفات قصائدهن .

والأعيان حسناتهم . ولفيف المؤمنين اعمالهم . تبارك الرب الذي زادنا فخراً وشرفاً !

فلندعُ الى هذا الموسم جمهور الانبياء والرسل والشهداء الافاضل لكي يوافوا الينا في ورودهم وزهورهم الفوّاحة وفي زنابقهم الاريجة . يقطفونها من حديقة الفردوس ويهيئون منها قلادة لموسمنا هذا السعيد . لك المجد يا رب من جميع المغبوطين (١) .

١٤ - انشودة لعيد حلول الروح القدوس

اللازمة . سبحان من ابهج اليوم رسله .

مرحباً بكِ يا علية صهيون فقد حدث ضمنك اسرار غامضة . فيك اكتملت الاسرار التي اشار اليها الانبياء بالغازهم . وفيك هبط الروح القدوس على الرسل الابرار . ومنك خرجوا ليذيعوا البشارة الانجيلية في الاربعة الاقطار مستعينين بالثالوث الاقدس .

اليوم سمع الرسل هتافا سماوياً خفياً يقول لهم : انهضوا فاقبلوا الروح والقوة وموهبة معرفة الالسنة . فقد سبكهم الروح القدوس سبك الذهب بالنار . وجعلهم علماء فقهاء يتحدثون بامور جديدة ويكرزون باسرار خفية غامضة .

اليوم هبط صوت الروح القدوس هبوط النار على العلية الصهيونية

---

(١) فنقيث ٥ : ١٦٨ و ٢ ٣٣

وانار الرسل خواص الابن الوحيد انارة الذهب . وأزاح بتعليمه عنهم الجهل . فادركوا الامور الخفية وتلقنوا الشؤون المستقبلة .

اليوم انجز يسوع وعده لتلاميذه فايدهم بالروح الفارقليط المعزي فكملهم بدرعه ولقنهم العلوم والمعارف تلقيناً عجيباً . حتى اصبحوا في الدنيا محامين وشفعاء وطردوا الابالسة وشفوا الامراض باسم الثالوث الاقدس

تدفق من علية صهيون اثنا عشر ينبوعا تفجرت من بحر الحكمة الخضم واروت الرسل من علم الخلاص . فاضحى الجهلة حكماء والبسطاء فهماء وازدروا الموت والاعذبة حبا ليسوع .

اليوم شاهد الرسل الروح القدوس هابطا اليهم وحالاً عليهم شكل ألسنة نارية . وفقه عقولهم بقدرته . فانطلقوا يقوضون هياكل الوثن بعونه . ويؤسسون الكنائس بمحبته . تبارك يسوع الذي ارسل اليهم روحه القدوس فسلحهم بدرع قوته (١) .

١٥ ـ انشودة لعيد الثالوث الاقدس

اللازمة: المجد للثالوث : الآب والابن والروح القدوس .

تبارك الثالوث القدوس الذي يعجز فمنا عن شكره . لان مواهبه تفوق وصف الواصفين . ولا يتيسر لهم ان يؤدوا الشكر الوافي لنعمته .

---

(١) فنقيث ٥ : ٢١٧

ونحن مهما استرسلنا في شكره قصّرنا في واجبنا . وبما ان السكوت يضرنا ولا يفيدنا فلتودّ له حقارتنا نغمة الشكر بكل وسعها .

اياك والتشبث بالبحث عن الآب والابن والروح المجيد . حذار ان تتجاسر وتمثلهم بتشابيه غـــير لائقة . فالثالوث القدوس جوهر يفوق الادراك .فلا تشبهه بشبه مــــا . لان من يحاول استقصاء البحث عنه يرتبك ويضطرب .

انظرْ هيئة الشمس في الفضاء تظنها واحدة . انظر ثانية وتبحر فيها تشاهد ضوءهـــا . انظرها ثالثة وانعم النظر فيها تشعر بحرارتها . فهذه الثلاثة اعني هيئتها وضوءهـا وحرارتها متشابهة وغير متشابهة . واقانيم الثالوث الاقدس متوازية بالازلية متساوية بالجوهر .

وللنار كالشمس قوام واحـــد ممزوج بثلاثة : اعني المادة والحرارة والضوء . فهي متحدة معا اتحاداً غير منفصم . والمثل في ذلك مثل اتحاد الآب بابنه والروح بكليهما لانه مساو لهما بالقوة والمجد والجلال .

من يسعه يا ترى ان يؤدي الشكر الوافي للثالوث الاقدس ؟ فالمشرق بمعازفه والمغرب بكناراته والشمال بقيثاراته والجنوب بناياته لا يتيسر لسكانها اجمع ان ينهضوا بالشكر لنعمه وهباته . فتبارك من لا يستطيع ان يقابله على نعمته الا ابنه الوحيد فقط .

يا يسوع يا حبذا الاسم الشهي النقي . زينته هي منه وبه . هب لنـــا ان نزدان نحن كذلك فيكون صومنا زينتنا وصلاتنا حليتنا . فكما انك

مزجت بنا قوتك كذلك امزج اسمنا باسمك ليزدان اسمنا باسمك . تمجدت ربوبيتك التي شرفت مذلتنا » (١) .

وسبق مار افرام الملفان فقرر ان الروح القدوس منبثق من الآب والابن معا فكتب في احدى قصائده ما تعريبه .

لك المجد ايها الآب المحتجب الغير المدرك . لك الشكر ايها الابن الوحيد الغير المحدود . لك التبجيل ايها الروح القدوس الفائق الوصف . ايها الثالوث الذي لا يتجزّى ولا يفحص عنه .

الآب والد . والابن مولود من مستودعه . والروح القدوس منبثق من الآب والابن (٢) . الآب الخالق ابدع العالم من العدم . الابن الخالق كوّن مع والده كل شيء .

الروح القدوس المعزي الرحيم . به يكتمل كل ما كان ويكون وسيكون . الآب عقل والابن كلمة والروح صوت . ثلاثة اسماء . مشيئة واحدة وسلطان واحد .

هذا هو ايمان البيعة المقدسة . هكذا تلقنت من تقاديس السماويين : قدوس قدوس قدوس . ثلاثة تقاديس لله الواحد الذي يمجده السماويون

---

(١) فنقيت ٥ : ٢٦٧

(٢) لامي ٣ : ٢١٣ وهذه العقيدة الدينية الراهنة قد قررها بعد ابينا مار افرام آباء مجمع سليق وقطسفون الاربعون ورئيسهم الجاثليق مار اسحق في شباط ٤١٠م وهذا تعريب كلامهم «ونعترف بالروح الحي القدوس الفارقليط المنبثق من الآب والابن»

والارضيون » (١) .

١٦ - انشودة لعيد الجسد الاقدس

اللازمة: كثّر الامان لبيعتك . ليسبحك المؤمنون . فيتعزز مقام الكهنة .

ادّي الشكر يا ايتها الكنيسة ليسوع فاديك . لانـه بصليبه خلصك واقال عثرتك . قد منحك جسده الاقدس ومزج لك في عرسه دمه الغافر بمثابة عربون دائم . اشكريه واحمديه لانه جاء وخلصك . واصعدك معه الى السماء واجلسك الى يمين ابيه الازلي .

فالكنيسة المقدسة هي ابنة الملك الاعظم . وهي متلالئة بجمال عريسها السماوي . فقد نسج لها من ماء العماذ حلة الروح القدوس ووشحها بها . وطيبها بالميرون والبخور الذكي . ولذذها واعتقها بموته على الجلجلة . تبارك مؤسس كنيسته ورافع منارها ومدبجها بافخر المحاسن .

هذا هو العريس وهـــذه هي عروسه الوحيدة . يزول الشعوب كافة ولن يزول عرسه . خدره باق ثابت لايعتريه اضمحلال اصلاً . اكليل هامته مضرج بالدماء . وشهادته شهادة حب وهيام . المجد لنعمته لانه شاء فانقذني بآلامه .

---

(٣) ميامر ومداريش الطوباوي مار افرام الملفان : طبع المستشرق توما يوسف لامي عام ١٨٨٩ جزء ٣ صفحة ٢٤١

اذا انكر الكفرة قيامته المجيدة فانا لست انكرها لانها تمّت حبا لي . هيأ لي عريسي فصحا عجيبا لذذني جدا . لم يذبح لي حملا ويطعمني ويخلصني . بل منحني جسده ودمه وقال لي : كلي واشربي . ومن ثم فلن اشبع منه الى الابد .

مثّله ملكيصادق الحبر بقربانـــه واخذهِ العشور من ابرهيم البار . واشار الى ذبيحته بالخبز والخمر . ثم اقبل يسوع العريس وصُلب لاجلنا . وحقق سر ملكيصادق فمنحني جسده بدلا من الخبز وابهجني بدمه عوضا عن الخمر .

اني اشكر الآب الازلي الذي ارسل ابنه حبا لى . اشكر له نعمته الفيـاضة . واشكر روح القـــدس الذي توشح بي وتوشحت به . تبارك ابن الله الذي جاد عليَّ بجسده فاشبعني ولذذني بدمه بدلا من الخمر . ووسمني بميرونه وختمني به . اليه انوسل ان يتعطف عليَّ يوم الدينونة .

ان العريس ابن الملك سمى عروسه حمامة وديعة وشقيقة وقريبة . وسمته هي عريسا وخطيبا وابا وصديقا وحبيبا . شغفت بمحبته فهجرت ابويها واقتفرت آثاره. اتحدت به واتحد بها واصبحت تتمتع به على المدى .

حسنا تنبأ اشعيا المجيد نبي الوحي الحافل بالاسرار اذ وجه خطابه الى الكنيسة وهتف مسروراً وقال لها : قومي استنيري فان نورك قد وافى ومجـــد الرب اشرق عليك ... فتسير الامم في نورك والملوك في ضياء اشراقك» (اشعيا ٦٠: ١-٣٣)ويأتون ليسجدوا للرب المستقر فيك (١) .

(١) فنقيث ٦: ٢٢٤ و٢٥٩

١٧ ـ أنشودة ثانية لعيد الجسد الاقدس

اللازمة : ذوقوا وانظروا ما أطيب الرب . وطوبى لكل المتكلين عليه .

يجب ان نودّي لك الشكر ايها المسيح الاهنا . لانك منحتنا اسراراً مقدسة يشتهي الملائكة ان يحدقوا فيها . وفقنا بنعمتك لنشاهد بهاء هذه الذبيحة الرهيبة غير الدموية . وندنو منها بثقة ونشكرك ونسجد لك مع القوات السماوية . ونهتف قائلين : قدوس قدوس قدوس . المجد لك .

اننا نتقرب من مائدة الغفران بعواطف الايمان لنتناول الاسرار السماوية اعني سر جسدك الاقدس ودمك الغافر الذي خلصنا . واياك يشكر الاحياء والاموات .

هذا هو الطعام السماوي . هلموا نتناوله بايمان . به تُغفر ذنوبنا وخطايانا . وبه نرث الحياة الابدية . واياه يشكر الاحياء والاموات .

هذا هو السر العلوي الذي لاح واتضح للامم والقبائل والاجيال . هذا هو الذبيح السماوي الذي ضحى بذاته على قمة الجلجلة . به يحوز الغفران اولاد آدم الترابي . هو السر المقدس الذي يقدس الجميع . وبه يتقدس من يستحق القدسات الروحية .

ابتهجي ايتها العروس ابنة الامم بخطيبك الذي أضحى لك ولاولادك طعاماً وشراباً . فالملائكة يخدمونه في السماء والبشر الترابيون يحملونه في الارض . فيا ايها الخطاة أدوا له الهيبة والوقار . اياكم ان تتناولوا

النار بفم دنس . لك المجد ايها الرب الضابط الكل .

ان الرب الذي يمجده الكواريب في السماء باجلال واحترام هو الآن موضوع على المذبح المقدس. وقد شاء بنعمته ورحمته فصار طعاماً لشعبه. الملائكة العلويون يهابون النظر الى ربوبيته وشاء بنعمته فضحى بذاته على الخشبة . السماويون يزيحونه مع ابيه والبشر يوزعونه بأيديهم . الملائكة النورانيون يخدمون جلاله متهيبين وهو موضوع على المذبح امامنا . فلنهتف معهم قائلين : هللويه .

ما أعظم اسرارك يا كلمة الله ! فمع انك مستوٍ على عرشك يا رب في السماء شئت ان تتزيح وتتوزع كل يوم في جميع كنائسنا نحن المؤمنين وتمنحنا ذاتك على المذبح لمغفرة ذنوبنا ومحو خطايانا . ولهـــذا نهتف مع القوات العلوية قائلين : قدوس قدوس قدوس يا ايها الملك المملوءة السماء من مجده والارض من اسراره . وهو الرب الذي لا يتغير ولا يدرك ولا يحصره حد . هللويه (١) .

١٨ - انشودة لعيد آبائنا الرسل الابرار

اللازمة : تبارك الذي اصطفى الرسل فكرزوا وبشروا الاقطار الاربعة .

اصبح الرسل الاثنا عشر أكرة للمسكونة كلها . ولم يطلقوا اسماءهم

(١) خدمة القداس طبع البطريرك اغناطيوس بهنام بني في الموصل : صفحة ٧٨ وهـذه الانشودة الافرامية مشهورة بعنوان التمجيد .

على اهل ناحية من نواحيها او بلد من بلدانها . وعلى اثر وفاتهم نبت زوان الاراتقة فاطلقوا اسماءهم على الحنطة اعني على المؤمنين الامناء . فلا بد من ان الزوان سيُقتلع وقت الحصاد . تبارك من وافى يوم حصاده .

أصبح الرسل معلمين وصنعوا كرامات جمّة . تعبوا وعمّذوا وتلمذوا وعلموا . دوخوا المدن والعواصم وكابدوا الاعراق في سبيل اذاعة اسم الله العلي . وعلى تعبهم و كدهم في سبيل تعليم الرب معلمهم فقد ظهر نفر من الكذبة الخونة اطلقوا اسماءهم على فريق من البشر . تبـــارك الرب الذي يفضحهم اسمه .

ما كل من يتلمذ او يعلمّ يدعو تلاميذه باسمه . فالرسل تلمـذوا الأمم ولم يطلقوا اسمهم على امة منها . عمذوا تلامذتهم باسم الذي تلمذوهم له . ولقنوهم ان يؤمنوا به ويعبدوه ويتسموا باسمه . تبارك من أطلق اسمـه على الجميع لئلا يتباهى احد بسوى اسمه الكريم .

حبّذا الخطيبون الامناء الذين لم ينتقضوا على عريسهم ولم تدّع غنمهم بكونها غنم كيفا او غنم بولس او افلو (١ قورا : ١٢) لكنهـا اتسمت باسم عريسها . تخوف العبيد الصالحون فأبوا ان تدعى الرعية باسمهم فاسموها باسم ربها . تبارك الرب الذي وسمها باسمه (١) .

---

(١) ترى ما قول اخوتنا الذين اتسموا باسم اريوس او باسم نسطور او باسم يعقوب وغيرهم ممن خرجوا على الكنيسة الواحدة المقدسة الكاثوليكية الرسولية ؟

اما المعلمّون الكذبة . فقد ماثلوا الخطيبين الكذبة . اذ ارسلوا إرسال الخطيبين الامناء ولكنهم انتقضوا انتقاض المكارين الخبثاء . وخطبوا لانفسهم عرائس المسيح . تزيوا بزي العريس الجميـــل ليجتذبوا العروس بزيهم المزخرف . تنكروا بجماله وانتقضوا عليه . تبارك من سيفضحهم في بودقته .

سأل يسوع تلامذته قائلاً : هل تعرفون من انا ؟ فقال له شمعون كيفا : انك انت هو ابن الله الحي . فقال له الرب : طوبى لك ياشمعون فان اللحم والدم لم يعلنا لك ذلك . فانت صخرة الايمان الحق ورئيس الرسل جميعاً . اعطيك مفاتيح ملكوتي لتحل ما في السماء وما على الارض (متى ١٦) .

قال الرب يسوع لتلاميذه : يا صيادي السمك اتخذوا كلمتي كشبكة وانشروها في الاقطار الاربعة . فليمدها شمعون من رومية وليتناولها توما من الهند ويوحنا من افسوس ومتى من فلسطين . وانا رب الشبكة الساكن في السماء أنشلها حالما تقتنص البشر واصعدها اليّ .

لو أُطلق اسم احد الرسل على شعب من الشعوب لامحق ذكره مثلما امحق ذكر عماليق . فاذا كان الرب عينـــه أبى ان تسمى الرعية باسم شمعون فما قولنا اذا تسمت باسماء لصوص فصلوها عنه واجتذبوهـا اليهم وأطلقوا عليها اسماءهم ؟ تبارك الاله المعبود الذي وسم الرعية باسمه .

ما كادت تتأسس الكنيسة المسيحية حتى تداعى هيكـــل اليهود وتقوض . فتشيدت من ثم كنيسة واحدة لم يخدم فيها مرقيون لانه لم

يكن قد خُلق بعد . ولم يدخلها اريوس ولا ماني ولا برديصان . فالانبياء سلموا الايمان الى الرسل والرسل الى الكنيسة . تبارك ناظم الاكوان !

ما كاد يطلع اليونان والفرس والمصريون على عظمة يسوع المسيح حتى نبذوا اوثانهم وجحدوا اسماء آلهتهم . فالكفرة تابوا والغوا اسماء معلميهم وآمنوا بيسوع المسيح معلم الايمان الحق . اما الهراطقة فاختلسوا اسماء فريق ممن ضلوا سواء السبيل . تبارك هادىء الضالين .

دنس الهراطقة خطيبة يسوع ابن الله وحاكوا تلامذة اليونان الذين تلقبوا باسماء معلميهم . فاتخذت الخطيبة التي فسد حبها اسماء العبيد كنية لها . غار الخطيب العزيز وانتزع اسماء اولئك العبيد وفوض امرها الى رسله الابرار ولم يدعها تنغمس في ردغة الكفر والغواية .

اطلق فريق من فلاسفة اليونان اسمهم على تلامذتهم . فخضع من ثم يا احبائي . بشر لبشر نظيرهم واتسموا باسمهم . وراح اولئك الكفرة يتحاملون على اسم الرب الاله فاطلقوا اسمهم على البعض . تبارك من أسمانا باسمه .

كرز الرسل بضع سنين ونسج خلفاؤهم على منوالهم . ولم يظهر يومئذ مبتدع مثلما ظهر مبتدعون بعدهم . فليقل لنا إذن هؤلا المبتدعون باسم من تسمى اول تعليم لقنه شمعون ؟ انه لم يسمّ باسم كيفا . ويؤيد ذلك بولس وافلو (١ قور ١ : ١٢) . تبارك من يردع المبتدعين بواسطة رسله الامناء .

هلموا لنرى عند من هو تعليم الرسل الذين لم يطلقوا اسمهم على الكنيسة التي خطبوها لابن الله الوحيد! فالمعلم الذي يطلق اسمه على رعية من الرعايا

يناقض في ذلك تعليم الرسل. امّا الملفان الذي يسميها باسم مولاه فيكون الحق بجانبه . تبارك الرب الذي اوضح جليا عند من هو الايمان الحق .

غار الرسول خطيب الكنيسة غيرته لئلا تتخذ كنيــة غريبة مزيفة ملفقة .ولم يكتف بذلك بل نهاها مطلقا عــن اتخاذ كنية احد الملافنة الامناء كشمعون كيفا وغيره . على ان الخطيبين الامناء انما اطلقوا على الكنيسة اسم يسوع المسيح خطيبها الحقيقي الشرعي . اما الهراطقة فقد حاكوا الزناة بوضعهم اسماءهم عــلى غنم ليست خاصتهم . تمجد اسمك ياخالقنا !

وضع الهراطقة لقب ذئاب على الخراف ولقب بواشق على الحمام . نبذوا اسماء الحنطة الصالحين واتخذوا اسمــاء الاشواك الملحدين . فالرسول بولس انتهر اهالي قورنثية بقوله لهم: ان ربهم يسوع هــو الذي صُلب لاجلهم فلا يجوز لهم من ثم ان يتخذوا اسم العبيد مثل كيفا او بولس الجليليين كنية لهم . لعمري ما افظع ما اقترفه الكفرة ! تبارك الاسم الذي اتسمنا به .

يا ايها الرسل انكم لقد غلبتم وانتصرتم بكرازتكم بانجيل ابن الله الحق! فقد دانت الامم بدينكم وانقادت لتعليمكم . مرحبا بكم ايها المؤسسون الامناء الصادقون . يا مشيدي الكنائس النصرانية صلوّا لاجل رعيتكم ليسود السلام والامن سريعا ما بين اغنامكم العطشى الى تعليمكم .تبارك الرب الذي نصركم وكلّلكم ! (١) .

---

(١) الفنقيث العمومي ١٤٠

١٩ ـــ انشودة لعيد تجلي يسوع في طور تابور

اللازمة: هلموا ايها الشعوب ورنموا التسبيح والشكر للرب الذي تجلّى اليوم في طور تابور (١).

صعد يسوع بكر الاب الازلي طور تابور مع تلاميذه . وحضر اليه موسى وايليا . تغير منظره وغدا يتلألأ كالشمس . رآه التلاميذ فشملهم الرعب والخوف . وللحال ظللتهم سحابة منيرة وسمعوا هاتفا يقول : هذا هو ابني الحبيب .

اليوم صعد طور تابور شمعون كيفا ويعقوب ويوحنا مع معلم الايمان الحق . وهناك رحبوا بموسى وايليا ترحيبا مبهجا جدا . وشاهدوا يسوع ربهم يتجلى بمجد عظيم ومحياه يضيء كالشمس .

هنيئاً لكم يا شمعون كيفا ويعقوب ويوحنا . فقد ذهب بكم يسوع ربنا واصعدكم طور تابور واعلن لكم مجد سرمديّته المحتجبة . طوبى لعيونكم لانها شاهدت من تاق الانبياء واشتهوا ان يروه . شاهدتم بهاء الآب والده وضياء ازليته .

هنيئا لآذانكم التي سمعت صوت الآب يهتف من العلى ويقول : هذا هو ابني حبيبي . وشاهدتم صورة الابن الازلي وجلال محياه في سحابة منيرة

---

(١) ان مار افرام هو في طليعة الآباء الملافنة الذين صرحوا بان تجلي الرب قد تم في جبل تابور لا في غيره .

بهية . فمجدتموه واصبحتم شهود عيان وقررتم انه هو ابن الله الآب .

طوبى لك ياطور تابور لان يسوع المخلص اعلن فيك عظمته وقدرته وبهاءه وجلاله . وقد وطدك لتتمكن من قبول عظمته . وظللك بسحابه رحمته . وكتب في قمتك العهد الجديد واعتق العهد القديم . تبارك من اكمل كل شيء (١) .

٢٠ - انشودة لعيد انتقال العذراء الى السماء

اللازمة: تبارك الرب الذي شرف يوم انتقال والدته في الاقطار الاربعة .

من هي هذه التي فرح الملائكة وابتهج التلامذة بوفاتها ؟ فالملائكة هتفوا قائلين : مرحبا بام الله مانح الحياة التي تتكفن الآن وتقبر ! فبوفاتها فاضت الرحمة على المدفونين المؤمنين بوحيدها . سبحان من اصطفاها واتلد من مستودعها ونقلها اليه لتبتهج مع جماهير الملائكة .

مارست في الدنيا حياة نقية سامية الاهية متلالئة بنقاوة القلب والنفس ومفعمة محبة الاهية . فاصطفاك الرب اماً له . وكرم يوم تذكارك وشرفه . ثم نقلك من الموت الى الحياة لتبتهجي في الملكوت السماوي (٢)

اليوم يبتهج آدم وحواء . وينشدان التسبيح مرحبين بابنتهما التي

(١) فنقيت ٦ : ٣٣١

(٢) فنقيت ٦ : ٣٧٨ و٣٧٩

مذبح مار افرام في كابلّة دير سيّدة
النجاة بالشرفة

ارتقت الى السماء وانتقلت من الموت الى الحياة . وجثا امامها نوح وآله وابرهيم الشيخ واسحق ويعقوب. فمرّت في مظال الانوار وتمتعت بالحياة الابدية .

تاق الى ملاقاتها هابيل الوديع اول حمل ذبيح واول من ذاق الموت المحتوم على ابينا آدم وعلى كل من خطئ ولم يخطأ . وقد جعل يسوع ابنها موتها هذا مثالا جديدا . فذاقت كاس المنون نظير حواء امنا .

مرحباً بنفس طاهرة قديسة لم تتلوث قط بخطيئة . مرحباً بجسد نقي طاهر اعاد الحياة الى آدم . ليت شعري هل تموتين وتتكفنين وتلحدين في قبر؟ ام بالحري يصبح موتك سلمًا يرقيك الى السماء عند مولاك وربك والاهك ؟

رحب الرسل احدهم بالآخر اذ كانوا تائقين ان يشاهدوا بعضهم بعضاً. لانهم منذ تفرقوا وخرجوا ليكرزوا بالانجيل لم يشاهد احدهم صاحبه . فكان توما يشتاق ان يرى بطرس ويعقوب ويوحنا وسائر الرسل . اما اليوم فقد ابتهجوا كافةً لان الروح القدوس احضرهم ليكفنوا جسد العذراء

تقدس الفضاء بوفاتك ايتها المغبوطة . وتباركت الارض بخطوات الملائكة النورانيين .

امتزج الملائكة والبشر معا عندما نقل ربنا امّه من هذا العالم الى العالم الجديد وانشدوا معاً تسبيحاً وتهليلا واحدا .

فيسوع ثمرة الحياة الذي اتلد منها ارسل فنقلها اليه الى دار الملكوت واقامها هناك ملكة على الجميع لتملك معه الى ابد الابدين .

ايتها القديسة ابتهلي الى وحيدك لاجل الجمهور الذي احتفل بعيدك كي يفوز بالرحمة ومغفرة الذنوب ويبتهج معك يوم الانبعاث (١)

٢١ - انشودة لعيد ارتفاع الصليب الكريم

اللازمة : ايها المسيح الذي خلصنا بصليبه امنن بالرحمة على نفوسنا .

دعاني الصليب صانع الكرامات لاتامّل في عجـائبه . فراعوني اسماعكم لأثلج صدوركم باخباره الجديدة . فالصليب قيثـار رخيم يسحر الألباب . حدقوا فيه ايها المؤمنون وتذوّقوا حلاوته .

الصليب معقل حريز يبلغ البشر الى السماء . به يرتقي فكري الى يسوع المصلوب لافيض في الشكر لفدائه . الصليب سلم يُصعد من الارض الى السماء . فيه أرتقي حتى ابلغ مقر الآب الازلي واشكر له عجائبـه وكراماته .

صليبك يا يسوع ينبوع لذيذ تتفجر منه مياه الحياة . فاسقِـني منه لاسترسل في اوصافه المنتشرة على الالسنة جمعاء . صليبك جسر يبلغنا خدر الحياة ويطلعنا على معرفتك ويدعونا الى مديحه وتقريظه .

الصليب بودقة متوقده ينقي الافكار ويصفيها . فنق يا رب ذهني وانره باشعة صليبك كي اقرظ تواضعك . الصليب شجرة الحياة تنعش الموتى

---

(١) فنقيت ٦ : ٤٠٥ - ٤٠٦

ثمرته . وهو ينعش خواطري لافيض في وصف الفادي الذي سُمّر عليه.

الصليب سور حصين لا يناله العصاة . وهو يسوقني لاصف ما كابدته مسمراً عليه يا مخلصي من الآلام . الصليب جناح سريع يطير بالمجاهدين الى السماء . ويرقي قريحتي لاخوض في وصف امجاده .

صليبك يا مخلصي هو باب الحق يُدخل الجميع عند والدك . وهو يفسح لي المجال لاشكر لك نعمك . الصليب مفتاح الخلاص يفتح افواه البلغاء والبسطاء ليؤدوا التسبيح للمخلص الذي علق عليه (١) .

٢٢ - خطبة مار افرام

في عيد ارتفاع الصليب الكريم

تعالوا يا اخوتي واحبائي لنفرح اليوم ونبتهج مع لفيف المؤمنين ونحتفل بعيد ارتفاع الصليب الكريم الذي خلصنا من طغيان ابليس الرجيم. اليوم ارتفع الصليب وقهر الشياطين. تجددت الكنيسة واستنارت الخليقة . وتحطمت ابواب الجحيم وفرحت قوات النعيم . اليوم فتح باب الفردوس للص اليمين واعتق آدم ابو البشر ومزق الصك المختوم عليه . بشكل الصليب نصب الله جلّ وعلا فردوس النعيم في المشرق . بعلامة الصليب فجّر الله تعالى عين ماء في وسط الفردوس وقسمها اربعة انهار. باشارة الصليب بنى هابيل مذبحاً لله تعالى واصعد عليه قربانا مقدسا .

---

(١) فنقيت ٦: ٤٧٠

رسم الصليب صنع نوح التابوت كما امره الرب . وبنى ملكيصادق لله عز شانه مذبحا وقدس عليه السميذ والشراب وبارك ابرهيم . برسم الصليب بنى ابرهيم مذبحا للرب وكتف ابنه اسحق الحبيب ورفعه على المذبح . باشارة الصليب دهن موسى الابواب بدم الخروف في ارض مصر وخلص العبرانيين من الموت المر . بعلامة الصليب ضرب موسى بعصاه ماء النيل وحوّله الى دم . باشارة الصليب بسط موسى يده على البحر فانشق ماؤه وجازت الامة على اليبس . بعلامة الصليب شق موسى بعصاه الصخرة وتفجرت منها مياه حية ... فالسلام عليك ايها الصليب الكريم . انت مجد الانبياء . انت بهجة الرسل . انت قوة الرهبان . انت هادم الاصنام انت ابو الايتام . انت عز الارامل . انت حارس العذارى . انت نور الذين لا نور لهم . عليك السلام ايها الصليب لانه عليك عُلق كلمة الله الازلي الابن الوحيد الذي له التسبيح مع الآب والروح القدس الى الابد(١)

٢٣ - انشودة في وصف العناية الربانية

اللازمة : المجد لنعمتك التي تعتني بنا وتحمينا . المجد لنعمتك التي تعتني بنا وتحمينا .

ايها الاله الكريم الرحيم . يا رب البرايا اسرع فانشل نفسي من امواج الشدائد التي تلاطمها من كل ناحية . وليس لها من يحميها ويعتني بامرها

---

(١) المشرق ٨ : ١٩٠٥ : ٨٦١ عن مخطوطة المكتبة الشرقية رقم ٦١

سواك وحدك يا ربي . فعالجها بنعمتك ايها الطبيب المفعم رحمة .

ايها الملك السماوي . يا من لا حد لملكه . يا الاهنا وملكنا وفاطرنا وربنا . دافع عنا واعتن بنا وقت الشدة . تداركنا برحمتك سريعاوانقذنا من الضيق لئلا نهلك .

الى من نذهب وباب من نقرع ؟ والى من نفزع الا اليك ايها الرب الرحيم ؟ فظللنا باكنافك اذ ليس لنـــا رب غيرك ولا راع يعتني بامرنا سواك . نجّنا يا فادبنا في اثناء الخطوب والرزايا .

اليك ايها الراعي الصالح نرفع الحاظنا دائما لانك انت ملجانا ورجاؤنا وملاذنا . نحن شعبك وغنم رعيتك . فقد سبقت فخلقتنا فاشفق علينا يا ايها المولى الرحيم . ووفقنا ان نشكر لك نعمتك مطمئنين .

لا تهملنا يا رب في وقت الضيق ولا تخذلنا ولا تتغاض عنا . اغمض عن سياتنا ولا تعاملنا حسب اثمنا . لا تدع ذنوبنا تتغلب على مراحمك . ادّبنا ايها الرب الكريم بعطفك لا بسخطك وغضبك . واشفق علينـــا لاننا خاصتك .

عليك اتكالنا يا مولى البرايا كلها وخالقها وفاديها . انت مخلصنا وملكنا والاهنا القادر ان يحمل اثمنا . فكما سلمت نفسك الى الموت حبّاً لنا : هكذا امنن علينا بالسلام لنؤدي الشكر لنعمتك .

ايها الرب السخي الشاملة عنايته جميع التائبين . افتح باب رحمتك للخطاة وخلصهم . ساعدهم ليعودوا اليك منيبين لانك وحـــدك الرب

الكريم. وقد جئت لتطلب الضالين. تبارك من اضطرته رحمته لينشد ضالته من تراه احب مقتناه حبا كذا مفرطا؟ بل من اعتنى عناية كذا وافرة بخواصّه سوى الله عز شانه ؟ فهو الذى يخلقنا ويرزقنا ويعتني بامورنا ويدافع عنا على رغم معاصينا الكثيرة. وقد اصبح تعطفه علينا كدرع يردّ عنا مايعترضنا من الآفات (١)

الى اين اهرب يا ربي وعند من استقر وبمن استنجد ؟ حرامٌ عليّ ان استغيث باحد غيرك ولئن افترضتك غريبا عني ! لانه ليس احد صالحا سواك يا خالقنا ولا حلواً عذباً يا فاطرنا. انت خلقتنا وانت تعتني بنا وقد خلصتنا بابنك. اني اخافك يا ربي واستجير بك فادّبني وارحمني لان التاديب والربح كليهما جديران بك (٢).

الى اين اذهب من روحك ؟ والى اين افر من وجهك ؟ ان صعدت الى السماء فانت هناك. وان اضطجعت في الجحيم فهناك سلطانك (مز ١٣٨) تحنّن عــليّ ايها الرب الرحيم واقمني عن يمينك لانه لا يتزكى امامك كل حيّ (٣).

ان الله جلت عنايته لم يقم لنا اربابا يضطرون حريتنا. لكنه سخر لنا خداما يعتنون بشؤوننا. وضع لنا اسرجة في البر ومنائر في البحر تتجه اليها ابصارنا. اقام الثريا وبنات نعش والعيوق والجوزاء كي تلقننا

---

(١) فنفيت ٣ : ٦٠٠ (٢) فنقيت ٦ : ٢٤٠ (٣) مدراش مار افرام ٨٥ صفحة ٣٥٨ من طبعة رومية.

ان المعتني بالاكوان قاطبة انما هو الله الواحد .

لم يشاهد احد قط سفينة تائهة وحدها في البحر . تدبر ذاتها بذاتها وتعتني ذاتها بذاتها دون ملاح يقودها . فالخلائق باسرها محتاجة كالسفن . النفس محتاجة الى الحرّية . والخليقة الى خالقها . والكنيسة الى مخلصها والمذبح الى الروح القدوس .

اذا كان الخير والشر قدَرا من الاقدار فلماذا يحَب الخير ويبغَض الشر ؟ واذا كان الانسان فاقدا الحرية والتمييز بين الحق والباطل يسوقه القدر والقضاء ليفعل ما يفعل فمن الذي اوحى الى البشر بعناية الله عز وجل ؟ وعلام نقض السيد المسيح القضاء والقدر ومزاعمه ؟

يمرض الواحد فيفتقده الآخر ويعتني به . يجوع الواحد فيطعمه صاحبه ليعيش ويحيا . والاستاذ يعلم الجاهل ويعتني به ليتشرف . بهذا يقوم الكون . وهناك ربوات من الوسائل الخفية جعلتها العناية الالهية لفائدتنا امـــا المنجمون والفلكيون فانهم يُسخطون العناية الربانية بتشبثهم بمزاعمهم الباطلة (١) .

٢٤ ـ انشودة في ذكرى الموتى المؤمنين

اللازمة : اجعل يا رب لكل من رقد على رجائك تذكاراً في المذبح المقدس عندما تقرب القداديس .

---

(١) منظومات مار افرام في نقض الآراء الضالة ١ ـ ٦ و ١٠ و ٤٠

اذا كانت النار قد ظلت سبعين سنة في البئر ولم تخمد . واستمرت باقية فيها كذلك رائحة بخور الغفران (٢ مقا ١ : ١٨ - ١٩) . فكم بالأحرى تظل باقية نار جسد ابن الله مع الموتى المؤمنين وتنعش اجسادهم

اذا كان يوناتان لما مدّ طرف عصاه وغمسه في شهد العسل وذاقه انجلت عيناه وحصل على رؤيا الروحانيين (٣ ملوك ١٤ : ٢٧ - ٣٠) فكم بالأولى تنجلي عيون المؤمنين العقلية عندما يتذوّقون الدم الذي تدفق من يسوع المصلوب ؟

اذا كان الحمل الذي ذبحه ابرهيم البار قد خلص ابنه اسحق الفتى من السكين وانقذه (تكوين ٢٢) . فكم بالافضل يخلص البشر موتُ ابن الله الذي ضحى بذاته حبا لنا ؟

اذا كان اهرون الكاهن قد غفر اثام بني اسرائيل بدم الرشاش (احبار ٩٩) فكم بالاحرى يغفر اثامنا دم ابن الله الذي تدفق على قمة الجلجلة ؟

اذا كان ايليا النبي قد احيا ابن الارملة بسر ابن الله الاقدس الباعث المدفونين (٣ ملوك ١٧). فكم بالاولى يكتسب الموتي المؤمنون الحياة ويتمتعون برب ايليا الذي يقربه الكهنة لاجلهم !

اذا كان اليشاع القديس قد بعث ميتاً في حياته وميتا ثانيا بلمسه عظامه بعد موته (٤ملوك٤و١٣: ٢١).فكم ينتعش الموتى بموت المسيح المخلص وآلامه وهو الاله الحيّ الذي يوزع جسده كل يوم على المؤمنين .

اذا كان الغصن المقطوع يتقوى بالماء والتراب متى طعّم فينبت ويورق

ويثمر . فكم بالأولى ينتعش الموتى والراقدون بالمسيح ويتلذذون برائحة جسده ودمه ؟ (١) .

٢٥ــ انشودة في تذكار مار يوحنا المعمذان

اللازمة : تبارك الذي شرف تذكارك يا ثمرة العقرة الشهية .

تبارك من دعانا وانتدبنا لنحتفل بتذكارك يا ثمرة العقرة الشهية. فقد ارتكضت في مستودع اليشباع والدتك مبتهجا بملاقاة يسوع ربك ومبشراً بظهوره .

حاول ابليس المكار ان يلحق بك عيبا ولكنك اخزيته في البرية مثلما اخزاه يسوع ربك. ولما لاح نورك فضح الجليليين. وعندما رن صوتك رد الخطأة الى التوبة .

كرزت جهرا قدام ربك يسوع بروح ايليا وقوته فاطلق عليك عز شانه اسم ايليا . ذلت هيرودس بصيحتك. هلع اولاد الافاعي وارتعشوا منك . اذ كنت لا تزال تنهج الطريق ليسوع ربك . شاهدك الخطأة فتبرروا عندما سمعوك تبشرهم بالملكوت السماوي .

عنفت هيرودس وقرعته فامر بقطع هامتك فمزقت مملكته . ارعش صوتك قدمي الفاجرة فهلعت هلع قايين لانها قتلتك . دخلت هامتك فوق طبق مثل لؤلؤة ثمينة الى الوليمة فادهشت الحاضرين . وضفر لك السيف اكليلاً وضعه الرب على هامتك .

---

(١) فنقيث ٣: ١٩٨

بلّغت بشارة يسوع ربك الى الاحياء والموتى. وكما سبقت فبشرت به في مستودع والدتك: هكذا بادرت وبشرت به الموتى في القبور. سمع الموتى والاحياء صوتك. ومجدوا الرب الاهك بصوت واحد. فالشكر لربك الذي شرف يوم تذكارك (١).

٢٦ ـ انشودة في تأييد الطبيعتين الالهية والانسانية

يسوع ابن الله المتجسد

اللازمة : تبارك البكر الذي قام من القبر وأبهج الارض والسماء.

حاش لي ان قلت او اقول : إن الله مات بطبيعته الالهية . حاش لي ان قلت او اقول : ان الانسان خلّص البرايا بطبيعته البشرية . فالله سبحانه وتعالى لا يمكن البتة ان يموت بطبيعته الالهية. ولكنه شاء فاتخذ الطبيعة البشرية ومات رخلص آدم وذريته . تبارك والده الذي أرسله الينـــا .

يتعذر على الموت ان يدنو من الاه غير متجسد . فالموت لو لم يرَ الله متجسداً لخاف الدنو منه . لا يخامرنك ريب يا هذا اذا سمعت ان الله عز وجل قـــد مات . لانه لو لم يمت لمات العالم كله . ولكن بما ان الله مات لاجلنا فقد انقذنا بآلامه من الهلاك .

---

(١) فنقيث ٦ : ٤٢٨

لو لم يكن يسوع الاهاً لما امكنه ان يبعث الموتى من قبورهم . ولو لم يكن انساناً لما أدركه الموت . لو لم يكن الاها لما فتك بالموت . ولو لم يكن انساناً لما نُقل ودفن في القبر . لو لم يكن الاهاً لما انبعث من القبر وترك القبر مختوماً .

من احب الحق لزمه ان يتعلم من توما الرسول المختار . فقد لمس جنب ابن الله وهتف قائلاً : ربي والاهي (يو ٢٠ : ٢٨) . ونحن تلامذة الايمان الحق يجب علينا ان نتمسك بتعليمه . فقد دخلنا طريق الرسل فلنتبع آثارهم معترفين بان الله خلصنا بالام اقنومه الالهي (١) .

قد بشّر بميلادك مبشران : احدهما في السماء وثانيهما في الارض . فكوكب الانوار بشّر بك في السماء . ويوحنا بشّر بك في الارض . هكذا بشّر بك مبشران : احدهما سماوي وثانيهما ارضي . فالمبشر السماوي برهن عن طبيعتك الالهية العظيمة . والمبشر البشري برهن عن طبيعتك الانسانية . ومن العجب العجاب انهما بشرا مصرحَين بلاهوتك وناسوتك معـــاً .

تبارك يسوع مخلصنا الذي أتحد لاهوته بناسوتنا حباً لنـــا وفدانا وعالجنا . فقد أتحد الطبيعة العلوية الالهية والطبيعة البشرية باقنومه الالهي فاصبح الاهاً وانساناً معاً (٢) .

يشير القمر الى ناسوتك والشمس الى ربوبيتـــك . فالطبيعتان

---

(١) فنقيث ٥ : ١٠٨ (٢) فنقيث ٢ : ١٦٥

المحتجبتان بك يا ربي سبقتا فاشارتا الى صليبك (١) .

لا تحاسبني يا يسوع الصالح على مافرطت كبريائي من الكلام بحضرتك من تراه اذا شاهد صليبك يخالجه ريب في ناسوتك ؟ ام من تراه اذا شاهد قدرتك يخامره شك في لاهوتك ؟ فقد تعلمتُ ان أعتقد مؤمنا بكونك انساناً والاهاً (٢) .

٢٧ ـ انشودة في الرئاسة البابوية

اللازمة : اصطفاك الرب وشرف تذكارك (يا بطرس)

قال يسوع المخلص لبطرس رئيس الرسل: جعلتك يا تلميذي شمعون ركناً للكنيسة المقدسة . سبقت فسميتك كيفا (الصخرة) لتحمل جميع الابنية . انك انت هو المفتش المنتقد للمزمعين ان يبتنوا لي كنيسة في الارض غير الكنيسة التي أشيدها عليك. فاذا بنوا بناءً مشوهاً مشوشاً لزمك انت الاساس ان تعارضهم وتردعهم . انك انت مصدر ينبوع تعليمي . وانت رئيس تلاميذي . بك أسقي الامم جميعاً واشرّبهم حلاوة الخلاص . اياك اصطفيت الاول في تلمذتي لتكون وارثاً لخزائني . اياك استودعت مقاليد مملكتي . فاصبحت انت منذ الآن فصاعداً مسلطاً على

---

(١) ميمر مار افرام في نقص الامطار : طبع البطريرك افرام رحماني : صفحة ٢١ نقلاً عن مخطوط لندن ١٦٤ : ١٧ (٢) مداريش نصيبين ٣٦ : ٦٤

كنوزي بأجمعها (١) .

اني أُقيم شمعون بطرس رئيساً على الأكرة الرسل. وامنحه كنوزي بأسرها . وأستودعه مقاتيح السماء والارض معاً . لانه أميني وعليه أبني أسوار بيعتي (٢) .

طوبى لك يا شمعون رئيس التلاميذ . فان ابن الله منحك الطوبى وأقامك قهرماناً على كنزه . وخولك مفاتيح الملكوت . وسلطك على كنوزه السماوية . وادخلك بيت ابيه تعطفاً . فغدوت صديقاً ومقرباً ومثيلاً ليسوع المحب للبشر .

طوبى لك لان ابن الله اصطفاك وخولك الرئاسة على الرسل تلاميذه. ومنحك القوة والسلطان لتحل وتربط حلاً وربطاً الاهياً . واقامك على باب مخزنه لتوزع المعونات الالهية . رفع سبحـــانه قدرك في كل شيء وجعل سلطانك شاملاً الارض والسماء .

طوبى لك يا شمعون لانك ما برحت حتى اليوم تصطاد البشر للخلاص بدلاً من صيد الأسماك . اذ ان ايمانك يشبه شبكة كبيرة . واصبح جسد يسوع القتيل طعاماً خلاصيـــاً . فيسوع المصلوب اقتنص الامم كافة وجمعهم في شبكة الله العلي . وانت يا بطرس حملت ذلك المصلوب . فطوبى لك يا تلميذ المصلوب الذي به ازداد جمالك (٣) .

---

(١) منظومات مار افرام : طبع تومـــا يوسف لامي ١ : ٤١١ والرئاسة البابوية : للمؤلف صفحة ١٠١ و١٠٢

(٢) فنقيت ٤ : ٢٧

(٣) لامي ٤ : ٦٨١

في وسع الزيت ان يسير سير السيد المسيح على الامواج . وفي وسعه كذلك ان يمنح القوة للضوء ليسير على المياه : مثلما منح يسوع لشمعون ان يسير فوق الامواج . فالزيت ينير البيت بضوءه ويسوع المسيح ينير المسكونة بشمعون بطرس (١) .

٢٨ ـ ابتهال مار افرام قبل الرقاد

هذا الابتهال الخشوعي الجميـــل يتلوه الاكليروس السرياني ايام صوم الاربعين كلها ويتلوه الاكليروس الماروني في صلاة ستار يوم الاحد على مدار السنة .

اللازمة: ياربنا ارحمنا . ياربنا اقبل خدمتنا . وأرسل اليـنـا من كنزك عطفاً ورحمةً وغفراناً .

هب لي يا ربي ان اقف امامك ساهراً منتبهاً . واذا رقدت فليكن رقادي دون خطيئة . واذا ارتكبت اثماً في يقظتي ام في رقادي فاغفره لي يا ربي بنعمتك ورأفتك .

فبحق صليبك الوضيع امنحني رقاداً هادئاً مطمئناً . وأبعد عني الاحلام المزعجة والاشباح الدنسة . دبرَني الليل كله برقاد مفعم هدوءاً . ولا تدع مجالاً للابالسة وللافكار الخبيثة ان تستحوذ عليّ .

امنن عليّ بملاك النور كي يحفظ جميع اعضـائي . وانقذني من الشهوة

(١) مداريش البتولية : طبع البطريرك افرام رحماني ١٦

المستكرهة بحق جسدك الحي الذي تناولتـــه . هب لي ان انام وارقد مرتاحاً في حراسة دمك . وامنح نفسي المفطورة والمصوّرة عـلى شبهك حرّية تامةً .

فلتوازرن يمينك جسدي جبلة يديك . ولتحدق بي رحمتك كسورٍ ودرعٍ واقية . واذا ارتاح جسدي ورقد فلتحرسه قدرتك . واجعـــل رقاديَ كعبير بخور امام جلالك .

لا تَدَعَن ابليس يدنو من فراشي بحق العـــذراء والدتك . وبحق ذبيحتك لاجلي اطرد عني الشيطان ولا تدعـــه يزعجني . أنجز لي يا ربي وعدك . واحرس حياتي بصليبك . فأشكر لك حينما أستيقظ ما ابديتـه من العطف على مذلتي .

امنن عليّ يا مولاي برحمتك . كي اخضع لمشيئتك واكملهـا . امنحني مساءً مفعماً هدوءاً وليلاً مملوءاً برارةً . هب لي نوراً يا ايها المسيح مخلصنا النور الحقيقي . فان جلالك مستقر في النور ولك يسجد ابناء النور .

يا ايها الاله الحالّ في النور والمستقر في النور . يا يسوع فادي العالم لك المجد وعلينا رحمتك . في هذا العالم وفي العالم الآتي . المجد لك ياربي المجد لك . المجد لك من رعيتك .

يسبحك الراقدون مطمئنين ويمجدك الساهرون متيقظين . لك الحمـد يا ايها القيوم الحي لأنك نبهتني لامجّدك واسبّحك .

٢٩ ـ استغاثة مار افرام بيسوع الفادي

يا يسوع امنحنا ان نبتهج ونفرح في يوم قيامتك الذي ابهج العالم .

يا يسوع اهّلنا للمجد والجمال اللذين انتزعهما عنا ابليس في جنة عدن .

يا يسوع جد علينا بمواهب رحمتك في يوم قيامتك مثلما جدت بها على رسلك . يا يسوع وفقنا ان نقوم عن يمين ابيك في ملكوتك .

يا يسرع امنن علينا ان نبتهج برؤيتك الالهية المجيـــدة . يا يسوع اهلنا للمناجاة والتمتع الشهي بابيك الازليّ .

يا يسوع يا من تجلى لتلاميذه لما انبعث من القبر يوم الاحد . تجلَّ لنا نظيرهم ولقنا غوامض اسرارك .

يا يسوع اضممنا الى تلاميذك ولذذنا معهم طبقـاً لوعدك اذ قلت : انك تشد حقويك وتخدمهم في المأدبة الروحانية (لو ١٢ : ٣٧) .

يا يسوع ابن الآب ساعدنا . يا يسوع ابن مريم استرنا . يا يسوع قوّنا يا يسوع احرسنا . يا يسوع اقصِ عنا الشيطان . يا يسوع اغفر ذنوبنا وخطايانا . يا يسوع اشفق علينا عندما تديننا (١) .

٣٠ ـ انموذج من شروح مار افرام للكتاب المقدس

الى القارىء الحبيب انموذجاً من شروح ابينا مار افرام الملفان لآيات الكتاب الكريم انتقيناه من فاتحة الفصل الخامس من نبوءة اشعيا وعرّبناه نقلًا عن مخطوطة ثمينة قديمة تخص المكتبة البطريركية السريانية ببيروت منسوخة في القرن الثاني عشر . وهذا نص الفصل طبقاً للترجمة اليسوعية :

---

(١) فنقيت ٦ : ٢٠٢ والاشحيم ليلة الخميس

«اني أشيد لحبيبي نشيد محبوبي في كرمه . كان لحبيبي كرمٌ في رابية ذات خصبٍ .وقد حوّطه وحصّاه وغرس فيه أفضل كرمةٍ وبنى برجاً في وسطه وحفر فيه معصرة وانتظر ان يثمر عنباً فأثمر حصرماً برياً . فالآن يا سكان اورشليم ويا رجال يهوذا احكموا بيني وبين كرمي . ايّ شيءٍ يُصنع للكرم ولم أصنعه لكرمي . فما بالي انتظرت ان يثمر عنباً فأثمر حصرماً برياً . فالآن اعلمكم ما اصنع بكرمي . أزيل سياجه فيكون مباحاً وأهدم جداره فيكون مدوساً . وأجعله بوراً لا يُقضَب ولا يُفلح فيطلع فيه القتاد والشوك . وأوصي السحاب ان لا يمطر عليه مطراً . ان كرم رب الجنود هو آل اسرائيل وأناس يهوذا هم غرس نعيمه وقد انتظر الانصاف فاذا سفك الدمـــاء .والعدل فاذا الصراخ» (اشعيا ٥ : ١ — ٢٧) .

وهذا هو الشرح :

«أنشد لحبيبي أعني أُسبح لله حبيبي تسبحة واجبةً له . من كرْمه : اي من شعبه . كان لحبيبي كرمٌ : كان لله حبيبي كرمٌ في رابية خصيبة تدرّ لبناً وعسلاً . وقد حرثه بالخيرات والآداب .وحوّطه بسياج شريعته وغرس فيه اغصان كرمةٍ : هم الكهنة والصديقون والنساك . وبنى برجاً في وسطه اعني مملكة ومحكمة . وحفر فيه معصرة اي كهنوتاً وذبيحة . وانتظر ان يثمر عنباً فأثمر حصرماً برياً وخرنوباً . انتظر ان يصنع اعمالاً صالحةً تشابه العنب فاقترف اعمالاً رديئة تحاكي الحصرم البرّيّ .

«فالآن يا رجال يهوذا ويا سكان اورشليم قولوا لي : ايّ شيءٍ كان

يجب ان يُصنع لكَرمي ولم اصنعه ؟ فالله عز شأنه يسأل رجال يهوذا بلسان اشعيا النبي ويستشهدهم في ذلك فيقول : قد انتظرتُ ان يصنع كرمي عنباً فصنع خرنوباً . انتظرت ان يُحرث كرمي ويصنع اعمالاً صالحة فاقترف اعمالاً شريرة . ولذا فاني اقوض برجه فيكون معرّضا للنهب والسلب . وبما ان قلبه انحرف عن الحق والعدل فاني ازيل برج مملكته فيمسي غنيمة للسابين. وأخرق جدار شريعته فيصبح مدوساً تطأه الشهوات التي كلف بها . وأجعله بوراً خراباً مثلما اراد هو فلا يقضبه احد ولا يفلحه فيطلع فيه قتاد الخطايا وتنبت فيه اشواك المعصية ومخالفة الشريعة .

«اما قوله انه لا يُحرَث ولا يُقضب او يُكسح فالمراد به انه تعالى يتخلى عن الاهتمام والاعتناء به . وقوله أُوصي السحاب ان لا يمطر عليه مطراً فالمراد به انه يمنع الانبياء عن ان يتنبأوا له . وقد اراد بالمطر النبوّة وعلوم مشيئة الله عز وجل . واراد بالسحاب الانبياء الذين أمطروا لنا مطراً سماوياً كما قيل : « يدرّ كالمطر تعليمي وتقطر كالطلّ مقالتي » (تثنية ٣٢ : ٢) .

وهذا الشرح الافرامي ورد كذلك في صلاة ليل الاثنين من اسبوع الحاش (الآلام) على هذه الصورة :

«لقد ابديت لنا يا رب محبتك الفائقة الوصف اذ غرست في العالم كرماً معنوياً اعني به اسرائيل الحبيب العزيز. وحوطته بسياج الناموس الموسوي.

ولما حان زمان الثمار ارسلت عبيدك الانبياء القديسين ليطالبوا الفلاحين بالثمار الروحية . فقبضوا على اولئك العبيد وطردوا بعضاً وضربوا بعضاً ورجموا وقتلوا بعضا ... لذلك قوّضت اسرائيل ذلك الكرم اللعين ومزقت شمله لانه بدلاً من ان يثمر عنب الفضائل أنبت خرنوب الرذائل الشريرة . فخرقت سياج شريعته والغيت كهنوته وقوّضت برج نبؤته وجعلته مدوسا . وأمرت السحب ان لا تمطر عليه مطر العلم الالهي . وغرست عوضا عنه كرمة مختارة مجيدة وهي كنيسة الامم . وحوطته بسياج الشريعة الانجيلية . وزينته بالكهنوت الملاكي . ووطدته ببرج الصليب السامي . وسلمته الى الرسل والمبشرين والكهنة المختارين ايقربوا لالوهيتك ثماراً روحية ... » (١) .

قس على ذلك شروحا جمّة اقتضبها الآباء على توالي الاعصار من تصانيف ابينا مار افرام وادمجوها في الصلوات القانونية واعتمدوا عليها في شروحهم الكتابية وفي تآليفهم الدينية .

الخاتمة

هذا ما تحرّينا اثباته من اخبار ابينا مار افرام السرياني ملفان الكنيسة الجامعة معتقدين ان القراء الاحباء يقبلون على مطالعتها ويجنون من مضامينها ثماراً شهية تلذ نفوسهم وتذكرهم بأب فضيل نبيل زين

(١) فنقيث ٤ : ١٨ و١٩

الكنيسة المقدسة بمآثره وآثاره الخالدة مؤسسا بنيان تعاليمه الصحيحة على صخرة متينة راسخة لا تزعزعها عواصف الملحدين وزعازع المعاندين المكابرين . وزبدة القول ان هذا الكتاب على ايجازه قد حوى اخبار ما اجزلته العناية الربانية لخادمها الامين من النعم الفياضة حتى اصبحت سيرته منذ طفولته حتى آخر حياته قدوة حيّة لمن شاء السير في سبل الصلاح . وغدت تآليفه ينبوعا صافيا طافحا يرتشف منه المؤمنون ويمجدون الله السخي المانح مواهبه الالهية لخائفيه وعاملي مشيئته .

طالعوا اذاً ايها الاعزاء هذا الكتاب الجميل معتبرين ان مار افرام ذاته مقيم بينكم يحدثكم بعواطفه الحارة وبيناته البليغة خصوصا في المواسم والحفلات الكنسية . وكأنكم تشاهدونه وتنصتون لاقواله السديدة فتنهضوا باتمام فروضكم نهوضا أفضل وأكمل وتنعشوا في افئدتكم روحا أنقى وأطهر .

وانتم أيها السريان النجباء خاصة في اي بلد كنتم والى اي عقيدة انتميتم طالعوا سيرة ابينا وابيكم مار افرام السرياني المغبوط وتبحّروا في تآليفه السديدة الشائقة واقتبسوا منها ما يفيدكم . واذكروا ان هذا الملفان الكبير قد سبق نحو مائتي سنة عهد الانفصال عن الكنيسة الواحدة المقدسة الرسولية الجامعة . وصرح في كثيرٍ من تآليفه المسجدية بالعقائد الدينية الصادعة ولا سيا بعقيدة طبيعتي سيدنا يسوع المسيح الالهية

والانسانية (١). وعقيدة الرئاسة الرسولية الواحدة التي تسلسلت في احبار رومية خلفاء شمعون كيفا راس الرسل وعميدهم (٢) على ما قرّره الانجيل الكريم (٣) ودساتير المجامع المسكونية وآباء الكنيسة السريانية. ذلك تراث ثمين يجب علينا وعليكم ان نحافظ عليه ونتمسك به ثم نودّيه الى الاخلاف من بعدنا مثلما ادّاه الينا الاسلاف من قبلنا سالما من كل شائبة منزها عن كل وصمة. فبهذا الاتحاد الجميل وبهذا الاتفاق التام المنشود تكمل رغبة يسوع فادينا الذي صرّح في صلاته الاخيرة الى ابيه الازلي قائلاً: «ايها الآب القدوس احفظ باسمك الذين أعطيتهم لي ليكونوا واحداً كما نحن واحد ... ليكونوا باجمعهم واحداً كما انك انت ايها الآب فيّ وانا فيك ليكونوا هم ايضا واحداً فينا» (يو ١٧ : ١١و٢١)

وبهذه الوحدة الجميلة السامية بشّر آباؤنا الرسل العظام ولا سيما بولس الرسول المصطفى اذ قال لأجدادنا المؤمنين الاوّلين: «فانكم جسد واحدٌ وروحٌ واحدٌ كما دُعيتم الى رجاء دعوتكم الواحد. وللجميع ربٌّ واحدٌ وايمانٌ واحد ومعموديةٌ واحدة. والاهٌ واحدٌ وآبٌ واحدٌ هو فوق الجميع ومع الجميع وفي جميعكم» (افسس ٤ : ٤ – ٦). آمين

(١) راجع هذا الكتاب ٢٣٦ – ٢٣٨ (٢) راجع هذا الكتاب ٢٣٨ – ٢٤٠

(٣) متى ١٦ : ١٨ ويوحنا ٢١ : ١٥ – ١٧

تساعية مار افرام

تتلى في الايام التسعة السابقة لعيده

قدوس الله . قدوس القوي . قدوس الذي لا يموت ارحمنا (تقال ثلاث مرات)

المجد للاب والابن والروح القدوس

كما كان في البدء والآن وكل اوان والى ابد الابدين امين

١ — ايها القديس افرام الاناء المختار يا من هجر العالم واحتقر كل ما فيه من الافراح الزائلة والكرامات الباطلة ليربح الافراح الابدية والسعادة السماوية . استمد لنا النعمة من الرب الاهنا لنستأصل مـــن قلوبنا كل الاباطيل الدنيوية لنحصل على الفرح الحقيقي الدائم في الملكوت السماوي.

ابانا والسلام والمجد .

٢ — ايها القديس الزاهد في الحطام الدنيوي. اننا عندما نتامل في حياتك التي قضيتها بالاصوام والاسهار والصلوات المتواصلة والدموع الوافرة يعترينا الخزي والخجل . مع انك كنت مزادنا بالفضائل ونحن موعبون من الرذائل . تضرع الى الرب الاهنا ليمنحنا نعمة الندامة على اثامنا وخطايانا . ويؤهلنا لنمارس الاعمال الصالحة باوفر تقوى ونشاط .

ابانا والسلام والمجد

٣ — ايها القديس البار . يا مـــن تحلـّى بفضيلتي التواضع والوداعة

العزيزتين على قلب يسوع الاقدس . اننا نرغب اليك ان تتوسل الى يسوع فادينا لكي نقتدي بتواضعك ووداعتك فنحب الاحتقار والاهانة لنحصل على مجد الطوباويين في السماء .

ابانا والسلام والمجد

٤ – ايها القديس الجليل . اننا نتعجب من صبرك الجميل واحتمالك الشتائم والاهانات حتى التهم القبيحة . استمد لنا من الرب الرحيم نعمة الصبر والانقياد لمشيئته الالهية كي نحتمل بسرور جميع المحن والشدائد والمشقات وننجو من الاخطار المحدقة بانفسنا واجسادنا لنستحق ان نفوز نظيرك باكاليل الغلبة والانتصار .

ابانا والسلام والمجد

٥ – ايها البتول العفيف يا زنبق الطهارة والبرارة . يا من حصل على هذه الدرّة الثمينة بجهاده المتواصل . وحرض المؤمنين على مقاومة اللذات والشهوات الجسدية . نبتهل اليك لتستمد لنا المعونة من الرب العطوف كي نتغلب عـــلى الشهوات والاميال المنحرفة ونحصل على نقاوة النفس وطهارة الجسد ونغدو كالملائكة الروحانيين .

ابانا والسلام والمجد .

٦ – ايها البناء الحكيم الذي اسس ايمانه على صخرة الحق الواحدة غير المتزعزعة . وحامى عن حقائقه الراهنة بكتاباته الخالدة واناشيده المحكمة السديدة . وطد في قلوبنا دعائم الايمان الرسولي المقدس . وامنحنا نعمة الثبات فيه حتى آخر رمق من حياتنا .

٧ – يا قيثار الروح القدوس . يا من استنبط الموسيقى البيعية ولقن

الفتيان والفتيات والعذارى ترانيم تقوية واناشيد دينيـة وانتصر بتلك الواسطة المبتكرة على اصحاب البدع الفاسدة . نتضرع اليك لكي تثبتنا في مبادىء الايمان الواحد لنحوز راحة الضمير ونبلغ بشفاعتك الى مينا الامن والسلام .

ابانا والسلام والمجد .

٨ — يا خمرة شهية اقتبست لونها وريا ها من يسوع فادينـــا ذبيح الجلجلة . واسكرت بشرابها اولاد الكنيسة المقدسة . استمد لنا النعمة لنزداد شغفاً بسر القربان الاقدس لكي نتناوله بأحر عواطف الايمان والشوق والشكر . ونتزود به خصوصاً في ساعة موتنا .

ابانا والسلام والمجد .

٩ــ نهنئك يا شفيعنا المحبوب بعبادتك الحارة ومحبتك الخالصة لسيدتنا مريم العذراء المغبوطة . فالتمس لنا منها لكي توفقنا ان نكرمها ونحبها نظيرك لنستاهل حمايتها الفعالة في حياتنا ومساعدتها في ساعة مماتنا فنشكر لها رافتها ونسبح مراحم ابنها يسوع فادينا الى ابد الابدين .

ابانا والسلام والمجد .

صلّ لاجلنا يا مار افرام

لكي نستحق مواعيد المسيح

ايها الاله القادر على كل شيء يا من سكب على قلب ابينا مار افرام صفيه المختار نعـما غزيرة وجعله كنبراس ينير اولاد الكنيسة المقدسة . نتضرع اليك ان تمن علينا بمواهبك السماوية لنقتدي بفضائله ونخدمك بكل قلوبنا مثله . فنستحق ان نسبحك معه في النعيم السماوي ونمجدك

مع ابنك الوحيد وروحك القدوس الى ابد الابدين امين .

ثم ترتل طلبة العذراء

الخاتمة

قوريااليسون قوريااليسون قوريااليسون . ياربنا ارحمنا . ياربنا اشفق علينا وارحمنا . يا ربنا استجبنا وارحمنا . المجد لك يا ربنا . المجد لك يا خالقنا. لمجد لك يا رجاءنا الى دهر الداهرين آمين .

ابانا والسلام والمجد .

نمنح غفران ٣٠٠ يوم عن كل مرة لمن يتلو هذه الصلاة.

بيروت ٢١ شباط عيد ابينا مار افرام ١٩٥٣

مكان الختم ✠ **الكردينال اغناطيوس جبرائيل تبوني**

بطريرك السريان الانطاكي

نشيد لمار افرام الملفان

بوزن « آن الزمان السعيد »

اهلا بعيد الملفان : افرام مجد السريان
فالقلب فيه جذلان : لله يسدي الشكران.
قيثار روح القدس : فالنغم اضحى انسي
والنظم اروى نفسي: من خمرحب الرحمان.
اوصافه الفريدة : آياته السديدة
اشعاره العديدة : كاللالي والعقيان .
قد فاق بالبرارة : وامتاز بالطهارة
ولقن العذارى : ترنيم باري الاكوان .
جفناته اينعت : اغصانها افرعت
اعنابها انعشت : الباب اهل الايمان .
عيد بدا في المعمور : فالجذل ساد الجمهور
والقلب فيه مغمور : بفيض جود المنان .
جد يا الاه السلام : بدعا الصفي افرام
على جميع الانام : بالحب والاطمئنان.

فهرس

صفحة

مقدمة	٣
القسم الاول سيرة مار افرام	
الفصل الاول نصيبين وطن مار افرام	١٠
الفصل الثاني حداثة مار افرام	١٣
الفصل الثالث مار يعقوب ومار افرام	١٦
الفصل الرابع مار افرام يصف قسطنطين الملك وامه هيلاني	١٧
الفصل الخامس مار افرام وقيم كنيسة نصيبين	٢١
الفصل السادس نجاة نصيبين من يد الفرس بصلاة مار افرام	٢٣
الفصل السابع اساقفة نصيبين ومار افرام	٢٥
الفصل الثامن وصف دولة الرها وطن مار افرام الثاني	٣٠
الفصل التاسع الرها النصرانية	٣٢
الفصل العاشر وصول مار افرام الى الرها	٣٦
الفصل الحادي عشر مار يوليان الشيخ ومار افرام	٣٧
الفصل الثاني عشر مار افرام ومار ابراهيم القيدوني	٤٣
الفصل الثالث عشر مار افرام ويوليانس الجاحد	٤٨
الفصل الرابع عشر مثابرة مار افرام على التعليم ومناهضته البدع	٥١
الفصل الخامس عشر رحلة مار افرام الى صعيد مصر ومقابلته الانبا بيشواي	٥٤
الفصل السادس عشر القديس باسيليوس ومار افرام	٥٨
الفصل السابع عشر عودة مار افرام الى الرها واستئنافه التعليم والدفاع عن الدين القويم	٦٤
الفصل الثامن عشر بعض حوادث وقعت لمار افرام	٦٧
الفصل التاسع عشر اصطفاء مار افرام للرتبة الاسقفية	٦٨
الفصل العشرون تعطف مار افرام على المنكوبين	٧٠

فهرس صفحة

الفصل الحادي والعشرون مار افرام في شيخوخته ٧١
الفصل الثاني والعشرون وصية مار افرام الاخيرة ٧٤
القصل الثالث والعشرون وفاة مار افرام ٧٩
القسم الثاني تقريظ مار غريغوريوس ومار يعقوب لمار افرام
١ – تقريظ مار غريغوريوس ٨٢
٢ – منظومة مار يعقوب في ملفنة ابينا مار افرام ٩٤
القسم الثالث مار افرام وكنائس الشرق
الفصل الاول مار افرام والكنيسة السريانية المارونية ١٠٢
الفصل الثاني مار افرام والكنيسة الكلدانية ١٠٤
الفصل الثالث مار افرام والكنيسة الرومية الملكية ١٠٧
الفصل الرابع مار افرام والكنيسة الارمنية ١١٥
الفصل الخامس مار افرام والكنيسة السريانية ١١٩
الفصل السادس اديار السريان الكاثوليك المشيدة باسم مار افرام
١ – دير مار افرام في رومية ١٢٢
٢ – دير مار افرام في لبنان ١٢٥
٣ – دير مار افرام في ماردين ١٢٨
الفصل السابع كنائس السريان الكاثوليك المشيدة باسم مار افرام ١٢٩
الفصل الثامن جهود البطريرك افرام رحماني في تعزيز ذكرى مار افرام ١٣٣
القسم الرابع تكريم احبار رومية العظام لابينا مار افرام ١٣٧
براءة البابا بندكتس الخامس عشر باعلان مار افرام ملفاناً للكنيسة الكاثوليكية ١٤٣
ترحيب البطريرك افرام رحماني بالبراءة البابوية ١٦٣

فهرس

صفحة

القسم الخامس تركة مار افرام العلمية

١ – احصاء المؤلفات الافرامية ١٧٤

٢ – المستشرقون وتصانيف مار افرام ١٨٠

٣ – تصانيف مار افرام المنقولة الى العربية ١٨٣

اناشيد مار افرام الملفان

١ – أنشودة العريس وعروسه اعني يسوع وكنيسته ١٨٦

٢ – « العذارى والفتيات ليسوع الفادي الحبيب ١٨٩

٣ – « لعيد بشارة العذراء المغبوطة ١٩٢

٤ – « لعيد ميلاد الفادي المجيد ١٩٣

٥ – مناغاة العذراء لابنها يسوع الطفل الحبيب ١٩٧

٦ – انشودة لعيد دخول السيد المسيح الهيكل ١٩٩

٧ – « لعيد الدنح وعماذ المخلص ٢٠٠

٨ – « لاحد الشعانين ٢٠٢

٩ – « لخميس الفصح ٢٠٤

١٠ – « للقربان الاقدس ٢٠٦

١١ – « لجمعة الالام العظيمة ٢٠٧

١٢ – « لعيد القيامة المجيدة ٢٠٩

١٣ – « لعيد صعود المخلص الى السماء ٢١١

١٤ – « لعيد حلول الروح القدس ٢١٣

١٥ – « لعيد الثالوث الاقدس ٢١٤

١٦ – « لعيد الجسد الاقدس ٢١٧

فهرس صفحة

١٧ – انشودة ثانية لعيد الجسد الاقدس ٢١٩
١٨ – « لعيد آبائنا الرسل الابرار ٢٢٠
١٩ – « انشودة لعيد التجلي ٢٢٥
٢٠ – « لعيد انتقال العذراء الى السماء ٢٢٦
٢١ – « لعيد ارتفاع الصليب ٢٢٨
٢٢ – خطبة مار افرام في عيد الصليب ٢٣٠
٢٣ – انشودة في وصف العناية الربانية ٢٣١
٢٤ – « في ذكرى الموتى المؤمنين ٢٣٤
٢٥ – « لمار يوحنا المعمذان ٢٣٦
٢٦ – « في تأييد الطبيعتين الالهية والانسانية ٢٣٧
٢٧ – « في الرئاسة البابوية ٢٣٩
٢٨ – ابتهال مار افرام قبل الرقاد ٢٤١
٢٩ – استغاثة مار افرام بيسوع ٢٤٢
٣٠ – انموذج من شروح مار افرام للكتاب المقدس ٢٤٣
الخاتمة ٢٤٦
تساعية لمار افرام ٢٤٩
نشيد لمار افرام ٢٥٢
الفهرس ٢٥٣